سلسلة الأصول الخمسة

أصول :

ـيدة، الفقه، التفسير، الحديث، الدعوة

الحلقة الأولى

أصول العقيدة الإسلامية

دروس وتمارين

تأليف

الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري

أستاذ مادتي العقيدة والفقه الإسلامي

في بيروت وطرابلس

مؤسسة الرسالة

ناشرون




أصول العقيدة الإسلامية
دروس وتمارين

بسم الله الرحمن الرحيم

غاية في كلمة

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

ISBN 9953 - 4 - 0110 - 1

مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع

وطى المصيطبة
شارع حبيب أبي شهلا
بناء المسكن
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢
فاكس: ٨١٨٦١٥ (٩٦١١)
ص.ب: ١١٧٤٦٠
بيروت - لبنان

Resalah Publishers

Tel: 319039 - 815112
Fax: (9611) 818615
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

Email:
resalah@resalah.com

Web Location:
Http://www.resalah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير نبي اصطفاه وإلى هداية الناس أرسله، وبعد:

صحوة وصيحة:

في ظل الصحوة الإسلامية العارمة، التي جعلت تنتشر في مختلف أرجاء الأرض، وعلى كل المستويات، بين العامة والخاصة، من أساتذة وطلاب ومهندسين وأطباء ومحامين وضباط وعسكريين ومدنيين، من مختلف فئات الأمم والشعوب، في عودة بدأت ترتسم معالمها على أرض الواقع سواء في العالم العربي والإسلامي، أو الأوروبي والأمريكي وغيره، مما يبشر بخير كبير سيطلّ على البشرية في هذا العصر الحديث مودعاً أيام الاسترخاء والتهاون والتماوت، التي مرت بها أمتنا الإسلامية بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية العثمانية مطلع هذا القرن، حيث تحولت بعدها البلاد العربية والإسلامية إلى أيتام على موائد اللئام، حيث راح قادة دول الحلفاء يمزقون الأمة الإسلامية وشعوبها، ويضعون بينها العوائق والسدود، ويصطنعون في طريق عودتها للالتئام العقبات، ويثيرون فيها **القوميات والوطنيات** لمنعها من العودة إلى التلاحم والتكامل، كي لا تتمكن من أخذ دورها العقائدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري والثقافي والعلمي والحضاري على ظهر الأرض من جديد، لأنهم يعلمون أن هذه الأمة تمتلك من وسائل القوة المادية والمعنوية ما لو تم تجنيده وتعبئته وضم بعضه إلى بعضه تحت **قيادة واحدة** لجعل من المسلمين معسكراً دولياً كبيراً ومؤثراً على أحداث العالم، الذي تتحكم به أفكار وعقائد وأديان لا تتمتع بما يتمتع به الإسلام

من الوضوح والصحة والموضوعية والتطابق بين المكتشفات العصرية، التي توصل إليها العلم الحديث، وبين النصوص الدينية الثابتة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، في إشاراتها الكونية وأحكامها الاعتقادية والتشريعية، الذي يقطع معه أهل الفكر الصحيح والعقل الحرّ بأن مصدر هذا الدين القويم هو ذاته مصدر خلق هذا الإنسان الكريم والكون الرحيب.

صيحة وتحذير:

ولا شك أن ترك هذه الصحوة الإسلامية تشق طريقها وسط هذا الركام من مخلفات الزمن العفن، زمن الركود في ظل الاستعمار الدولي الخاطف لتركة الدولة العثمانية، سوف يؤدي إلى وصول هذه الصحوة إلى مركز القرار في الأمة، لتنال من المجد ذراه، ومن العزة والكرامة منتهاها وعندها سوف تكون قيادة العالم محل نزاع بين الإسلام وأصحاب الأيدلوجيات والأفكار البشرية، من رأسمالية إلى اشتراكية إلى شيوعية إلى ديانات سماوية محرفة من يهودية ونصرانية وبوذية، إلى ديانات أرضية بشرية من هندوسية وكونفوشيسية وسيخية وهندوكية وغيرها، لأنها سوف تتهاوى أمام سهام الحق التي يشتمل عليها الإسلام الذي هو آخر كلمات الله تعالى الشرعية للبشر على ظهر هذه الأرض، والذي جعل الله تعالى فيه من سلطان الحجة ما يحمل العلم البشري المادي الحديث، على إقراره وإثباته دون قصد منه لذلك، لتقوم به حجة الله تعالى على الإنسان الذي غرق في بحار الضلال حين ترك حبل الله المتين، وضل في متاهات الأفكار حين فقد نور الله المبين المستودع في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، اللذين تركهما لنا رسول الله ﷺ للتعرف من خلالهما على الحق وتمييزه من الباطل (تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي)[١].

---

(١) قاله النبي ﷺ في خطبة الوداع، رواه الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد وأصله في الصحيح. انظر الترغيب ح ١ ص ٨٠ رقم ٦ باب الترغيب في اتباع الكتاب والسنة. ورواه مالك في الموطأ بلاغاً: انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٢٧ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة رقم الحديث ١٢٤.

ومن هنا يسعى الآخرون إلى القضاء على هذه الصحوة الإسلامية تحت غطاء مكافحة الإرهاب أو إلى عرقلتها بمختلف الأساليب، وأخطر هذه الأساليب استخدام بعض أبناء الأمة الإسلامية ليكونوا أدوات طيعة في أيديهم، وأبواقاً مصطنعة في أفواههم، تنعق بما فيه خراب كيان الأمة العقائدي والتشريعي خدمة للباطل في الأرض ونصرة للمبطل من أهلها.

مقاومة وتقويم:

وحتى لا يتمكن المغرضون من إفساد هذه الصحوة من الداخل، فقد رأيت أن أشارك اخوة لي في الدين كتبوا في محاولة ترشيد الصحوة الإسلامية، للمحافظة عليها من أن تُجهض أو أن تستغلَّ، فقررت أن أكتب في العلوم الشرعية الأساسية باسلوب يرقى إلى التوسط المشروع والاعتدال الصحيح فيها، للحيلولة دون التحلل الذي يؤدي إليه التساهل في الدين ودون الانكسار الذي يؤدي إليه التشدد فيه، فقررت كتابة سلسلة في أصول المواد الشرعية بتلك الروحية، التي هي شاهد صدق وحكم عدل على الأمم والشعوب في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1] لأن التطرف والتنطع والتشدد في الدين عقيدة وشريعة أساليب واتهامات يعتمدها من يريد تدمير الصحوة الإسلامية من داخلها، وفقد يتخذ من انتسابه إلى هذا الدين وسيره في ركاب الصحوة الإسلامية في المجتمع غطاء لصرف الأنظار عن حقيقة نواياه وخطورة أهدافه، وهي تدمير هذه الصحوة وإفسادها، وهو الأمر الذي حذرنا منه رسول الله ﷺ بقوله (هلك المتنطعون)[2] (إنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)[3].

---

(١) البقرة آية ١٤٣

(٢) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٤١ كتاب البر والصلة باب هلك المتنطعون. رقم الحديث ١٨٢٤.

(٣) رواه البزار عن جابر مرفوعاً بلفظ (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى) انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٣٠٠ رقم الحديث ٧٩٤.

وسأجعل الكتابة في كل مادة من تلك المواد الشرعية في حلقة مستقلة، وسميتها (سلسلة الأصول الخمسة)، وهي:

الحلقة الأولى: أصول العقيدة.

الحلقة الثانية: أصول الفقه.

الحلقة الثالثة: أصول التفسير.

الحلقة الرابعة: أصول الحديث.

الحلقة الخامسة: أصول الدعوة.

وقد جعلت كل حلقة منها في قسمين مستقلين: الأول في الدروس. والثاني في التمارين، ليكون في التمارين إعادة تثبيت للمعلومات باختصار غير مخل بالمادة وزيادة في ضبط أبحاثها ومسائلها والدلالة إلى كيفية الإجابة عن الأسئلة فيها تيسيراً على طالب العلم فيها.

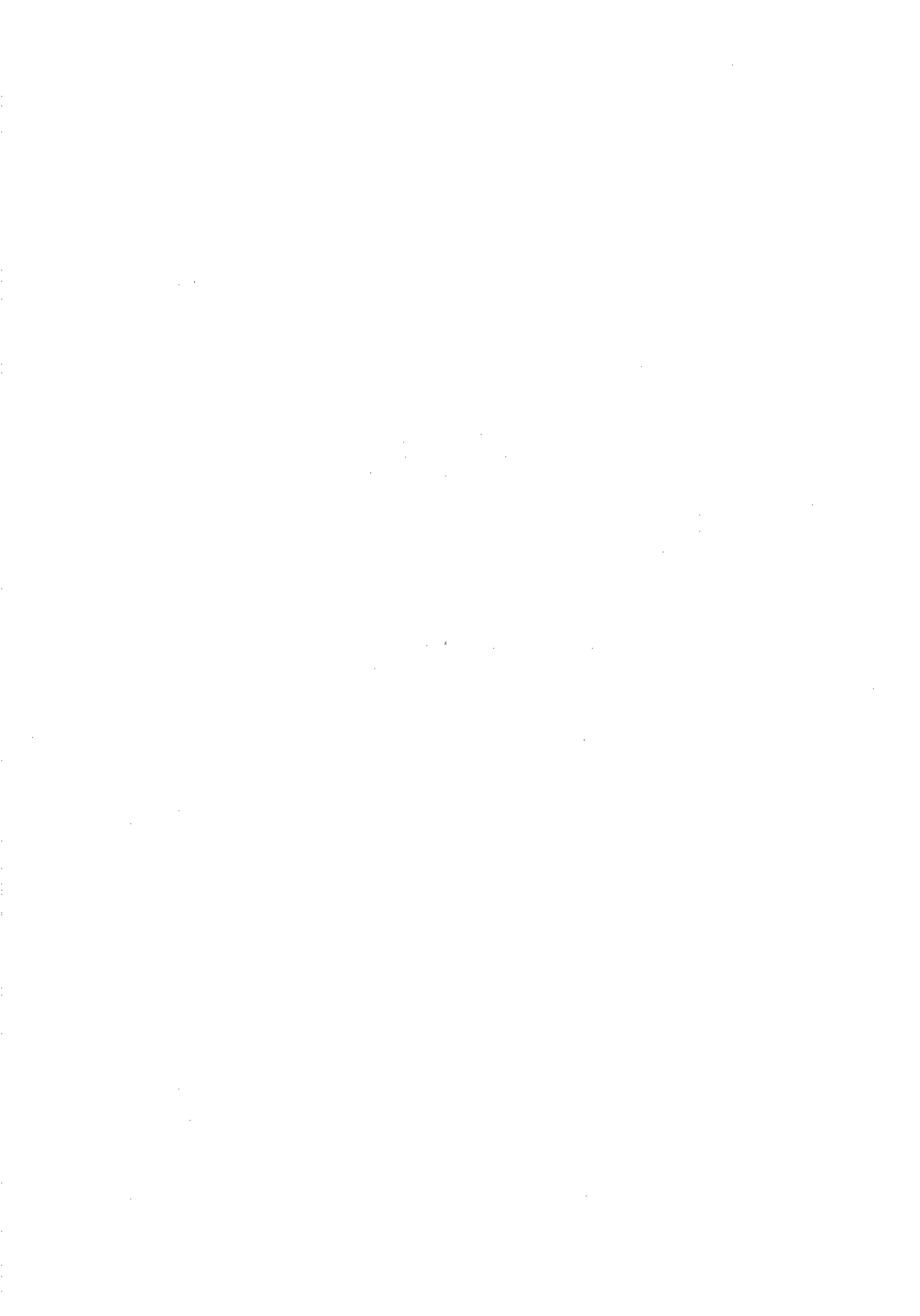
وإنني لأرجو الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

والحمد لله رب العالمين.

كتبه الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري
لبنان ـ طرابلس سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

القسم الأول

في الدروس



الدرس الأول

النية وأثرها في العمل



النية وأثرها في العمل

النية أساس كل عمل، وهي القصد المؤكد وبها يتوجه البدن نحو تنفيذ مضمون هذه النية، ومحلها القلب، فإذا قصد الإنسان أن يقوم بعمل ما، فإن بداية هذا القصد يُسمى حديث النفس، وإذا تأكد ذلك باتجاه الإرادة نحو هذا الفعل، عندئذ تصبح نية، ثم تظهر هذه النية على الجوارح، إما على اللسان أو على الأطراف أو على ملامح الوجه ونحو ذلك، وهذه النية يراعيها الشرع ويعتبرها أساساً للعمل، فقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

والهجرة هي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان، والانتقال حركة حسية بدنية يشترك فيها جميع المنتقلين، فالذين هاجروا مثلاً من مكة إلى المدينة وتحركوا هذه الحركة كانت نواياهم مختلفة، فمنهم من قصد بهجرته إرضاء الله تعالى ورسوله ﷺ، ومنهم من قصد بهجرته أن يحقق منفعة خاصة به، والناس لا يستطيعون التفريق بين هذا وذاك، لأن النية محلها القلب، وما من القلب لا يعلمه إلا الله ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2] وهذا القلب هو عمدة قبول العمل أو ردّه فإن النبي ﷺ يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[3].

وقد يبين لنا النبي ﷺ أهمية النية ومدى تأثيرها في السلوك والعمل فقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» فتعجب الصحابة من ذلك، فقالوا: (يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه قد

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٥٧ باب الترغيب في الإخلاص، رقم الحديث ١٥.

(٢) فاطر آية ٣٨.

(٣) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٣٣ كتاب البر والصلة. باب المسلم أخو المسلم. رقم الحديث ١٧٧٦.

أراد قتل صاحبه)[1] فمن حيث الظاهر هناك ظالم ومظلوم، ومن حيث الحقيقة كلاهما ظالم، ولذلك حاسبهم الله تعالى على النية، لأن هذه النية أصبحت مؤكدة ومعزوماً عليها، بدليل أن كل واحد منهما حمل سلاحه وأراد قتل صاحبه. فالنية فيهما واحدة والعمل مختلف فكان الجزاء على ما في القلب، ومحل هذا الاعتبار هو وقت الفتنة حيث لا يعرف وجه الحق فيها. وأما القتال دفاعاً عن النفس فلا حرج فيه.

وفي الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، قالت عائشة: يا رسول الله: يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس منهم؟ فقال: يا عائشة: يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»[2].

وقد كانت وسائل النقل في الماضي بطيئة والمسافات طويلة: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[3]. فكان اللصوص يتربصون المسافرين فيقطعون عليهم الطريق، فيسلبون ما عندهم من مال وربما سلبوهم حتى نساءهم، فكان المسافرون من بلد إلى بلد يخرجون في جماعات ليعجز قطاع الطريق عن ملاقاتهم والتعدي عليهم، وأحياناً يخرجون مع الجيوش فيكونون بالقرب منها، إلى أن يصلوا إلى البلد المقصود لهم، وها هنا عندما يغزو ذلك الجيش الكعبة - وهذا بين يدي الساعة في آخر الزمان - ينتقل هذا الجيش من بلد العدوان إلى مكة المكرمة متجهاً إليها، ومعه هؤلاء الناس المسافرون الذين قصدوا من مرافقة الجيش تحقيق الأمن لأنفسهم للوصول إلى مكة، فالجيش قاصد بخروجه إلى مكة المكرمة التعدي على حرمة بيت الله فيها، وأما الذين مع الجيش فإنما قصدوا مرافقة الجيش من أجل

---

(١) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٢ كتاب الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما. رقم الحديث ٢٠٠٥.

(٢) رواه مسلم، ولفظه: يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم، فقلت يا رسول الله: فكيف بمن كان كارهاً، قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته). انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٨ كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، رقم الحديث ٢٠٣٠.

(٣) النحل آية ٨.

الأمن، ولكن عندما تنزل العقوبة تنال الجميع، ثم يبعثون على نياتهم. وقد يكون المقصود بمن ليس منهم من اكره على الخروج مع الجيش من عناصره وضباطه. والله تعالى أعلم.

ويجب أن تكون النية في العمل خالصة لله تعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(١) فكل عمل من أعمال العبادات يحتاج إلى نية، ويجب أن تكون هذه النية خالصة لله تعالى فلا يشاركه فيها غيره كما قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(٢).

وأيضاً فإن النية تفرق بين العادة والعبادة، فقد يقوم المرء بعمل من أعمال العادات المنتشرة بين الناس، كالزواج مثلاً فإنه ينشأ عن الميل الطبيعي في الرجل إلى المرأة لأنها فرع عنه وفيها إليه لأنه أصلها كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾(٣).

فالذي يتزوج بقصد أن يعف نفسه عن الحرام يؤجر على ذلك، ويصبح زواجه عبادة، كما أن نفقته على امرأته وعياله إذا قصد بها وجه الله تعالى فإنها تكون عبادة ويكون له عليها أجر عند الله تعالى كما قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك)(٤) وفي رواية (إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهي له صدقة)(٥).

والذي يتعلم العلم الشرعي ليعمل به، ويدعو الناس إليه ويخلص نيته لله تعالى في ذلك يؤجر عليه عند الله عز وجل، فقد قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) البينة آية ٥.
(٢) رواه مسلم: انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ٣١٥ كتاب الزهد. باب من أشرك في عمله غير الله سبحانه. رقم ٢٠٨٩.
(٣) النساء آية ١.
(٤) رواه البخاري ح ١ ص ٢٢ كتاب الإيمان. باب ما جاء أن الأعمال بالنية.
(٥) نفس المصدر عن أبي مسعود مرفوعاً.

ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1] وفي الحديث (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[2] وفي الحديث أيضاً (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة)[3].

فيجب تصحيح النية وتفقدها عند العمل لتكون خالصة لله تعالى كي يكون العمل مقبولاً عند الله تعالى فيؤتي ثماره في الدنيا والآخرة. لأنه يصير بتلك النية عبادة.

---

(١) المجادلة آية ١١.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه. انظر الترغيب ح ١ ص ٩٢. كتاب العلم. باب الترغيب في العلم. رقم ١.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي. انظر فتح الباري ح ١ ص ١٦٠ كتاب العلم. باب العلم قبل القول والعمل. رقم ١٠.

الدرس الثاني

العقيدة: تعريفها وطرق الإدراك فيها



تعريف العقيدة

العقيدة لغة: ـ هي على وزن فعيلة بمعنى مفعولة أي معقودة، والعقد هو الجمع بين طرفي الحبل. والعقدة في الحبل أقوى أجزائه، وسميت العقيدة بذلك لأن قضاياها ينعقد عليها القلب، فلا تقبل الانحلال لا بالظن ولا بالشك ولا بالوهم.

اصطلاحاً: ـ هي الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشىء عن دليل[1].

محور العقيدة: ـ حديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر بن الخطاب في صحيح مسلم: ـ «بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وقال: يا محمد ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، قال: صدقت، قال: يا محمد ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: يا محمد متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فما أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم خرج، فقال النبي ﷺ عليَّ بالسائل، فخرجوا يطلبونه فلم يجدوه، فقال ﷺ: أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم أمور دينكم»[2].

---

(١) وتعرف أيضاً بأنها: مجموعة قضايا غيبية مجزوم بها، جاءت عن طريق الخبر الثابت.

(٢) رواه مسلم وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة. انظر جمع الفوائد ح١ ص ١١ كتاب تعريف الإيمان والإسلام. رقم الحديث ٣٦. ثم إن بعض الروايات تقدم السؤال عن الإيمان وبعضها تقدم السؤال عن الإسلام أولاً، وهو من تصرف الرواة كما يرى ابن حجر، انظر فتح الباري ح ١ ص ١١٧ الحديث رقم ٥٠.

والعقيدة محلها القلب وهي ما جرى التعبير عنه في الحديث بالإيمان، وأما الإسلام فمحله الجوارح، وقد اختار الله تعالى الإنسان ليقوم بمهمة الخلافة في الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، والمقصود بالخلافة هنا عمارة هذه الأرض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2]، على أن يتم ذلك من خلال خضوعه لشرائع الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] وقد زوّده الله تعالى بوسائل الإدراك وتسمى بالحواس الخمس، ليتعرف من خلالها على ما يحيط به من حقائق، وأما ما لا يقع تحت الحواس الخمس من الحقائق الغيبية فطريق معرفته الخبر الصادق من عند الله تعالى.

وسنتحدث عن إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته، أولاً، ثم نتبعه بالحديث عن القضايا الإيمانية الأخرى وهي الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.

ولكن هل يجب على المسلم حتى يصح اسلامه أن يستدل على وجود الله تعالى؟.

اختلف العلماء في ذلك على رأيين: -

الأول: - لا يجب الاستدلال على وجود الله تعالى وبه يقول جمهور المحدثين[4].

الثاني: - يجب الاستدلال على وجود الله تعالى، ولكن أصحاب هذا الرأي اختلفوا في وقت الوجوب، فقيل: يجب عند بلوغ سن التمييز وهو سنّ السابعة وبه يقول الإمام الطبري[5]، وقيل: يجب عند بلوغ سن التكليف وبه يقول الأشاعرة[6].

---

(١) البقرة آية ٣٠.
(٢) هود آية ٦١.
(٣) الذاريات آية ٥٦.
(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ح ٤ ص ٥٩ باب هل يكون مؤمناً من اعتقد الإسلام دون استدلال.
(٥) نفس المصدر
(٦) انظر جوهرة التوحيد. برهان الدين اللقاني، في مجموع مهمات المتون ص ١١.

وجه القول الأول: ـ أن الإيمان بالله تعالى فطري مركوز في النفس البشرية: «كل مولود يولد على الفطرة»[1] ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[2]، وقد شهد كل البشر لله تعالى بالوحدانية في عالم الذر حين أخرجهم من ظهر آدم بعد خلقه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[3].

وجه القول الثاني: ـ أما قول الطبري، فلأن التمييز هو أول مراحل الإدراك فيجب أن يكون الاستدلال على وجود الله تعالى أول الحقائق التي يدركها الوليد عن طريق الولي.

وأما قول الأشاعرة: فلأن البلوغ هو أول مراحل التكليف لقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر»[4].

ومحل هذا الخلاف: هو ما لم يكن عند المرء شك في هذه القضية وإلا فيجب الاستدلال عندئذ بلا خلاف وذلك تحصيناً للإيمان من سهام الشك والتشكيك.

وفي ظل الظروف التي نعيشها بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية العثمانية واقتحام الشرق والغرب لعالمنا الإسلامي بمبادئهم المنحرفة عن مقتضى الفطرة أصبح لزاماً على كل مسلم أن يلقن ولده الاستدلال على وجود الله تعالى ليحفظه من الضياع.

ولإثبات وجود الله تعالى طريقان: طريق الفطرة وطريق العقل.

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٨٢ رقم الحديث ١٩٩٠.
(٢) الروم آية ٣٠.
(٣) الأعراف آية ١٧٢.
(٤) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن عائشة مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٥٢٣ رقم الحديث ١٣٩٤.

الطريق الأول: طريق الفطرة:

الفطرة لغة: ـ الخِلْقةُ ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

اصطلاحاً: ـ هي الصفة التي يكون عليها كل موجود أول زمان خلقته[2].

والإنسان يتكون من مادة وروح، المادة هي الجسم البشري، والروح هي الطاقة المحركة لهذا الجسم. ولكل من الجسد والروح غذاؤه:

ولما كان جسد الإنسان مصدره الأرض، بدليل قوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[4] كان مصدر غذائه من الأرض أيضاً، وهو النبات والحيوان، ولما كان مصدر الروح السماء بدليل قوله ﷺ (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح)[5] كان مصدر غذائها من السماء أيضاً، وهو الوحي الإلهي، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[6] فالوحي غذاء الروح، كما الطعام غذاء الجسد.

وكما قد أودع الله تعالى الشهوات في الإنسان ــ شهوة المال والجاه والجنس ــ لتكون دافعاً له في القيام بعمارة الأرض، ولا يشعر المرء بها إلا عند الحاجة إليها، فشهوة الطعام والشراب لا يشعر بها إلا عند الجوع أو العطش، وشهوة الجاه لا يشعر بها الإنسان إلا عند التعامل مع الناس، وشهوة الجنس لا يشعر بها إلا عند البلوغ.

---

(١) فاطر آية ١.

(٢) انظر ترتيب القاموس المحيط ح ٣ ص ٥٠٣.

(٣) طه آية ٥٥.

(٤) الحج آية ٥.

(٥) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٤٨ كتاب القدر. باب في الخلق والشقاوة والسعادة. رقم ١٨٤٧.

(٦) الأنفال آية ٢٤.

كذلك فإن الله تعالى قد أودع الإيمان به في قلب الإنسان ليكون دافعاً له نحو خالقه، ولا يشعر المرء بهذا الإيمان الفطري إلا عند التعرض للخوف، الذي يتهدد حياته، الذي هو بمثابة الجوع المعنوي، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[١].

ومن هنا امتن الله تعالى على الناس بأنه تعالى هو مصدر الأمن من الجوع والأمن من الخوف في حياتهم ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾[٢].

فصح أن الإيمان بالله تعالى فطرة مغروزة في النفس البشرية تتحرك بصورة قطعية عند الخوف على الحياة في كل إنسان مهما كان طاغياً أو غافلاً حتى فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٣]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[٤] فإنه حين أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٥]، لكن الله تعالى لم يقبل منه هذا الإيمان لأنه كان اضطرارياً وليس اختيارياً.

الطريق الثاني: طريق العقل

ويجدر الإشارة إلى مقدمات بين يدي الكلام عن طريق العقل لمعرفة أنواع الأحكام وطرق وصول العقائد إلى القلوب وبعض أهم القواعد العقلية المعترف بها لدى كل البشر لتكون وسيلة لإثبات القضية المختلف عليها بين المؤمنين والملحدين وهي الإيمان بالله تعالى.

تنقسم الأحكام إلى ثلاثة أنواع[6]: عادية، وعقلية، وشرعية.

---

(١) العنكبوت آية ٦٥.
(٢) قريش آية ٤، ٥.
(٣) النازعات آية ٢٤.
(٤) القصص آية ٣٨.
(٥) يونس آية ٩٠.
(٦) أورد الأحكام العادية والأحكام العقلية الأستاذ عبد الرحمن حبنكة في كتاب: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٥.

الحكم لغة: - مصدر مشتق من الحكمة بتحريك الحاء المهملة والكاف والميم وهي الحديدة التي توضع في حنك الفرس لضبط حركته.

اصطلاحاً: - هو نسبة أمر لأمر أو نفيه عنه.

القسم الأول: - الأحكام العادية: - وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: -

ممكن عادي: - وهو كل ما أمكن وجوده وعدمه، مثاله: المطر في الشتاء قد يكون وقد لا يكون، الحر في الصيف قد يكون وقد لا يكون وكذا الرياح في الشتاء قد تكون وقد لا تكون.

الواجب العادي: - هو ما لم يتخلف عادة، مثاله: جاذبية الأرض إلى أسفل، نمو النبات إلى أعلى، برودة الثلج، وحرارة النار. وتسمى سنن الكون والحياة.

المستحيل العادي: - وهو ما لا يحدث عادة. مثاله: عودة الحياة بعد الموت إلى الأبدان في الدنيا، برودة النار، وحرارة الثلج.

القسم الثاني: - الأحكام العقلية: - وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: -

الممكن العقلي: - وهو ما يقبل العقل وجوده وعدمه مثاله: الحياة بعد الموت، وبرودة النار. إذا توفرت القوة القادرة على تحقيق ذلك.

الواجب العقلي: - وهو كل ما لا يقبل العقل عدمه. مثاله: لا بد لكل حدث من محدث، ولا بد لكل فعل من فاعل.

المستحيل العقلي: - وهو ما لا يقبل العقل وجوده. مثاله: الجزء أكبر من الكل، اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما، كقولك زيد حي ميت أو زيد لا هو حي ولا هو ميت.

القسم الثالث: - الأحكام الشرعية: - وهي من المستحيل العادي والممكن العقلي قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[1]، وهي على نوعين: الأول: أحكام تكليفية

(١) الإسراء آية ٨٨.

وهي: واجب، مندوب، حرام، مكروه، مباح. والثاني: أحكام وضعية وهي: السبب والشرط، المانع، الرخصة والعزيمة، الصحة والبطلان.

الطرق المؤدية إلى الإدراك

تنقسم الطرق المؤدية إلى إدراك الأشياء إلى ثلاثة طرق[1]: ـ

الطريق الأول: ـ طريق منطقي سليم يسلك بصاحبه مسلك اليقين.

واليقين: هو إدراك الشيء على ما هو عليه حقيقة، وينقسم إلى أربع شعب:

الشعبة الأولى: ـ إدراك حسي، فعلم يقيني، فاعتقاد راسخ، وينشأ عنه سلوك معين يتناسب معه.

الشعبة الثانية: ـ استنتاج حسي، فعلم يقيني، فاعتقاد راسخ. وينشأ عنه سلوك معين يتناسب معه.

الشعبة الثالثة: ـ الخبر الصادق، فعلم يقيني، فاعتقاد راسخ. فسلوك متناسب معه.

الشعبة الرابعة: ـ الإضاءة الفطرية (الفراسة)، فعلم يقيني، فاعتقاد راسخ. فسلوك متناسب معه.

الطريق الثاني: ـ طريق منطقي مقبول يسلك بصاحبه مسلك الظن وهو إدراك الطرف الراجح، ويشتمل على أربع شعب:

الشعبة الأولى: ـ إدراك حسي، فعلم غالب، فاعتقاد راجح. فسلوك متناسب.

الشعبة الثانية: ـ استنتاج حسي، فعلم غالب، فاعتقاد راجح. فسلوك متناسب.

الشعبة الثالثة: ـ الخبر الصادق، فعلم غالب، فاعتقاد راجح. فسلوك متناسب.

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٣٣.

الشعبة الرابعة: ـ الإضاءة الفطرية فعلم غالب، فاعتقاد راجح. فسلوك متناسب.

الطريق الثالث: ـ **مرفوض يسلك بصاحبه مسلك الشك وهو استواء الطرفين، والوهم وهو إدراك الطرف المرجوح**، وله أربع شعب:

الشعبة الأولى: ـ إدراك حسي، فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الثانية: ـ استنتاج حسي فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الثالثة: ـ الخبر الخاطىء فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الرابعة: ـ الإضاءة الفطرية الخاطئة فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

فلا يصح أن يعتمد العقل سوى الطريق الأول والثاني في معرفة الحقائق، ولا يصح أن يختلف السلوك عن مقتضى الاعتقاد الراسخ المبني على العلم اليقيني المنبثق عن الإدراك الحسي أو الاستنتاج الحسي أو الخبر الصادق أو الإضاءة الفطرية الصحيحة، وإلا كان كمن فقد هذه الحواس ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

قواعد عقلية عامة[2]

ما دام البحث منصباً على قضية إثبات وجود الله تعالى بطريق العقل فإن من المناسب أن نذكر قواعد عقلية مسلمة بين يدي الكلام في الأدلة العقلية على وجود الله تعالى لتكون مدخلاً للأدلة العقلية الرئيسية، من هذه القواعد: ـ

١ـ الدور باطل: ـ وهو توقف وجود الشيء على وجوده نفسه. كقولنا: لن تدخل الجنة حتى تؤمن ولن تؤمن حتى تدخل الجنة.

٢ـ التسلسل باطل ـ وهو توقف حصول الشيء على حصول غيره بلا نهاية.

---

(١) الأعراف آية ١٧٩.

(٢) أشار الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي إلى ثلاثة منها، وهي (١ و٢ و٤) في كتابه (كبرى اليقينيات الكونية) ص ٧٩.

٣ـ النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان: ـ إذا وجد أحدهما انتفى الآخر. كالليل والنهار، والموت والحياة، إلا أن تنفك الجهة الزمانية أو المكانية.

٤ـ لا ترجيح بلا مرجح: ـ كالحال في كفتي الميزان لا ترجح إحداهما على الأخرى إلا بشيء يوضع فيها وإلا كان الميزان فاسداً.

٥ـ لا بد لكل حدث من محدث أي (لا بد لكل فعل من فاعل).

٦ـ لا بد لكل حادث من بداية وما كان له بداية فلا بدّ له من نهاية.

٧ـ الخبر المتواتر يفيد العلم اليقيني: ـ لأن العادة تحيل تواطؤ رواته على الكذب.

والعقل يرفض ما يناقض هذه القواعد كما يرفض البدن السليم ماا يدخل فيه من الأجسام الغريبة كالشوكة ونحوها، ما لم يكن العقل مريضاً، بأن يكون فيه واحد من الموانع التالية: ـ

اتباع الهوى، وهو فعل المرء ما يرغب، دون مراعاة لمقتضى الشرع أو العقل.

التقليد، وهو العمل برأي الغير بدون معرفة دليله من كتاب أو سنة.

التعصب، وهو تقديم قول من يحب ولو تبين له خطأ ما هو عليه عقلاً أو شرعاً.

اتباع الشهوات، وهي شهوة الجاه أو الجنس أو المال وتقديمها على مقتضى الشرع.

مثال تطبيقي: كان النبي ﷺ معروفاً بين الناس في مكة بالصادق الأمين فلما نزل عليه الوحي اتهموه بالكذب والجنون. اتباعاً للهوى وتقليداً للآباء وتعصباً لهم وحفاظاً من زعماء قريش على شهواتهم المادية والمعنوية.

وسنتحدث فيما يتعلق بتوحيد الله تعالى عن الأدلة العقلية في إثبات وجوده في إطار ما يسمى بتوحيد الربوبية، ثم نتبعه بالكلام عن توحيد الألوهية ثم توحيد الأسماء والصفات.

الدرس الثالث

توحيد الربوبية: الأدلة العقلية



التوحيد وأنواعه

التوحيد تفعيل من الوحدة، وهو جعل الشيء واحداً، والمقصود بتوحيد الله تعالى اعتقاد أنه تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فلا يشاركه فيها أحد ولا يشبهه فيها أحد.

فتوحيد الربوبية يعني تفريد الله تعالى في الخلق والإيجاد، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1] ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[2].

وتوحيد الألوهية يعني تفريد الله تعالى في العبادة وهي الأمر والنهي أي في التشريع والتقنين للخلق، وفي ذلك يقول تعالى ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾[3] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[4].

وتوحيد الأسماء والصفات يعني تفريد الله تعالى في الأسماء الحسنى والصفات العلا، بحيث لا يثبت لغيره نظيرها على نحو ما هي ثابتة له، لقوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[5]، وفي ذلك يقول تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[6] ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[7] ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[8].

وهذه الأنواع الثلاثة من التوحيد لا ينفك بعضها عن بعض، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، لأنه ما دام الله تعالى هو الخالق فيجب عقلاً أن يكون هو الآمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾[9] فكما أن مصنع السيارة مثلاً هو الذي يستحق وضع

---

(١) الزمر آية ٦٢.
(٢) فاطر آية ٣.
(٣) الصافات آية ٤.
(٤) البقرة آية ٢٥٥.
(٥) الشورى آية ١١.
(٦) الأعراف آية ١٨٠.
(٧) مريم آية ٦٥.
(٨) الإخلاص آية ٤.
(٩) الأعراف آية ٥٤.

«المرشد الميكانيكي» لها دون سواه لأنه أعرف بدقائق وحقائق مصنوعاته، كذلك الله تعالى الذي هو خالق كل شيء ومن جملة ذلك الإنسان، هو الذي يستحق وضع التشريع للإنسان دون سواه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١) وتوحيد الربوبية والألوهية يستلزم توحيد الأسماء والصفات، لأن مخلوقاته كلها موصوفة بالتمام والإتقان ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٢) ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾(٣) ولا يصدر الكمال إلاّ عن كامل.

وإنما جرى تقسيم التوحيد إلى هذه الأنواع الثلاثة تيسيراً على الدارس وتسهيلاً عليه، كما جرى تقسيم مادة الفقه إلى فقه عبادات وفقه معاملات وفقه أحوال شخصية وفقه جنايات، وكلها داخل ضمن العبادة لأنها قضايا أمر الله تعالى بها.

أهمية التوحيد:

إن لتوحيد الله تعالى أثراً على الإنسان في الدنيا وفي الآخرة.

أما أثر التوحيد في الدنيا: فإن له أهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع والبيئة.

أما أثره في الفرد: فإنه يورثه اطمئناناً في نفسه وسعادة فيها، لأنه يتجه في الطاعة إلى جهة واحدة، وهو الله تعالى لأن من تعدد الآمرون له فإنه يصاب بالاضطراب الذي يؤدي به إلى الشقاء، بسبب تعارض الأوامر، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

فيكون توحيد الله تعالى في الإنسان له أثر كبير على الفرد فيوفر له الأمن والطمأنينة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٥).

---

(١) الملك آية ١٤.
(٢) النمل آية ٨٨.
(٣) السجدة آية ٧.
(٤) الزمر آية ٢٩.
(٥) الأنعام آية ٨٢.

وأما أثر التوحيد في المجتمع: فإن الإنسان اجتماعي بطبعه وكلما كثر الناس في المجتمع كلما تداخلت علاقاتهم وتضاربت مصالحهم، فإذا كانت جهة التشريع عندهم واحدة، فإن ذلك يجمعهم على اتجاه واحد، في حين أنه إذا تعددت جهة التشريع فيهم فإن كل فئة سيكون لها توجه يختلف عن غيرها اختلافاً كلياً أو جزئياً، ويتسبب ذلك التعدد في تفكيك عرى المجتمع وتقطيع الروابط فيه، ويجرهم إلى النزاع والصراع، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

وأما أثر التوحيد على البيئة: فإن الله تعالى خلق الكون بكلمته الكونية التي يقول فيها للشيء كن فيكون ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2] وقد شاء الله تعالى أن يجعل إرادة الإنسان حرة ليتوجه إليه أمر حمل الأمانة، التي هي التكاليف الشرعية، فمن عمل بمقتضى الكلمة الشرعية انسجم بذلك مع الكون من حوله فيورثه ذلك أمناً وسلامة وبركة وعطاء من الله تعالى، ومن خالف مقتضى الكلمة الشرعية فلم يعمل بها، تصادم سلوكه مع الكون المحيط به، والتصادم يورث الخراب والفساد ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[3] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[4].

فتكون كلمة الله تعالى الشرعية في البشر بمنزلة الروح في البدن، وقد سماها الله تعالى روحاً ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[5] فمتى كانت الروح في البدن حصل فيه النمو والانسجام، ومتى فارقت الروح البدن توقف النمو فيه وفسد، كذلك الكلمة الشرعية في الأرض بمثابة الروح في البدن، متى كانت معمولاً بها في الأرض ورثت البيئة خيراً كثيراً وعطاء كبيراً، ومتى توقف العمل بها في الأرض وفارقت أهلها ورثت البيئة خراباً كبيراً وفساداً عريضاً، وهو الذي سيحصل في آخر

(١) الأنفال آية ٤٦.
(٢) النحل آية ٤٠.
(٣) طه آية ١٢٤.
(٤) النحل ١١٢.
(٥) الشورى آية ٥٢.

الزمان حيث يتهدّم نظام الكون عندما يُفقد الإيمان بالله والعمل الصالح بين الناس بصورة كاملة وتامة، كما قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله)[١] وقال أيضاً (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق)[٢].

فكان من الأهمية بمكان معرفة توحيد الله تعالى في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته لما له من أثر في الدنيا على الفرد والمجتمع والبيئة.

وأما أثر التوحيد في الآخرة: فإنه الطريق الموصل إلى الجنة ابتداء وانتهاء فإنه لو عاقب الله تعالى المؤمن على معاصيه التي مات ولم يتب منها بنار جهنم فإنه يخرج منها في نهاية المطاف ما دام أنه قد اجتنب الشرك بالله تعالى، لأن الشرك لا يغفر لمن مات عليه ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٣] وفي الحديث (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله)[٤].

توحيد الربوبية

ثمة خمسة أدلة على إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته في الخلق والإيجاد وهي: دليل الإلزام والإمكان والتغير والسببية والإتقان[٥]، وسنفرد الأخير بدرس خاص لطوله.

الدليل الأول: الإلزام العقلي

مضمونه: ـ أن الوجود والعدم نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان إذا وجد أحدهما انتفى الآخر.

---

(١) رواه مسلم عن أنس مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٥ كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله. رقم الحديث ٢٠٢٠.
(٢) نفس المصدر. رقم الحديث ٢٠٢٢.
(٣) المائدة آية ٧٢.
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٥٤٩ رقم الحديث ٣٢٢٨.
(٥) انظر مجمل هذه الأدلة في: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ١٢٧.

ولنفرض أن العدم هو الأصل ويجاب على ذلك: بأن العقل يتساءل؛ هذا الوجود المتقن كيف تحول من العدم إلى الوجود لو كان أصله العدم؟ فلا بد من مرجح لأحد الاحتمالين وإلا فهو الخروج عن مقتضى العقل البشري، لأن العدم حالة سلبية لا يصح أن ينبثق عنها هذا الوجود وإذا بطل أن يكون العدم هو الأصل صح نقيضه وهو أن الأصل هو الوجود ثم انبثق عنه هذا الكون.

ومتى ثبت أن الوجود هو الأصل فإنه لا بداية له، لأنه لو كانت له بداية لكان مسبوقاً بالعدم، وقد أثبتنا أن الوجود هو الأصل لأنه يؤثر في غيره ولا كذلك العدم.

ومتى ثبت أنه لا بداية له فقد ثبت أنه لا نهاية له، لأن ما لا بداية له لا نهاية له، كما أن ماله بداية فإنه له نهاية.

ولهذا يعبر عن وجود الله تعالى بالوجود المطلق. وقد ورد في الحديث: «اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك وأنت الآخر فلا شيء بعدك»[1]، ولمّا ثبت أن ذات ما يخطر في البال الأصل فيه الوجود [وهو الله تعالى] ثبت نقيضه لما عداه، فيكون الأصل في المخلوقات العدم ثم وجدت بقوّة الله تعالى، وبالتالي فإن لها بداية، وما كان له بداية فإن له نهاية. وهي المسماة في الشرع بقيام الساعة

الدليل الثاني: الإمكان العقلي

مضمونه: ـ إيراد احتمالات كثيرة على الأحوال القائمة ثم التساؤل عن سبب تخصيصها بممكن واحد دون غيره وهو الحال التي هي عليه الآن، وسيكون الجواب عند أهل الاختصاص: أن الحكمة اقتضت ذلك، ويكون جوابنا: الحكمة صفة تحتاج إلى موصوف تقوم به وهو الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾[2].

---

(١) رواه ابن شيبة ومسلم والترمذي والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً بألفاظ قريبة منه، انظر فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ١٦٦ عند تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ من سورة الحديد آية ٣.

(٢) الحديد آية ١.

وجملة الدليل: أننا نورد على العوالم القائمة إيرادات كثيرة فنقول مثلاً:

إن عالم الفلك يتكون من نجوم وهي حارة وكواكب وهي باردة فلماذا لم تكن الأجرام الفلكية كلها نجوماً أو كواكباً؟ فيجيب علماء الفلك بأن الحكمة اقتضت ذلك لكي يتم التفاعل الكيماوي في المخلوقات.

كما نورد ممكنات عقلية على عالم النبات فنقول: لماذا لم تكن النباتات كلها بحجم واحد وشكل واحد ولون واحد وجنس واحد؟ سيكون الجواب عند علماء النبات: أن الحكمة اقتضت ذلك ليمكن الاستفادة منها من جهة الإنسان والحيوان، والحكمة صفة تحتاج إلى موصوف تقوم به وهو الله تعالى.

كما نورد احتمالات عقلية على الإنسان فنقول من الممكن عقلاً أن يكون الإنسان على غير هذا التركيب البدني كأن يكون برأسين أو بثلاثة مثلاً، كما نورد مثل ذلك على عالم الحيوان ثم نتساءل: لماذا خص هذا التركيب القائم فيها دون غيره من الممكنات العقلية؟ سيكون الجواب: أن الحكمة اقتضت ذلك لئلا تتضارب الأوامر في البدن، ونقول: الحكمة صفة الحكيم وهو الله تعالى.

وإن من يدعي وجود هذا الكون بطريق الصدفة مع ذلك الاختيار الحكيم للحال القائم دون غيره، فإنه يكون كمن يقول: بأن صندوقاً مليئاً بالحروف المطبعية انقلب من يد صاحبه فتشكلت منه قصيدة في غاية الحكمة والدقة والبلاغة بحيث تستعصي على نقد الناقدين وتفنيد الباحثين، ولا يقول ذلك عاقل من البشر.

الدليل الثالث: دليل التغير

ومعناه التحول من حال إلى حال، ويعتمد هذا الدليل على القاعدة التي تقول: العالم متغير، وكل متغير حادث، فالعالم حادث.

والعالم يطلق على كل ما عدا الله عز وجل، فمنه عالم الجماد ومنه عالم النبات ومنه عالم الحيوان ومنه عالم الفلك، ويشتمل كل عالم من هذه العوالم على أنواع لا حصر لها ولا عد، فلا يعلم مداها ولا عددها إلا الله عز وجل، وهي كلها متغيرة ولكن تغيرها على نوعين:

النوع الأول: ـ تغير بسيط: ـ أي يرى بالعين المجردة كالدورة الفلكية من شروق الشمس وغروبها وكذا القمر وكالدورة النباتية حيث يتحول النبات من بذرة إلى نبتة إلى ثمار ثم إلى هشيم ثم يعود إلى ما كان عليه بذراً، كما تتحول أجزاؤه إلى عناصرها الأولية.

وكذا الدورة الحيوانية: يتحول الإنسان فيها من حيوان منوي إلى جنين ثم إلى مولود يمر بعدها في حياته: بأدوار مختلفة تنتهي بموته وتحلله إلى عناصره الأولية التي نشأ منها في التراب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾[1].

النوع الثاني: ـ تغير مركب: ـ أي لا يرى إلا بالمجاهر والمكبرات كما هو الحال في عالم الذرة حيث تتركب من جزئين: **الأول**: بروتون وهو مركزها والثاني الكترون حيث يدور حول مركز الذرة في نظام محكم[2]، وكالخلية: ـ وهي عبارة عن كيس بداخله مواد أساسية تتكون منها الخلية[3] وتتفاعل هذه المواد مع نواة الخلية لتوفير عنصر الطاقة للبدن الذي يتشكل من مجموع هذه الخلايا، وهذه الخلية لا ترى بالعين المجردة وإنما بواسطة المجاهر والمكبرات.

وجه دلالة التغير على وجود الله تعالى: ـ هو أن التغير دليل نقص في المتغيرات لحاجتها إليه، إذ بدونه تتلف العوالم، فلا يصح أن يصرف شيء من العبادة لشيء منها لنقصها، ومن هنا فقد اتخذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام من ظاهرة التحول في الكوكب والقمر والشمس دليلاً على عدم استحقاقها للعبادة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ

---

(١) الحج آية ٥.
(٢) انظر موسوعة: بهجة المعرفة ح ١ ص ١١٣.
(٣) نفس المصدر ح ٤ ص ٤٢.

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[2].

الدليل الرابع: دليل السببية

السبب في اللغة: ـ هو الشيء الموصل إلى غيره، كالحبل سبب في استخراج الماء من البئر مثلاً. والطائرة سبب في الوصول الى البلاد البعيدة.

وفي الاصطلاح: ـ هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم.

مضمون دليل السببية: ـ هو النظر في عوامل الربط بين أجزاء الكون التي تجعله وحدة واحدة.

فالكون يتألف من أربعة عوالم، أصغرها عالم الفلك ثم يليه عالم السموات ثم عالم الكرسي ثم عالم العرش وهو أكبرها على الإطلاق. فعالم الفلك منضبط في ذاته في مجموعاته الفلكية ومرتبط بعالم السموات، وعالم السموات منضبط في ذاته ومرتبط بعالم الكرسي، وعالم الكرسي منضبط في ذاته ومرتبط بعالم العرش. وعالم العرش منضبط في ذاته ومرتبط بخالقه، فكل واحد من هذه العوالم يعتمد على ما فوقه، ثم هي جميعاً مرتبطة بخالق الكون كله الذي يهيمن على كل ذرة فيه قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[3]، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[4]، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[5].

بناء على ذلك تكون حبة القمح مثلاً قد أثر في إيجادها بأمر الله تعالى عالم الفلك وعالم السموات وعالم الكرسي وعالم العرش، وإن كنا لا نعرف كيفية هذا

---

(١) الأنعام آية ٧٨.
(٢) فصلت آية ٣٧.
(٣) الجاثية آية ١٣.
(٤) البقرة آية ٢٥٥.
(٥) التوبة آية ١٢٩.

التأثير على وجه التفصيل.

فارتباط عوالم الكون بعضها ببعض أنتج الحركة والحياة في الكون، كما أن ارتباط أجهزة البدن وخلاياه أنتج فيه الحركة والحياة.

فدليل التغير يعني تتبع حالة الضبط في المخلوقات ودليل السببية يعني تتبع حالة الربط فيما بين هذه المخلوقات.

وبالضبط والربط يصبح الكون وحدة واحدة يدل على وحدانية خالقه سبحانه وتعالى.

الدرس الرابع

دليل الإتقان



الدليل الخامس: دليل الإتقان

الإتقان لغة: ـ مصدر مشتق من الفعل أتقن الشيء يتقنه إتقاناً إذا أحكمه[1] وأتى به على وجه الكمال.

وجه دلالته: ـ أن الإتقان وصف ينعكس على المصنوع يحمل دلالة على علم الصانع ومعرفته الدقيقة بما يصنع، مما يحيل اعتقاد أن يكون هذا الشيء قد حدث بمفرده دون صانع، فإن القول في مجموعة من العصي ملقاة في الأرض بصورة عشوائية مثلاً ليس كالقول في مجموعة أخرى في حالة من التشابك والترابط المحكم فإن العقل يمنع أن تكون هذه الأخيرة قد جاءت بلا فاعل أو بفعل فاعل غير متصف بالعلم والمعرفة والحكمة والقدرة. ومثل ذلك يقال في عالم الصناعة البشرية في شتى جوانبها في عالم البرّ والبحر والجوّ، ولدلالة الإتقان في الكون على وجود الله تعالى نتتبع الظواهر التالية:

الظاهرة الأولى: ـ التطابق

التطابق قائم بين عالم الفلك وعالم الذرة، فعالم الذرة يشتمل على فضاء ذرى فيه الكترونات وبروتون، تدور الإلكترونات حول البروتون الذي هو مركز الذرة بسرعة هائلة قدرت بحسب العنصر الذي يشتمل على هذه الذرة بمليارات الدورات في الثانية الواحدة، وهي تدور بعكس عقارب الساعة حول نفسها وحول محورها[2].

وعالم الفلك الذي هو فضاء السماء الأولى التي تحيط به إحاطة الكرة بما فيها من هواء، يشتمل على أجرام فلكية لا تحصى تنقسم إلى مجموعات فلكية مختلفة تدور كل مجموعة منها حول نفسها وحول مركز المجموعة التي هي تابعة لها، فينشأ عن هذا الدوران قوة الجذب والتماسك في عالم الفلك، كما ينشأ نظيره في عالم الذرة[3].

---

(١) انظر ترتيب القاموس المحيط ح ١ ص ٣٧٣ مادة: تقن.
(٢) الله جل جلاله سعيد حوى ص ١٠٦ ظاهرة الوحدة.
(٣) نفس المصدر.

إن التطابق بين نظام عالم الذرة وهي متناهية في الصغر مع نظام عالم الفلك وهو متناه في الكبر لدليل واضح على صفة الإتقان والإحكام في الصنعة مما يدل بصورة قطعية على وجود خالق لهذا الكون.

الظاهرة الثانية المجموعة الشمسية

الكلام في المجموعة الشمسية من حيث إن النظام فيها عبارة عن شمس وهي نجم يرسل بأشعته وحرارته إلى ما يرتبط به من الكواكب والنجيمات.

وقد قدرت النجيمات المرتبطة بمجموعتنا الشمسية بأكثر من ثلاثين ألف نجيمة[١]، وأما الكواكب المرتبطة بالشمس فهي تسعة كواكب: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانس، نبتون وبلوتو[٢]. وجميع هذه النجيمات والكواكب تدور حول نفسها وحول الشمس التي هي مركزها في المجموعة الشمسية، وتتفاوت سرعة هذه الكواكب والنجيمات كما تتفاوت أحجامها وأبعادها، فالأرض تقطع خمسة وستين ألف ميل في الساعة الواحدة أثناء دورانها حول الشمس[٣]، فتقطع في السنة الواحدة مائة وتسعين مليون ميل، بينما يقطع أبعد الكواكب التسعة عن الشمس (بلوتو) في دورته حول الشمس سبعة آلاف وخمسمائة مليون ميل في الدورة الواحدة[٤].

وينشأ عن دورة الكواكب والنجيمات في المجموعة الشمسية بسرعاتها المختلفة وأبعادها المتفاوتة عن الشمس ظاهرة الحياة على ظهر هذه الأرض التي نعيش عليها، بحيث لو اختلفت هذه السرعات أو تلك الأبعاد عما هي عليه لاختل نظام الحياة في عالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان وعالم الجماد أيضاً على ظهر هذه الأرض، مما يدل دلالة قاطعة على وجود قوة موصوفة بالحكمة والعلم والخبرة تهيمن على هذا الكون في جميع أجزائه.

---

(١) الإسلام يتحدى ص ٥٧.
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ح٧ ص ٤٩٠ مادة مالك.
(٣) دائرة معارف القرن العشرين ح٧ ص ٤٩٨ مادة (فلك). قصة الإيمان ص ٣٢٢.
(٤) الإسلام يتحدى ص ٥٧ وص ٥٨.

الظاهرة الثالثة: الكرة الأرضية

الأرض واحد من الأجرام الفلكية التي يتكون منها عالم الفلك، يحيط بها غلاف غازي تبلغ سماكته خمسمائة ميل ويتركب من ستة أنواع من الغازات هي: أراجون، نيون، كربتون، كنسيون، أكسجين، ونيتروجين، وهي بنسب مختلفة ومتفاوتة، الأكسجين ٢١ ٪، والنتروجين ٧٨ ٪، ثم الواحد في المائة الباقي موزع على باقي الغازات الأربع الأخرى[(١)].

وبوجود هذا الغلاف الغازي بهذه النسبة أصبح له دور بالغ في تحقيق الحياة على ظهر هذه الأرض:

أولاً: ـ يحفظ الأرض من أن تصل إليها الأشعة الشمسية القاتلة (فوق البنفسَجية) ويوصل أنواعاً من الأشعة إلى الأرض لتوفير أسباب الحياة على ظهرها للحيوان والإنسان والنبات، ويمتص البعض الآخر لتوفير بدائل عما يستهلكه الغلاف الغازي[(٢)] منها.

ثانياً: ـ يحفظ الأرض من الشهب والنيازك المحيطة بالأرض والتي تدور حولها بسرعات هائلة وتتساقط باتجاهها، تبلغ سرعة النيزك أربعين ميلاً في الثانية الواحدة[(٣)]، فتحول هذه السرعة دون سقوط هذه النيازك على الأرض وتنزلق بعيداً عنها بسبب وجود الغلاف الغازي حولها[(٤)]. بل إن بعض هذه النيازك التي هي شديدة الحرارة لتنفجر فور ملامستها للغلاف الغازي الذي هو شديد البرودة وتتحول إلى غبار في الفضاء الخارجي.

ثالثاً: ـ الغلاف الغازي وسيلة للاتصالات وللمواصلات، فلولاه لما أمكن التخاطب بين الناس لأنه هو الذي ينقل الذبذبات الصوتية من مصادرها إلى غاياتها.

---

(١) انظر: العلم يدعو للإيمان ص ٦٩. الفصل الثالث: الغازات التي نتنسّمها. الإسلام يتحدى ص ٦٦ قانون الضغط والتوازن في الباب الرابع. دائرة معارف القرن العشرين ح ٧ ص ٤٩٩ مادة: مَلك.

(٢) انظر: العلم يدعو للإيمان ص ٦٦ الفصل الثاني: الهواء والمحيط. الإسلام يتحدى ص ٦٦ التوازن المدهش. الإنسان بين العلم والدين ص ١٠٥: الأرض في القرآن الكريم.

(٣) الإسلام يتحدى ص ٦٥ التوازن المدهش. والتي يليها.

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن محمد السيد أرناؤوط ص ٢١٥.

ووجود الغلاف الغازي على هذا النحو مرتهن ببعد الأرض عن الشمس بمقدار ثلاثة وتسعين مليون ميل، فلو اقتربت الأرض من الشمس أو ابتعدت لأدى ذلك إلى نشوء اختلال كبير في الغلاف الغازي تفسد معه إمكانية الحياة على ظهر هذه الأرض للنبات والإنسان والحيوان[١].

الظاهرة الرابعة: القشرة الأرضية

القشرة الأرضية تتركب من مائة وثلاثة عناصر[٢]. أهم هذه العناصر هي: الأكسجين ٤٧٪، السليكون ٢٨٪، الألومنيوم ٧,٨٪، الحديد ٤,٤٪، الكالسيوم ٣,٤٪، البوتاسيوم ٢,٥٪، والصوديوم ٢,٤٪، والماغنسيوم ٢,٤٪، وتبلغ نسبة هذه العناصر في القشرة الأرضية ثمانية وتسعون في المائة، وتتوزع نسبة الاثنين في المائة على سائر العناصر وهي خمسة وتسعون عنصراً، ثم هذه العناصر تتوزع النسبة المئوية فيها بنسب مختلفة ينشأ عنها تماسك هذه القشرة الأرضية[٣].

تبلغ سماكة القشرة الأرضية خمسون كيلومتراً[٤]، وتشتمل على مياه بنسبة تسعة وسبعين في المائة، ويابسة بنسبة واحد وعشرين في المائة[٥]. وتعتمد الحياة في اليابسة على الماء الذي يصل إليها بواسطة المطر.

اليابسة تحتوي على تضاريس مختلفة تتراوح بين جبال ووديان وسهول ينشأ عن ذلك عامل التوازن في الأرض أثناء حركتها المحورية حول نفسها والدائرية حول الشمس التي ينشأ عنها الليل والنهار ليكون عنصر حياة وتجديد للطاقة النباتية والحيوانية والبشرية[٦].

---

(١) انظر: الإسلام يتحدى ص ٦٢ التوازن المدهش.
(٢) الإعجاز العلمي في القرآن أحمد الأرناؤوط ص ٢٣٤.
(٣) انظر: الأرض من تحتنا ص ١٠١.
(٤) انظر: بهجة المعرفة ح ٣ ص ٢٦٤ الأرض. وقد قيل: إن نسبة القشرة الأرضية إلى حجم الأرض كقشرة التفاح إلى محتواها.
(٥) الإنسان بين العلم والدين ص ١٠٧ الأرض في القرآن الكريم.
(٦) انظر: الإسلام يتحدى ص ٦٣ التوازن المدهش في الأرض.

الظاهرة الخامسة: الوحدات على ظهر الأرض

تتكون هذه الوحدات من أربعة عناصر: ـ الجماد ـ النبات ـ الحيوان ـ الإنسان.

أشرف هذه العناصر هو الإنسان قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

وقد سخر الله عز وجل لهذا الإنسان في هذه الأرض كلّ ما يمكنه من القيام بدور الخلافة فيها: قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، والتي من مهماتها عمارة هذه الأرض قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[3]، على أن يكون ذلك من خلال شرع الله تعالى وأحكامه قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[4].

وفي الجسم البشري من عجائب القدرة والإتقان ما لا يمكن حصره والوقوف عليه لأنه معجز في ذاته، لكننا سوف نتحدث عن واحد من مظاهر الإتقان في الجسم البشري وهو الجهاز الهضمي الذي يقوم بعملية استخلاف لما يتهدم أو يستهلك من الخلايا فيه لتستمر فيه الحياة حتى يستوفي أجله المكتوب في علم الله تعالى.

فالجسم البشري يستهلك في الثانية الواحدة مائة وخمسة وعشرين مليون خلية، أي ما يعادل سبعة آلاف وخمسمائة مليون خلية في الدقيقة الواحدة[5] وهكذا تستمر عمليات الهدم والاستخلاف في الجسم البشري طيلة الفترة الزمنية التي أعطاها الله تعالى له. وحتى تتم عملية الاستخلاف فإنه لا بد من وجود

---

(١) الإسراء آية ٧٠.
(٢) البقرة آية ٣٠.
(٣) هود آية ٦١.
(٤) الذاريات آية ٥٦.
(٥) انظر: الطب محراب الإيمان ص ٤٠.

مواد من ذات العناصر التي تتكون منها الخلية المستهلكة، وذلك أن الخلية عبارة عن كيس متناه في الصغر لا يرى بالعين المجردة بداخله سائل يسمى السيتوبلازم يتكون من ستة عناصر وهي: ـ أملاح، بروتينات، دهنيات، نشويات، فيتامينات، وماء(١).

وبتفاعل هذه المواد تتم عملية توفير الطاقة الحياتية للجسم البشري، وعناصر الخلية موجودة في النبات وفي الحيوان الذي يتم الحصول عليه على هيئة غذاء بواسطة الطهي (الطبخ).

حيث بتناول اللقمة من الغذاء تبدأ عملية الهضم عبر الفم وما فيه من الأسنان القاطعة والأضراس الطاحنة واللسان الذي يقلّب اللقمة التي تمتزج باللعاب في الفم، ثم يقذف اللسان بها إلى مجرى الطعام في القصبة الهوائية لتصل إلى المعدة التي تقوم بإفراز مادة هاضمة حمضية تحول هذا الغذاء إلى عناصره الأساسية التي تتكون منها الخلية، يساعدها في ذلك جهاز البنكرياس والمرارة التي تفرز المزيد من تلك المواد الهاضمة، حتى إذا ما وصل الغذاء إلى الأمعاء الدقيقة أفرزت عليه مزيداً من المواد الهاضمة لهضم ما استعصى على المعدة منه، ثم تمتصه وتحوله إلى مادة لبنية تدفع به إلى القلب الذي يقوم بضخ هذه المواد على هيئة دم أحمر اللون عبر شبكة الشرايين التي توصل هذه المواد إلى جميع أجزاء البدن لتتم عملية استخلاف ما تهدم من تلك الخلايا كي تستمر الحياة في البدن حتى الأجل المحتوم(٢).

إن هذه العملية الدقيقة والمحكمة ذات الارتباط الشامل بالكون من حول هذا الإنسان لتدل دلالة قاطعة على وجود خالق قوى قدير عليم حكيم، أوجد هذا الكون بما فيه وبمن فيه، قال الشاعر: ـ

وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة ... تـــدل عـــلـــى أنـــه واحـــد

---

(١) انظر: توحيد الخالق ح ٢ ص ٣٥. الإعجاز العلمي في القرآن ص ٢٤٧.

(٢) انظر: توحيد الخالق ح ١ ص ٤٤ وص ٥١. العلم يدعو للإيمان. كريسي موريسون ص ١٥٣. الطب محراب الإيمان ص ١٤٤.

وقد استدل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى[1] على ظاهرة الإتقان في مناظرته لجمع من الفلاسفة الملحدين[2] وذلك حين طلبوه للمناظرة فتأخر عن الوصول في الموعد المحدد، وحين سألوه عن سبب ذلك، أجاب: بأنه لم يجد مركبا يعبر به النهر للوصول إليهم من الضفة الأخرى، فانتظر طويلاً ثم لم يلبث أن رأى شجرة على شاطئ النهر وقد انشقت ألواحاً وانشد بعضها إلى بعض فتكون منها مركب، فأنزله إلى الماء وعبر به إليهم، فلما استنكروا ذلك عليه، قال: كيف تريدون أن أسلم لكم بأن هذا الكون وما فيه من مظاهر الإتقان والإبداع وجد بدون موجد وأنتم لا تسلمون بوجود مركب بدون موجد؟ فانقطعوا عن المناظرة وأسلموا[3].

---

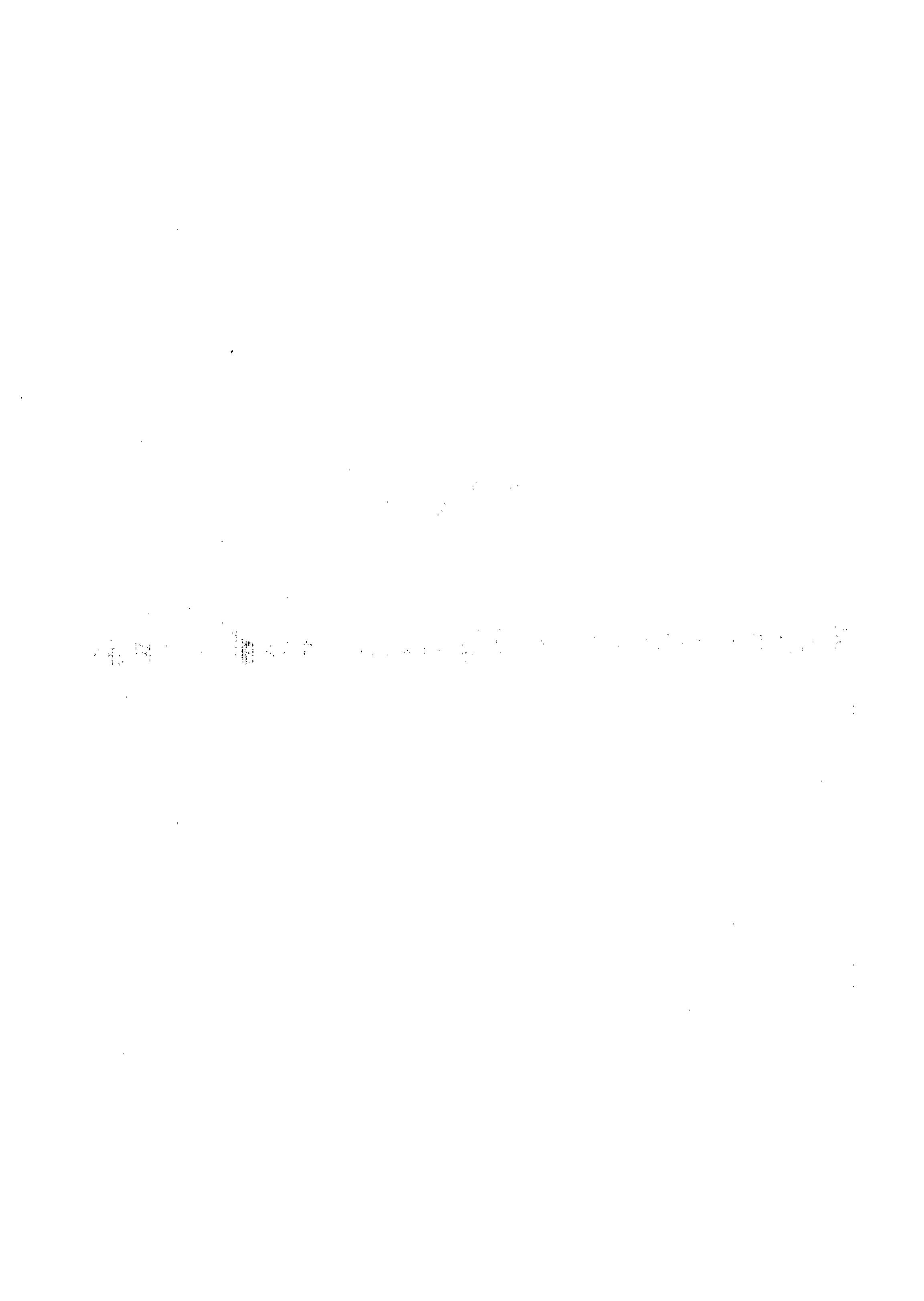
(١) كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى مشهوراً بقوته في المناظرة، حتى قال فيه الإمام مالك: رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. أهـ أي لو ادعى أنها ذهب لاستطاع أن يثبت ذلك بقوة منطقه وقاهر حجته. انظر الأعلام للزركلي ح ٨ ص ٣٦ توفي رحمه الله تعالى سنة ١٥٠هـ الموافق ٧٦٧م.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥.

(٣) أورد هذه القصة أيضاً عبد الرحمن حبنكة في العقيدة الإسلامية وأسسها ص١٤٢.

الدرس الخامس

توحيد الألوهية: عوامل بناء كيان الفرد والجماعة



توحيد الألوهية

المقصود بتوحيد الألوهية تفريد الله تعالى بالطاعة المطلقة وتسمى العبادة: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[2]، فـإذا تعارض أمر الله تعالى مع أمر غيره، يجب تقديم أمر الله تعالى عليه في حال الاختيار.

ولكن لماذا يستحق الله تعالى وحده الطاعة المطلقة دون سواه؟ للإجابة على ذلك نقول:

خلق الله تعالى الإنسان مشتملاً على جانبين: -

الجانب الأول: مادي: - وهو هذا الجسد المحسوس.

الجانب الثاني: معنوي: - وهو تلك الروح التي لا نحسها، وإنما ندرك أثرها في البدن بحركته، ومتى تحول البدن إلى جثة هامدة عرفنا أن الروح قد فارقته.

ومادة خلق البدن هي الأرض. كما قال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[3]، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾[4]. والأرض مصدر غذاء الإنسان الذي يتكون من النبات والحيوان، ويتحول هذا الغذاء بعملية الهضم إلى دماء، ثم تتحول الدماء إلى نطفة ثم تنتقل بالجماع إلى رحم المرأة فيتكون منها الجنين ثم يولد ويصير خلقاً غير الأم، فالبدن شيء محسوس فإذا مرض أمكن معالجته.

وأما الروح فإنها غير محسوسة، قال قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[5]، وبالتالي فإنه متى مرضت بالانحراف العقائدي والسلوكي والأخلاقي وهي مستعدة لذلك ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[6] فلا

---

(١) النساء آية ٣٦.
(٢) الإسراء آية ٢٣.
(٣) طه آية ٥٥.
(٤) نوح آية ١٧.
(٥) الإسراء آية ٨٥.
(٦) يوسف آية ٥٣.

يمكن لأحد أن يعالجها إلا الذي خلقها ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

ولما كان الله تعالى هو الخالق لهذا الإنسان استحق أن يكون وحده دون سواه هو الآمر، لعلمه بما خلق على وجه الحقيقة والتمام: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾(٢)، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(٣)، فصارت الشرائع الإلهية للإنسان بمثابة المرشد الميكانيكي للآلة، فما دام أن الله تعالى هو الخالق فيجب أن يكون هو الآمر، وكما أنه لا يصح أن يوضع المرشد الميكانيكي للآلة من جهة غير المصنع الذي صنعها، كذلك فإنه لا يصح أن يكون الآمر والناهي للإنسان غير خالقه عز وجل.

الصراع بين الإنسان والشيطان

عندما خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وأسجد له الملائكة تمرد إبليس فلم يسجد تكبراً وحسداً: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾(٤)، فطرده الله تعالى من رحمته وتوعده بنار جهنم، عقوبة له على المخالفة، لأنه عاند وأصرّ، ثم أدخل آدم عليه الصلاة والسلام الجنة ونهاه عن الأكل من شجرة معينة فيها، فوسوس إليه الشيطان حتى أوقعه في المخالفة فحلت عليه العقوبة أيضاً، فأخرجه الله تعالى من الجنة: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾(٥). لكن الله تعالى سيعيد آدم إلى الجنة لأنه تاب إلى ربه واعترف بذنبه وكذلك من آمن وعمل صالحاً من ذريته

(١) الإسراء آية ٨٢.
(٢) الملك آية ١٤.
(٣) الأعراف آية ٥٤.
(٤) البقرة آية ٣٤.
(٥) الأعراف آية ٢٠ـ ٢٢.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾[١].

ثم أهبط الله عز وجل آدم عليه الصلاة والسلام وإبليس إلى الأرض وزود آدم عليه الصلاة والسلام بالشرائع لحفظ الإنسان من كيد الشيطان، ومن هنا وبحكم العداء بين الإنسان والشيطان ـ لأن كل واحد منهما كان سبباً في شقاء الآخر ـ يسعى الشيطان لإيقاع بني آدم عليه الصلاة والسلام في المخالفة لتلك الشرائع كي ينتقم منهم فيكونوا شركاء له في عقوبته يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[٢]، فطاعة الله تعالى تكون بالالتزام بهذه الشرائع لما تشتمل عليه من إغلاق أبواب دخول الشيطان على الإنسان وتحفظه من الانحراف إلى طريق الخسارة في الدنيا والآخرة.

فلا يجوز أن يطاع غير الله تعالى فيما يخالف هذه الشرائع ومن فعل ذلك مختاراً مع العلم بالمنع فإنه يكون قد اتخذ الشيطان ولياً من دون الله ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾[٣].

مهمة الشرائع السماوية

أنزل الله تعالى الشرائع السماوية لبناء كيان الإنسان بصفته الفردية والجماعية ليوجد بذلك المجتمع الإسلامي المنسجم والمترابط فيما بين أفراده وجماعاته، ومن هنا جاءت الشرائع السماوية لبناء كيان هذا الإنسان وصيانته.

عوامل بناء كيان الفرد والجماعة

أولاً: عوامل بناء كيان الفرد

لما كان للإنسان بعدان: أولهما القلب وثانيهما الجوارح، فإن الإسلام يعالج الأول بأركان الإيمان والثاني بأركان الإسلام.

---

(١) الفجر آية ٣٠.
(٢) فاطر آية ٦.
(٣) النساء آية ١١٩.

العامل الأول: أركان الإيمان وهي: الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فيعالج الشرع القلب[1] من خلالها بتطهيره من عوامل العمه والضلال ـ العمى: فقدان البصر، والعمه: فقدان البصيرة ـ فيصلح هذا القلب ويصحّ تصوّره بأركان الإيمان:

الإيمان بالله تعالى: في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومتى كانت هذه القضايا معتمدة على النص الشرعي في الكتاب والسنة فإنها توجد التصور الصحيح والسليم لصاحب هذا القلب في هذه الحياة فيصبح ذا بصيرة وهي الأهم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[2].

والإيمان بالملائكة: وأدوارهم وأعمالهم ووظائفهم في هذه الحياة وعلاقتهم بالإنسان في مختلف مراحل حياته.

والإيمان بالكتب السماوية: التي هي مضمون الوحي الإلهي إلى الرسل والمشتملة على ما يعالج هذه النفس البشرية.

والإيمان بالرسل: الذين كلفهم الله تعالى تبليغ مضامين هذه الكتب إلى البشر ليضبطوا حركتهم في حياتهم بتعاليمها.

والإيمان باليوم الآخر: الذي هو محلّ حساب الإنسان على ما كان قدمه في هذه الحياة من أعمال صالحة أو طالحة.

والإيمان بالقدر خيره وشرّه من الله تعالى: الذي يحمل على الاطمئنان والسكينة وراحة الضمير في مكابدة العمل في هذه الحياة.

وكل ذلك أدوية ناجحة وهامة في معالجة القلب البشري من أمراضه وتقلباته ليصبح عبداً لله تعالى، صالحاً للاندماج في كيان الأمة العام في المجتمع الإسلامي.

---

(١) وتتعلق أركان الإيمان بعمل القلب لأنها مبنية على التصديق، وهي كلها أخبار عن قضايا غيبية، والخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، فما طابق الواقع منها فهو صدق، وما لا فهو كذب.

(٢) الحج آية ٤٦.

العامل الثاني: أركان الإسلام وهي: الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج، فإنها ذات دور كبير في معالجة الجوارح وتصحيح السلوك في حياة الإنسان.

أما الشهادتان: فتعربان عما في القلب من تصديق بأركان الإيمان ليُعْرَفَ المرء بأنه ينتمي إلى فئة الإيمان.

وأما الصلاة: فإنها تقوي صلة الإنسان بربه عز وجل باستحضار عظمة الله تعالى ومراقبته، وتطهر القلب مما لحق به من أدران بسبب الانحرافات المختلفة عن أوامر الله تعالى، وفي الحديث: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، ما تقولون! أيبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(1)، وينشأ عن ذلك استقامة السلوك في حياة الإنسان ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(2).

وأما الزكاة: فإنها تطهر النفس من رذيلة البخل والشح بما تحمل عليه الإنسان من بذل جزء من ماله دون مقابل للمصلحة العامة كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(3).

وأما الصيام: فإنه يهدف إلى تقوية العزيمة والإرادة عند الصائم مما يحمله على الاستقامة على أمر الله تعالى بفعل الواجبات وترك المنهيات وهو ما يسمى في العرف الشرعي بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(4).

وأما الحج: فإنه يقوّي في الإنسان المؤمن الشعور بالأخوة الإيمانية التي

---

(1) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه ابن ماجه عن عثمان مرفوعاً، انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٢٣٣ كتاب الصلاة، باب الترغيب في الصلوات الخمس، رقم الحديث ٣.

(2) العنكبوت آية ٤٥.

(3) التوبة آية ١٠٣.

(4) البقرة آية ١٨٣.

تجعله جزءً من الكيان الإسلامي العام، بإخراجه عن مألوف عاداته ليختلط في الحج بالمسلمين في مكة المكرمة على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ومواقعهم. كما أنه يطهر النفس من أدرانها كما قال ﷺ (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[1].

كل ذلك يجعل من الفرد المسلم إنساناً منفتحاً على الجماعة المسلمة ومستعداً بذلك الانفتاح ليصبح خلية صالحة في كيان الجسم الإسلامي العام. وقد قال ﷺ: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) وبالتالي إذا صلح الفرد صلحت الجماعة.

ثانياً: بناء كيان الجماعة

شرع الله تعالى أحكاماً لبناء كيان الجماعة المسلمة وذلك من خلال أربعة عوامل هي: -

العامل الأول: - بناء كيان الأسرة: شرع الله تعالى أحكاماً لضبط علاقة الزوج بالزوجة قبل العقد وبعده، فطلب مراعاة عنصر الدين في الزوج وفي الزوجة: «تنكح المرأة لأربع؛ لمالها وجمالها وحسبها ولدينها. فأظفر بذات الدين تربت يداك»[2]، «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد في الأرض كبير»[3]، ثم حدد العلاقة بين الزوجين بعد الزواج فأعطى الرجل حق القوامة على الأسرة، وأوجب على المرأة طاعة الزوج في غير معصية ليستقيم حال الأسرة ولا تتعرض للانهيار بتنازع الزوجين على قيادتها: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر الترغيب والترهيب ح ٢ ص ١٦٣ كتاب الحج، باب الترغيب في الحج والعمرة. رقم الحديث ١.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٥٧٠ كتاب النكاح. باب الحث على النكاح رقم الحديث ٤٠٨٧.

(٣) رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) ثم رواه عن أبي حاتم المزني ثم قال: هذا حديث حسن غريب. اهـ انظر تحفة الأحوذي ح ٤ ص ٢٠٥ كتاب النكاح. رقم الحديث ١٠٩٠.

ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[١]، كما حدد العلاقة بين الآباء والأبناء فأوجب على الأبناء طاعة الآباء في غير معصية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٢]، كما أوجب على الآباء العناية بالأبناء ورعايتهم بالإنفاق المعتدل والتوجيه الصحيح فقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾[٣]، وأوجب على الأبناء الاحترام المتبادل والعناية والتعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٤].

العامل الثاني: ـ بناء كيان الجوار: فأوجب الله تعالى رعاية حق الجار بالإحسان إليه وكف الأذى عنه وفي الحديث: «والله لا يؤمن ثلاثاً، قيل من يا رسول الله ﷺ؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[٥]، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»[٦]، وقد أوصى الإسلام بحق الجار مطلقاً ولو كان كافراً فقال ﷺ: «الجيرن ثلاثة: جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق: الجار المسلم ذو الرحم، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الذي له حقان: فالجار المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد: فالجار المشرك»[٧].

العامل الثالث: بناء كيان ذوي الرحم، وذلك بصلتهم والإحسان إليهم كلما أمكن، وزيارتهم للتأثير فيهم بصورة إيجابية، حتى لا يتمكن المنحرفون من استجلابهم

---

(١) النساء آية ٣٤.
(٢) الإسراء آية ٢٣.
(٣) النساء آية ١١.
(٤) المائدة آية ٢.
(٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٢٦ كتاب صلة الرحم وحق الجوار. رقم الحديث ٨٢٧٧.
(٦) رواه البخاري ومسلم. انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٣٥٢ باب بالترهيب من أذى الجار رقم الحديث ١ عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٧) رواه الحسن بن سفيان والبزار في مسنديهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر، وابن عدي من حديث عبد الله بن عمر، وكلاهما ضعيف كما قال العراقي في تخريجه لإحياء علوم الدين ح ٢ ص ٢٧٠. قلت: لكنه مؤيد بعمومات الشرع.

وتضليلهم، فقد قال ﷺ: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)[1] ويستوي في وجوب صلة رحمه المسلم وغير المسلم ما لم يكن معلناً الحرب على الله ورسوله والمؤمنين.

العامل الرابع: بناء كيان الأخوة الإسلامية العامة، فقد حدد الله تعالى علاقة المسلمين ببعضهم ببعض على صعيد القمة وعلى صعيد القاعدة، فأوجب على المحكومين المؤمنين طاعة الحاكم المؤمن الواحد في غير معصية فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[2] وفي الحديث (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[3].

كما أوجب على الحاكم العناية بالمحكوم وحذر من التفريط في ذلك، فقال ﷺ: (ما من عبد يسترعيه الله تعالى رعية ثم يموت حين يموت وهو غاشّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[4]. كما حذر من تعددية الحاكم فقال: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)[5].

وأيضاً فقد شرع الله تعالى أحكاماً لضبط علاقة المحكوم بالمحكوم، فأوجب على المؤمنين المحبة والمناصرة وهما ركنا الولاء الشرعي فيما بينهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[6] ومقتضى الأخوة المحبة كما قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[7] كما أن مقتضى الأخوة

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، عن جبير بن مطعم مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٢٤ باب صلة الرحم. رقم ٨٢٦٣.

(٢) النساء آية ٥٩.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبن عمر مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ص ٨٤٥ كتاب الخلافة والإمارة. رقم الحديث ٦٠٣٠.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن معقل بن يسار مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ١١٧٦ كتاب القضاء. باب ترغيب من ولى شيئاً من أمر المسلمين في العدل رقم ٨.

(٥) رواه مسلم عن أبي سعيد الخذري مرفوعاً. أنظر فقر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٨٦ كتاب الإمارة. رقم الحديث ١٢٠٠.

(٦) الحجرات آية ١٠.

(٧) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات بلفظ (أحب لأخيك ما تحب لنفسك) انظر مجمع الزوائد ح ٨ ص ١٨٦ كتاب البر والصلة. باب إكرام المسلم.

المناصرة فقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)[1].

وعندها يصبح المجتمع المسلم مجتمعاً متماسكاً قوياً كالجسد الواحد (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2]. ولا يحول دون وحدة الولاء بين المسلمين ومناصرة بعضهم بعضاً حواجز عرقية أو لغوية أو جغرافية أو طبقية، أو غير ذلك. كما لا يحول اختلاف أجهزة الجسم الواحد وتنوّع أعضائه دون اتصال بعضه ببعض وتلاحم بعضه مع بعض ودفاع بعضه عن بعض.

(١) رواه أبو داود والنسائي والترمذي عن ابن عمر مرفوعاً، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. واخرج مسلم بعض بمعناه. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٥٦ باب التعاضد بين المسلمين، رقم ٧٨٠٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير مرفوعاً. انظر نفس المصدر ح ٢ ص ٣٥٨ باب التواد وكتمان السرّ. رقم الحديث ٧٨١٨.





عوامل صيانة الفرد والمجتمع

بعد بناء كيان الفرد والمجتمع في الإسلام من خلال الأحكام الاعتقادية والأحكام التشريعية يحتاج الأمر إلى صيانة لهذا البناء من التفكك والتصدع، وذلك على المستوى الداخلي وعلى المستوى الخارجي.

أولاً: الصيانة على المستوى الداخلي.

تتم صيانة الفرد والجماعة على المستوى الداخلي بعاملين اثنين:

العامل الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمعروف هو كل ما أمر الله تعالى به، والمنكر هو كل ما نهى الله تعالى عنه، وقد أمر الله تعالى بالخير ونهى عن الشر مطلقاً ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1].

وقد أمر الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخبر أن ذلك يؤدي إلى نجاح الأمة في حياتها فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[2] وأخبر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يرفع شأن الأمة ويجعلها في مقدمة الأمم، لأنها تكون عندئذ متبعة لشرع الله تعالى الذي يرفع شأن المؤمنين به ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[3] فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[4] وفي الحديث يقول ﷺ محذراً من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما يترتب عليه من خطر يؤدي إلى تسلط الأشرار في المجتمع على مراكز القوة والقرار فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً

---

(١) النحل آية ٩٠.

(٢) آل عمران آية ١٠٤.

(٣) آل عمران آية ١٣٩.

(٤) آل عمران آية ١١٠.

منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»(1)، كما أخبر الله تعالى عن أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى الطرد من رحمة الله تعالى فقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾(2).

وقد شبه النبي ﷺ المجتمع الذي لا يتعاطى أهل الحق فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضد المنحرفين عقائدياً وسلوكياً وأخلاقياً بركاب السفينة إذا تركوا السفهاء يخرقونها فيغرقون جميعاً، الصلحاء منهم والسفهاء، فقال ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا هذا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ولو أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»(3).

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب: أعلاها **التغيير باليد** وذلك لمن كان له سلطة تمكنه من التغيير دون أن يترتب على ذلك فتنة، كالحاكم في المجتمع، وكالأب في البيت، وكالمدير في المدرسة، ثم **التغيير باللسان** أو بالكلمة وذلك لمن كان قادراً على البيان وإبداء الحجة من العالم أو المتعلم إذا لم يترتب على ذلك فتنة، ثم **التغيير بالقلب** وذلك في حال خوف الفتنة أو عدم القدرة على البيان والإقناع. وفي الحديث الصحيح: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده

---

(1) رواه الترمذي عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً، وقال: هذا حديث حسن، رواه الطبراني في الأوسط والبزار عن أبي هريرة. انظر تحفة الأحوذي ح ٦ ص ٣٩٠. في أبواب الفتن. باب ما جاء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. رقم الحديث ٢٢٥٩.

(2) المائدة آية ٧٨.

(3) رواه البخاري ح ٣ ص ١٧٣ كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه. ورواه الترمذي وصححه بألفاظ متقاربة. انظر تحفة الأحوذي ح ٦ ص ٣٩٤ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. رقم الحديث ٢٢٦٤.

فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1]، وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل»[2].

العامل الثاني: العقوبات الشرعية

تنقسم العقوبات إلى ثلاثة أنواع: حدود، قصاص وتعزير.

النوع الأول: ـ الحدود: وهي عقوبة مقدرة من جهة الشارع على من يأتي بما يوجبها من الأفعال والتعديات بانتهاك حق عام، منها: ـ

أولاً: السرقة: ـ وهي أخذ مال من حرز مثله على وجه الخفية، وقد حدد الله تعالى عقوبتها فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[3]، وقد بين النبي ﷺ محل القطع، فقطع يد سارق من الرسغ[4] وهو ملتقى الكف مع الساعد[5].

ولا يجوز التشفع لدى الحاكم لمن فعل هذه الجريمة، كما لا يجوز للحاكم أن يعفو عمن صدرت منه هذه الجريمة ورفع الأمر إليه فيها، بدليل أنه عندما سرق لصفوان بن أمية رداؤه ورفع الأمر إلى النبي ﷺ وقضى بقطع يد السارق تصدق صفوان بالرداء عليه، فقال له النبي ﷺ: «هلا كان ذلك قبل أن تأتيني به»[6] وفي

---

(١) رواه أحمد ومسلم والأربعة: والنسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجه، عن أبي سعيد مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٣٤٦ رقم الحديث ٢٤٨٥.

(٢) رواه مسلم عن ابن مسعود مرفوعاً، انظر مختصر مسلم للمنذري ح ١ ص ١٦ كتاب الإيمان. باب من الإيمان تغيير المنكر باليد واللسان والقلب، رقم الحديث ٣٤.

(٣) المائدة آية ٣٨.

(٤) رواه أبو داود والنسائي والحاكم وأحمد وابن ماجه من حديث صفوان بن أمية الذي سرق رداؤه من تحت رأسه وهو نائم في المسجد، فقطع رسول الله ﷺ يمين السارق من الزند، وهو المفصل، كما رواه الدارقطني وصححه ابن حجر. انظر الدراية في تخريج احاديث الهداية ح ٢ ص ١١١ رقم الحديث ٦٨٥ و٦٨٦.

(٥) انظر ترتيب القاموس ح ٢ ص ٣٣٧ مادة: رسغ.

(٦) رواه مالك، ونحوه لأبي داود والنسائي. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٧٢١ كتاب الحدود، رقم الحديث ٥١٨٧.

الحديث (تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب»[1]، وفي منع الشفاعة قال ﷺ في حادثة المرأة المخزومية التي سرقت وشفع فيها أسامة بن زيد: «أتشفع في حد من حدود الله تعالى يا أسامة، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطع محمد ﷺ يدها»[2].

ثانياً: الزنا: ـ وهو فعل تتم فيه العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة خارج عقد الزواج، وقد حرمه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[3]، ونظراً لخطورة النتائج المترتبة عليه، فإن العقوبة من القسوة بما يتناسب مع هذه الجريمة، فإذا كان الزاني بكراً أي لم يتزوج فإنه يجلد مائة ويسجن سنة، وإذا كان محصناً أي متزوجاً فإنه يجلد مائة ويرجم بالحجارة حتى الموت، لقوله ﷺ: (البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)[4] ويكون ذلك في ساحة عامة ليشاهده جمع من الناس، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾[5]، وهذه العقوبة أيضاً لا يجوز الشفاعة فيها إذا بلغت إلى الحاكم كغيرها من الحدود، كما لا يجوز للحاكم التساهل في تنفيذها على من وجبت عليه إذا توفرت شروطها.

ثالثاً: القذف: ـ وهو اتهام للغير في عرضه رجلاً كان أو امرأة، ويجب فيه ثمانون جلدة تنفذ في مكان عام يشهده الناس لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ

---

(١) رواه أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً. انظر المصدر السابق. رقم الحديث ٥١٨٣.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وأحمد عن عائشة مرفوعاً. انظر فيض القدير ح ٢ ص ٥٦٨. رقم الحديث ٢٥٧٢.

(٣) الإسراء آية ٣٢.

(٤) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٣٦ كتاب الحدود. باب حد البكر والثيب في الزنا. رقم الحديث ١٠٣٦.

(٥) النور آية ٢.

لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾[١].

رابعاً: قطع الطريق: ـ وذلك بالتعرض للناس في طرقاتهم داخل المدن أو خارجها بقصد سلب أموالهم أو العدوان على أعراضهم أو على دمائهم فتجب في ذلك عقوبة مشددة تتناسب مع هذه الجريمة التي تؤدي في حال انتشارها إلى شلل في الحركة الحياتية في المجتمع كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾[٢].

خامساً: شرب الخمر: ـ وتجب فيها أربعون جلدة كما فعل النبي ﷺ فيمن شرب الخمر فجلده نحواً من أربعين[٣] كما هو ثابت في الصحيحين، ثم إن الناس في البلاد المفتوحة تساهلوا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الجريمة فجمع أصحاب الحل والعقد (الشورى) واستشارهم في الزيادة على هذه العقوبة، فرأى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ترفع هذه العقوبة إلى ثمانين جلدة وعلّل ذلك بقوله: فإنه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى وحد الفرية ثمانون جلدة، فأمضاها عمر كذلك[٤] ثم أصبحت سنة بعده في هذا الحد، وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[٥].

سادساً: الردة: ـ وهي عقوبة تجب على من أتى بما يخرجه عن الملة من قول أو فعل وعقوبتها القتل لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[٦].

---

(١) النور آية ٤.

(٢) المائدة آية ٣٣.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أنس، انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٧٦٣ كتاب الحدود، باب حد شارب الخمر، رقم الحديث ٥٤٤١.

(٤) نفس المصدر. رقم الحديث ٥٤٤٢.

(٥) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن العرباض بن سارية مرفوعاً. وقال فيه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٧٧. باب الترغيب في اتباع الكتاب والسنة. رقم الحديث ١.

(٦) رواه البخاري وأحمد وأصحاب السنن الأربعة عن ابن عباس مرفوعاً. انظر فيض القدير ح ٦ ص ٩٥ رقم الحديث ٨٥٥٩.

النوع الثاني: ـ القصاص: ـ وهو إنزال مثل ما أنزله الجاني في المجني عليه بما يتعلق بالنفس أو بما دونها، وهو على نوعين: ـ

الأول: ـ القصاص في النفس وعقوبته القتل، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾(1).

الثاني: ـ القصاص فيما دون النفس كالعدوان على الأطراف كقطع اليد أو الرجل أو الأصابع أو فقء العين أو قطع الأذن أو جدع الأنف أو غير ذلك من الجراح المختلفة، كما في الآية آنفاً، وقد قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾(2).

وهذه العقوبة يمكن الشفاعة فيها ولو بعد الوصول إلى السلطان أو الحاكم أو القاضي لأنها من الحقوق الخاصة، ولذلك فإن النبي ﷺ ما رفع إليه قضية من قضايا القصاص إلا رغب في العفو مطلقاً أو إلى بدل.

النوع الثالث: ـ التعزيرات: ـ وهي عقوبات شرعية غير مقدرة من جهة الشارع وإنما يقدرها الحاكم مراعياً الظروف الشخصية والزمانية والمكانية في الجاني والمجني عليه والمجتمع، كأكل الربا لم يرد في الشرع تحديد العقوبة فيه مع أنه كبيرة من الكبائر فيترك شأن تحديدها إلى الحاكم، وكالكذب وإيذاء الجار والغش في البيع والشراء ونحو ذلك.

هذه العقوبات فرضها الشرع لصيانة المجتمع عن انتشار التعديات فيما بين أفراده وأسره وجماعاته لأن ذلك يؤدي إلى تفككه وتهدمه، لأن الناس من طبيعتهم المغالبة على المال والنفس والعرض إذا لم يكن لهم من الدين والخلق وسلامة الفطرة ما يحملهم على الامتناع عن ذلك، فكانت العقوبات روادع وزواجر لصيانة

---

(1) المائدة آية ٤٥.

(2) البقرة آية ١٧٩.

المجتمع عن مثل هذه التعديات، ويصير المجتمع بهذه العقوبات متماسكاً في بنائه ومترابطاً فيما بين أفراده كما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»(١).

فكانت العقوبات الشرعية هذه بمثابة الجرعات الدوائية والعمليات الجراحية التي يصفها الطبيب أو يجريها لمعالجة الجسم من أمراضه، ليعود به إلى حال الصحة والسلامة والقوة والتماسك بإذن الله تعالى.

ثانياً: الصيانة على المستوى الخارجي:

تتم الصيانة للمجتمع الإسلامي على المستوى الخارجي بعاملين اثنين أيضاً

العامل الأول: الدعوة إلى دين الله تعالى.

وغالباً ما يقصد بها دعوة غير المسلمين إلى الدخول في دين الله تعالى.

وتكون الدعوة إلى دين الله تعالى بعد دراسة الأحكام الاعتقادية والأحكام التشريعية في هذا الدين بالجملة ليتمكن المرء من معرفة الدين على وجهه الصحيح، ثم العمل على دعوة الآخرين إلى الدخول فيه بعد أن يكون الداعي إليه ملتزماً به قبل غيره، كي لا يفتن الناس عنه، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾(٢).

والدعوة إلى الدين عمل شريف، لعلو شرف المدعو إليه ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣﴾(٣) فهي مهمة الرسل الذين هم قمة البشر في الدنيا والآخرة، وهي نداء الله تعالى للناس ليسلكوا الطريق الذي يوصلهم إلى الجنة ويبعدهم عن النار ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي موسى الأشعري، انظر فيض القدير ح ٦ ص ٢٥٢ رقم الحديث ٩١٤٣.

(٢) الصف آية ٢ـ ٣.

(٣) فصلت آية ٣٣.

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾(١).

والدعوة إلى الدين واجب على كل مؤمن بحسب استطاعته كما قال ﷺ (بلغوا عني ولو آية)(٢) على أن تكون الدعوة مصحوبة بالحكمة التي هي وضع الشيء في محله، وذلك بمراعاة الظروف الزمانية والمكانية بل والشخصية للمدعو، ليكون ذلك أدعى إلى قبوله للدعوة، باستخدام الأساليب المناسبة لكل فرد ولكل جماعة ولكل دولة، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾(٣).

وإن الغفلة عن اعتماد الحكمة في الدعوة إلى دين الله تعالى مما يوقع المدعو في النفور من جهة، وإن كان المدعو إليه حقاً في ذاته بل وإن كان الداعي مخلصاً في دعوته، لأن للنفوس أحوالها ولها طبائعها، وقد قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾(٤). كما أنه يوقع الداعي أيضاً في اليأس من جهة أخرى، لكثرة ما يرى من نفور الآخرين.

ومن الحكمة في الدعوة أن يبدأ الداعي بأصول الدين ثم بفروعه لأن من استقرت في قلبه قضايا الإيمان وأركانه، سهل عليه الالتزام بعد ذلك بالفروع العملية، ولذلك كان النبي ﷺ يوصي من يرسله من أصحابه للدعوة إلى دين الله تعالى بذلك فيقول (ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في

---

(١) الصف آية ١٣.
(٢) رواه البخاري وأحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً. انظر فيض القدير ح ٣ ص ٢٠٦. رقم ٣١٥٩.
(٣) النحل آية ١٢٥.
(٤) آل عمران آية ١٥٩.

أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)[1] ويأتي ذلك وفاقاً لقوله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[2] فالإيمان أولاً ثم العمل بعد ذلك.

والدعوة إلى الله تعالى تصون المجتمع الإسلامي من أن يغزوه الآخرون بما عندهم من أفكار، بحكم قانون التدافع بين البشر ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[3] فلا بدّ من الصراع بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر، فهؤلاء يدعون إلى ما عندهم وأولئك كذلك، وخير وسيلة للدفاع الهجوم، فإذا لم ندع الآخرين إلى ما عندنا من الحق دعانا الآخرون إلى ما عندهم من الباطل.

العامل الثاني: الجهاد في سبيل الله تعالى.

الجهاد في اللغة مشتق من الجهد وهو بذل الوسع والطاقة في تحصيل المطلوب.

وفي الاصطلاح: هو بذل الوسع والطاقة في محاربة العدو لنشر دين الله تعالى.

والجهاد مشروع بالكتاب في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾[4] وهو مشروع أيضاً بالسنة في قوله ﷺ (رأس هذا الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[5].

والله تعالى حين شرع الجهاد فإنما كان ذلك من أجل توجيه الطاقة الكامنة

(١) رواه أحمد ومسلم وابن ماجد والترمذي وصححه بألفاظ متقاربة. انظر نيل الأوطار ح ٩ ص ٢٣٠ كتاب الجهاد باب الدعوة قبل القتال. رقم الحديث ٢.
(٢) محمد آية ١٩.
(٣) البقرة آية ٢٥١.
(٤) الصف آية ١٠.
(٥) رواه الطبراني في الأوسط عن معاذ مرفوعاً. ورمز له السيوطي بالصحة، بلفظ (رأس هذا الأمر الإسلام، ومن أسلم سلم، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) انظر فيض القدير ح ٤ ص ٤ رقم الحديث ٤٣٧٣.

في النفس البشرية لتحقيق غايات عليا وكريمة، وذلك بتحويل هذه الطاقة لنشر هذا الدين في المجتمعات الأخرى، لأن الإنسان كغيره من المخلوقات، إذا أحسّ بفضل قوة لديه فإنه يسعى إلى فرض نفسه وما تحمل من توجه عقائدي أو أخلاقي أو سلوكي على الآخرين، فإذا لم يكن هذا القوى مهتدياً بهدي الله تعالى الذي يأمر بالعدل والإحسان، فإنه سيستخدم هذه القوة السياسية او الاقتصادية أو العسكرية في ظلم الآخرين ونشر مبادئه فيهم ليصبحوا تابعين له.

ومن هنا شرع الجهاد في سبيل الله تعالى لوقف تعديات ذوي القوة والسلطان في المجتمعات الأخرى على شعوبهم وعلى من يدعوهم إلى الله تعالى لمنع وصول الخير الذي يحمله الدين إلى عامة الناس تحت أيديهم، قال تعالى مرغباً في الجهاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١﴾[1] وقال محذراً من تركه ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ﴾[2].

والجهاد الذي هو استخدام القوة العسكرية في مواجهة العدو، إنما كان يتم اللجوء إليه في حال منع العدو دعوة الناس في مجتمعهم إلى الله تعالى، ويراعى أثناء المواجهة العسكرية مع العدو جانب الآدب والأخلاق، لأن المراد من الجهاد إزالة الحاجز المادي الذي ينشئه العدو باستخدامه للقوة لكي نتمكن من إيصال الدين بحقيقته وجوهره إلى الناس بعد ذلك، فهو أشبه ما يكون **بالعملية الجراحية** يلجأ إليها الطبيب في حال الضرورة ولا يتجاوز قدر الحاجة فيها، ولهذا فإن النبي ﷺ كان يأمر قادة الجيوش بمراعاة هذا الجانب حين يوجههم إلى القتال بأن لا يقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً ولا يحرقوا نخلاً ولا يقتلوا بهيمة إلا

---

(١) الصف آية ١٠.
(٢) التوبة آية ٣٩.

لمأكلة[1]، وحين رأى ذات مرة في أرض المعركة امرأة مقتولة قال مستنكراً: «ألم أنهى عن قتل النساء؟ ما كانت هذه لتقاتل»[2].

ويطلب من المجاهد المسلم الصبر والثبات عند المواجهة بعد الإعداد المادي المستطاع لإحراز النصر، وإن أدى ذلك إلى وقوع خسائر في النفس والمال والأهل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾[3].

ومن هنا تبرز أهمية الجهاد في سبيل الله تعالى لحفظ كيان الأمة من أعداء الخارج، لأن العدو إذا آنس من خصمه ضعفاً وتفككاً أغراه ذلك في محاربته، فالجهاد في سبيل الله تعالى يصون المجتمع الإسلامي من أن تتخطفه ذئاب البشر الكاسرة، وأيدي العدو الفاجرة، ولهذا كان الجهاد في سبيل الله تعالى ذروة سنام الدين، كما قال ﷺ (رأس هذا الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[4].

---

(١) روى بريدة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً...) رواه أبو داود والنسائي ومسلم. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٢٠ كتاب الجهاد، باب أحكام وأسباب تتعلق بالجهاد، رقم الحديث ٦١٧٤.

(٢) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث رياح بن الربيع. انظر التلخيص الحبير ح ٤ ص ١٠٢. رقم ١٨٦١.

(٣) النساء آية ١٠٤.

(٤) رواه الطبراني عن معاذ مرفوعاً، ورمز له السيوطي بالصحة، انظر فيض القدير ح ٤ ص ٤. رقم الحديث ٤٣٧٣ وقد أوردناه هنا مختصراً.



الدرس السابع

توحيد الأسماء والصفات والانقسام فيه إلى ست فئات



توحيد الأسماء والصفات

صفات الصانع تنعكس على المصنوعات عادة، فالكتاب مثلاً له مضمون علمي وتركيب خارجي، فمضمونه العلمي يدل على مدى ثقافة مؤلفة، فكلما تطرق المؤلف فيه إلى مسائل أدق وأشمل كلما دل ذلك على سعة علمه وتنوع معرفته، والتركيب الخارجي للكتاب كلما كان أكثر تناسقاً ومتانة كلما دل على مدى اتقان صانعه لصنعته.

والكون كتاب خلقه الله تعالى، تنعكس فيه صفات الله عز وجل المختلفة، من قوة وعلم وحكمة وخبرة وغير ذلك نشأ عنها هذا الكون الواسع، وقد ورد في القرآن صفات لله تعالى وصفات مماثلة للمخلوق، فمن ما ورد لله تعالى من الصفات: العلم: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(1)، والحلم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(2)، والرأفة: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(3) إلى غير ذلك، ومما ورد من الصفات للمخلوق أن الله تعالى وصف إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالحلم فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾(4)، ووصف إسماعيل عليه الصلاة والسلام بالحلم أيضاً فقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾(5)، ووصف الإنسان بالسمع والبصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾(6)، كما وصف محمد ﷺ بالرأفة والرحمة فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(7). فكيف نفهم هذه الصفات.

---

(1) البقرة آية ٢٨٢.
(2) البقرة آية ٢٣٥.
(3) النور آية ٢٠.
(4) التوبة آية ١١٤.
(5) الصافات آية ١٠١
(6) الإنسان آية ٢.
(7) التوبة آية ١٢٨.

ولكن قبل الاجابة على ذلك نتساءل: هل صفات الله تعالى[1] محصورة أم مطلقة[2]؟ فقيل: بأنها محصورة في تسع وتسعين اسماً وصفة. وقيل: بأنها مطلقة، وقيل: وهو الصحيح بأن صفات الله تعالى المعلوم منها لدينا نحن البشر تسع وتسعون وهناك من الصفات ما لا نعلمه بدليل أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي»[3].

وهل صفات الله تعالى بعد ذلك توقيفية أم توفيقية[4]؟

والمقصود بالتوقيفية أنها معتمدة على النص الشرعي فقط في إثباتها، والمقصود بكونها توفيقية بأنها اجتهادية قياسية، بحيث يشتق له تعالى من أفعاله أسماء وصفات.

بالرأي الأول يقول جمهور أهل العلم، وهو الصحيح، فإن صفات الله تعالى فرع عن ذاته، ولما كانت ذات الله تعالى غيباً، فإن صفاته تكون غيباً أيضاً، وما كان كذلك فإنه لا اجتهاد فيه.

وتنقسم صفات الله تعالى إلى نوعين:

النوع الأول: صفات ذاتية، وهي التي لم يزل الله تعالى متصفاً بها، وهي على نوعين: أولهما: معنوية وهي التي لا يمكن أن يوصف الله تعالى بضدها، كالعلم والحياة والقدرة والحكمة. ثانيهما: خبرية، كالوجه واليد والعين ونحو ذلك.

النوع الثاني: صفات فعلية، وهي ما يجوز أن يوصف الله تعالى بضدها،

---

(١) وقد يطلق الاسم على الصفة أحياناً وبالعكس، والاسم هو ما دل على معنى غير مقترن بزمان، والصفة هي ما دل على بعض أحوال الذات.

(٢) انظر الخلاف في تيسير العزيز الحميد ص ٦٤٤. فيض القدير ح ٢ ص ٤٧٨ عند الحديث رقم ٢٣٥٣. سبل السلام ح ٤ ص ١٠٩ في الأيمان والنذور. التلخيص الحبير ح ٤ ص ١٧٤.

(٣) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه. انظر تفسير ابن كثير ح ٢ ص ٢٦٩.

(٤) انظر سبل السلام ح ٤ ص ١٠٩ الأيمان والنذور. رقم الحديث ٩.

كالرضا وضدها السخط، كما قال تعالى في المؤمنين ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[1] وقال في الكافرين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾[2] وكالحلم وضده الغضب، كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[3] وقال تعالى في الكافرين ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ﴾[4] وكالرحمة وضدها العذاب، كما قال تعالى ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾[5].

وقد انقسم العلماء في فهم اسماء الله تعالى وصفاته إلى ست فئات:

الفئة الأولى: الكرّامية المشبّهة

تنسب هذه الفئة إلى محمد بن كرام السجستاني[6] الذي يعتقد بأن لله تعالى صفات كصفات المخلوقين، واحتج لذلك بأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية والعرب لا يعرفون للألفاظ الواردة في لغتهم إلا ما هو معهود لديهم فاليد لفظة عربية مدلولها تلك الجارحة المعروفة عندهم، والعين لفظة عربية مدلولها آلة البصر، والوجه لفظة عربية ومدلولها ذلك الجزء الأعلى من البدن الذي تتم به المواجهة ويتميز به الناس بعضهم عن بعض، ولا بد من تنزيل الألفاظ العربية على مدلولاتها ليكون الكلام عربياً فيمنع الإعجام في الفهم لدى المخاطب، ومتى تخلف ذلك المدلول عن اللفظ الخاص به فإن ذلك يعتبر نقصاً في البيان، وقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بأنه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾[7] فلا يصح أن تحمل هذه الألفاظ على غير مدلولاتها، لئلا يؤدي ذلك إلى وصف القرآن باشتماله على العبثية.

---

(١) المائدة آية ١١٩.
(٢) محمد آية ٢٨.
(٣) المائدة آية ١٠١.
(٤) الفتح آية ٦.
(٥) العنكبوت آية ٢١.
(٦) توفى السجستاني سنة ٢٥٥هـ ويدعى محمد بن كرام السجزي، نسبة إلى سجستان، كان يقول: إن الله تعالى جوهر، وأنه مستقر على العرش، حبسه والي نيسابور محمد بن طاهر مرتين ثم أفرج عنه، فرحل إلى مصر ومات بها. انظر الأعلام ح ٤ ص ١٤.
(٧) الشعراء آية ١٩٥.

والجواب: أن الله تعالى أنزل القرآن بلغة عربية فصيحة وبليغة وجعله معجزاً للعالم إلى قيام الساعة فأحكم آياته وجعله مترابطاً حتى أصبح بترابطه وحدة متكاملة، فلا يصح الأخذ أو الاحتجاج ببعض آياته دون بعض فيصبح ناقصاً أو متناقضاً وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1]، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، وقد ورد كيفية التعامل مع آيات الصفات في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[3]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[4]، فسبيل فهم صفات الله تعالى الواردة في القرآن أن يضاف إليها هذه الآيات ليصار إلى الفهم الصحيح فيها، وهذا من باب تفسير القرآن بالقرآن، وهو أعلى مراتب التفسير. وأيضاً فإن الشرع قد نقل صفات الله تعالى من معناها اللغوي إلى المعنى الشرعي وهو اثباتها على نحو يليق بجلال الله وكماله بدون تشبيه، كالصلاة مثلاً نقلها االشرع من معناها اللغوي هو الدعاء إلى معنى شرعي وهو التوجه إلى االبيت الحرام بحركة مخصوصة في وقت مخصوص، وكذلك الصيام والزكاة والحج.

الفئة الثانية: الجهمية المعطلة

الجهمية: ـ نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي، قال فيه الذهبي: إنه ضال مبتدع هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً، وقد قتله سالم بن أحوز والي مرو بخراسان سنة ١٢٨هـ[5].

من أبرز آراء الجهمية[6]: ـ القول بنفي رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة، والقول بخلق القرآن، ونفى الصفات والأسماء عن الله تعالى، وشبهتهم فيما ذهبوا إليه من هذا النفي أنهم قالوا: إن إثباتها لله تعالى يؤدي إلى التجسيم، فقالوا: لا

---

(١) النساء آية ٨٢.
(٢) الشورى آية ١١.
(٣) مريم آية ٦٥.
(٤) الإخلاص آية ٤.
(٥) انظر البداية والنهاية لابن كثير ح ٩ ص ٣٥٠. الأعلام ح ٢ ص ١٤١.
(٦) انظر الملل والنحل للشهرستاني ح ١ ص ١٢٧ وما يليها.

تخلوا الصفات لله تعالى من أن تكون قديمة أو حادثة، فإذا قلنا بأنها قديمة أي لا أول لها فإن ذلك يؤدي إلى القول بتعدد القديم وهذا شرك، وإذا قلنا بأنها حادثة فإن ذلك يؤدي إلى حلول الحادث في القديم، كما يؤدي أيضاً إلى تعجيز الله تعالى وإثبات صفة النقص فيه، لأنها إذا لم تكن ثم وجدت تدل على حاجته إليها وهذه حالة نقص يتعالى الله تعالى ويتنزه عنها، ومن هنا قالوا: بأن نفي الصفات من كمال توحيد الله تعالى وتنزيهه وعمدوا بالتالي إلى تأويلها.

الفئة الثالثة: ـ المعتزلة: ـ

وهم اتباع واصل بن عطاء توفي سنة ١٣١هـ، وكان تلميذاً في حلقة الإمام الحسن البصري، فلما سمعه يرد على الخوارج في تكفيرهم لمرتكب الكبيرة، ويقرر بأنه يبقى مع الكبيرة مسلماً لم يعجبه ذلك فانسحب من حلقته إلى زاوية في المسجد وتبعه بعض التلاميذ فقال الحسن البصري مشيراً إلى واصل: اعتزلنا واصل. فأطلق وصف الاعتزال واسم المعتزلة على واصل ومن معه بسبب[(١)] ذلك. ويشتركون مع الجهمية في كثير من آرائهم: فيقولون بخلق القرآن ونفي القدر ونفي رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة. ويقولون بنفي الصفات عن الله تعالى[(٢)] دون الأسماء.

والمعتزلة أثبتوا الأسماء لأنها منتهاها إلى مسمى واحد وهو الله تعالى، ونفوا الصفات لما يلزم من إثباتها من التجسيم فقالوا بتأويلها كما قال الجهمية فعمدتهم فيما ذهبوا إليه هو العقل.

الفئة الرابعة: الأشعرية الكُلَّابية

أما الكلابية فنسبة إلى الإمام عبد الله بن سعيد بن كلاب المتوفى سنة ٢٤٠هـ، وأما الأشعرية فنسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ، وقد نشأ في حضن زوج أمه أبي علي الجُبائي رأس المعتزلة في وقته. لأن أباه توفي حين كان الأشعري صغيراً وبحكم نشوئه في حضن أبي

(١) انظر الأعلام ح ٨ ص ١٠٨.
(٢) انظر مجمل آرائهم في: الملل والنحل للشهرستاني ح ١ ص ٦٦.

علي الجُبائي أخذ عنه مذهب المعتزلة. لكنه كان في كثير من الأحيان بعد أن شب واتسعت مداركه يتساءل حول بعض القضايا التي يقول بها المعتزلة ولا يجد لها جواباً مقنعاً، حتى فارقهم إلى الإمام محمد بن سعيد بن كلاب فتبنى رأيه الذي يثبت فيه لله تعالى ثلاث عشرة صفة وهي: واحدة نفسية وهي: صفة الوجود، وخمس سلبية وهي: البقاء والقدم والقيام بالنفس ومخالفة الحوادث والوحدانية، وسبعة معاني وهي: الإرادة والسمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والكلام(١).

وزاد عليها الأشعري السبع المعنوية وهي اشتقاق اسم الفاعل لكل صفة من هذه الصفات السبع فتكون: مريد، سميع، بصير، حيّ، عليم، قدير، متكلم، إلا أن الأشعري توقف في كثير من المسائل في مذهب ابن كلاب وحار فيها أيضاً حتى اضطره ذلك إلى مفارقة الناس لمدة قيل: أربعين يوماً، لا يخرج فيها لجمعة ولا لجماعة حتى تأمل رأى الإمام أحمد بن حنبل في صفات وأسماء الله تعالى. فوجد فيه الجواب عن كل تساءلاته فخرج على الناس في يوم جمعة وصعد على المنبر وأخبرهم عن حيرته السابقة واهتدائه الأخير إلى الرأي الصواب في القضية، وأعلن انخلاعه عما يخالف رأي الإمام أحمد ابن حنبل في صفات الله تعالى وأسمائه، وألّف كتاب (الإبانة عن معاني الديانة)(٢).

الفئة الخامسة: المفوّضة الواقفية

وسمى هؤلاء بالمفوضة، لأنهم فوضوا أمر هذه الصفات إلى الله تعالى، وقالوا: إننا لا ندري ما إذا كان لهذه الصفات حقيقة أو لا، لأننا لو أثبتنا لها حقيقة أي كيفية، لأدى ذلك بنا إلى التجسيم، ولو نفينا عنها الحقيقة لأدى بنا ذلك إلى التعطيل(٣)، وكلا الأمرين مرفوض فنحن نفوض أمر القول فيها إلى الله تعالى، ونتوقف عن الخوض فيها لا نفياً ولا إثباتاً، ولذلك يسمون بالواقفية أيضاً.

---

(١) انظر: أم البراهين في العقائد للسنوسي ص ٣ من مجموع مهمات المتون.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ح ١١ ص ١٨٧ حوادث سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ح ص .

(٣) التعطيل هو تفريغ اللفظة من معناها، وعندئذ تكون اللفظة عبثية، وحاشا لله تعالى أن يكون في كتابه عبث. فقد وصفه الله تعالى بالإتقان والإحكام فقال تعالى (آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود آية ١.

وقد وهم **بعض الناس فظن أن المفوضة من أهل السنة، أو أن أهل السنة مفوضة، وليس الأمر كذلك،** فإن المفوضة توقفوا في إثبات الحقائق لصفات الله تعالى، فقالوا: لا ندري هل لها حقائق أي كيفيات أو ليس لها حقائق، وفوضوا الأمر في ذلك إلى الله تعالى، وأما أهل السنة فقد أثبتوا للصفات حقائقها، وفوضوا إلى الله تعالى أمر معرفة هذه الحقائق فيها، وفرق كبير بين الأمرين.

الفئة السادسة: أهل السنة والجماعة

وهم كل من سار على نهج أصحاب رسول الله ﷺ في العلم بالله تعالى والعمل بأحكامه، واجتناب المراء والجدل، فلا يقحمون عقولهم في غير ميدانها من القضايا الغيبية، لأن مبناها على النص والخبر، معتمدين في ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١] وأبرز من يمثلهم في ذلك الإمام أحمد بن حنبل[٢]. لأنه أقوى من وقف في وجه المعتزلة إبّان صولتهم، وجدد بذلك مذهب أهل السنة.

ورأيهم في أسماء الله تعالى وصفاته: إثبات جميع ما أثبت الله تعالى لنفسه وأثبت له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات إثباتاً بلا تجسيم، ونفي جميع ما نفاه الله تعالى عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ نفياً بلا تعطيل، على قاعدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

واعتمدوا في الرد على الفئات الأخرى قاعدة ذات شقين[٤]:

الشق الأول: القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أن الذات لا ندرك

---

(١) الأحزاب آية ٣٦.

(٢) لأنه هو الذي وقف في وجه المعتزلة في العهد العباسي الذين حاولوا تحويل المسلمين عن منهج التسليم للنص إلى منهج التقديم للعقل، في قضية الصفات في القرن الثالث الهجري، ثم جدد هذا المنهج في ظروف مماثلة كل من إبن تيمية وابن القيم في القرن الثامن، ثم جدده محمد بن عبد الوهاب والشوكاني في القرنين الأخيرين، وقد سار على هذا المنهج قديماً وحديثاً كثيرون في هذه الأمة، والحمد لله رب العالمين.

(٣) الشورى آية ١١.

(٤) أشار إليها ابن تيمية في الرسالة التدمرية ص ١٥ وص ١٩.

كيفيتها، مع الإيمان بها عند الجميع، فكذلك الصفات يجب أن نؤمن بها مع عدم العلم بكيفيتها، لأن الصفات فرع عن الذات، فما يثبت للذات يثبت نظيره للصفات. وفي هذا ردّ على الكرامية والجهمية والمعتزلة والمفوضة.

الشق الثاني: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فحين أثبت الأشعرية الكلابية عشرين صفة لله تعالى بحجة أن مقام الربوبية يقتضيها، ثم أوّلوا سائر الصفات بحجة الخوف من التجسيم، كان يجب أن يثبتوا جميع هذه الصفات أيضاً دون تأويل على قاعدة (ليس كمثله شيء)، لأن المصدر الذي وردت فيه الصفات التي أثبتوها والتي أولوها واحد، وهو القرآن الكريم، فما يقال في حق هذه يقال في حق تلك بلا تفريق.

وفي هذا رد على الأشعرية الكلابية.

الدرس الثامن

تعليل الانقسام في توحيد الصفات

تعليل انقسام العلماء إلى فئات في الأسماء والصفات

إن نظرة فاحصة حول ما كان عليه حال العرب في الجاهلية، وما صار إليه في الإسلام لتقود إلى معرفة علة الانقسام حيال آيات الصفات، فنقول وبالله التوفيق:

حالة العرب قبل الإسلام:

كان العرب قبل الإسلام قبائل متعددة لكل قبيلة منها زعيم، ولكل زعيم غايات وأهداف مختلفة، أدى بهم ذلك إلى نشوء صراعات كثيرة فيما بينهم، وكثيراً ما تثور بينهم الحروب لأتفه الأسباب[1]، مما أوقع العرب في ويلات ومآسي لا حدود لها، فضعفوا بذلك، وتحولوا إلى أدوات للقوى الخارجية من الفرس والروم، الذين جعلوا يستغلون بعض العرب لحماية حدودهم من غارات الخصوم، وكان من نتيجة هذه الحالة أن أصبح العرب على هامش المجتمع الدولي.

ولما كثرت المآسي والمصائب فيهم واشتدت الويلات الناشئة عن تلك الحال بينهم، أرسل الله تعالى محمداً ﷺ ليخرجهم به من الصراعات الداخلية والاختلافات القبلية والشرك بالله تعالى، إلى توحيد الله تعالى ووحدة الصف، ليجعل منهم أمة مؤمنة قوية تغير المنكر في الأرض بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ من القرآن الكريم ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩﴾[2].

القرآن سرّ قوة المسلمين:

فلما التزم المؤمنون بالأحكام الاعتقادية والأحكام والتشريعية التي تضمنها القرآن الكريم ملتفين حول قيادتهم المتمثلة بالنبي ﷺ، فتح النبي ﷺ بهم أرجاء

---

(١) كحرب البسوس التي كان سببها أن ناقة لقبيلة رعت في أرض لقبيلة أخرى فقتلها صاحب الأرض فانتصرت لها قبيلتها ووقعت الحرب بينهما، انظر تفصيل ذلك في: الكامل في التاريخ لابن الأثير ح ١ ص ٣١٢. وكحرب داحس والغبراء التي وقعت في الجاهلية أيضاً لأسباب مماثلة. وغير ذلك كثير.

(٢) الحديد آية ٩.

الجزيرة العربية في غضون ثلاث وعشرين سنة، ثم بدأ ﷺ في أواخر حياته الإعداد للفتوحات الخارجية فكانت غزوة تبوك أول حملة عسكرية لمواجهة الروم خارج الجزيرة العربية، وبعد وفاته ﷺ تابع أصحابه الفتوحات شرقاً وغرباً حتى أسقطوا دولتي فارس والروم التي اجتمع كبار قيادييها السياسيين والعسكريين وبحثوا في أسباب قوة المسلمين الخارقة فوجدوا أن الإيمان بالقرآن الكريم والعمل به هو سبب قوتهم. وهو القائل ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1]، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

محاولتهم جعل القرآن سبب ضعف الأمة:

عمد أعداء الأمة إلى محاولة إفساد دور القرآن الكريم في المسلمين عبر محاولة تحريف ألفاظه في المرحلة الأولى وعبر محاولة تحريف معانيه في المرحلة الثانية.

أولاً: أما محاولة تحريف ألفاظ القرآن: فكانت من خلال استغلال الاختلاف حول القراءة بالأحرف السبعة القرآنية[3] بين بعض أصحاب النبي ﷺ والتابعين كما حصل في أرمينيا مما حَمَلَ عثمان بن عفان رضي الله عنه، على جمع أصحاب النبي ﷺ من ذوي الرأي والمشورة فأخبرهم واستشارهم، فاتفقوا على جمع الناس على قراءة واحدة بحرف قريش ولغتها وهي التي توفى عنها رسول الله ﷺ فكتبها عثمان رضي الله عنه في مصاحف ووزعها إلى المدن الرئيسية الإسلامية وأحرق ما عداها من المصاحف. وأغلق الباب بذلك على أصحاب الفتنة والدسّ.

ثانياً: وأما محاولة تحريف معاني القرآن الكريم: فكانت من خلال إثارة البحث في الآيات المتشابهات منه بالسعي إلى الخوض في كيفيات هذه المتشابهات وعلى رأسها آيات الصفات الإلهية[4] التي أوجدها الله تعالى في القرآن لكشف ما في نفوس المندسين في أوساط الأمة من المتظاهرين بالانتساب إليها كما قال

(١) آل عمران آية ١٠٣.

(٢) الأنفال آية ٤٦.

(٣) وقد كانت القراءة بها رخصة في أول الأمر.

(٤) ومحلّ التشابه في آيات الصفات هو كيفيات هذه الصفات، فلا أحد يمكنه أن يعرف ذلك منها، لأن الله تعالى يقول (وما يعلم تأويله إلا الله) آل عمران آية ٧.

تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾(١).

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى كيفية التعامل مع هؤلاء فقال بعد قراءة هذه الآية: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»(٢)، والمقصود بهم المنافقون بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾(٣)، وفي رواية أخرى: «ولا تجالسوهم»(٤)، وفي رواية ثالثة (أولئك الخوارج)(٥).

وقد عمل أصحاب رسول الله ﷺ بذلك من بعده، فحين دس اليهود رجلاً إلى المدينة المنورة وهي عاصمة الخلافة الإسلامية يدعى ضُبيع بن عسل، فدخل المدينة المنورة وجعل يبحث في المتشابهات فأحس به أصحاب رسول الله ﷺ فرفعوا أمره إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأدرك الخطة وجمع له ثلاثة عراجين من سعف النخل ودعا أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الشورىَ ثم استدعاه فلما دخل عليه سأله من الرجل؟ فقال: عبد الله ضبيع، فقال عمر: وأنا عبد الله عمر جئت تسأل عن المتشابهات وقد نهاك الله عنها؟!، ثم أخذ عرجوناً من هذه العراجين وجعل يضربه على رأسه حتى دمى رأسه فقال: كفى يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب عني الذي كنت أجد(٦)، ثم أمر به عمر بن الخطاب فأعيد إلى حيث جاء من البصرة وأمر والي البصرة أن يمنع الناس من مجالسته، لمنع انتشار فتنته فيهم.

---

(١) آل عمران آية ٧.

(٢) رواه البخاري ح ١ ص ٤٢ كتاب التفسير من سورة آل عمران عن عائشة مرفوعاً، ورواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ح ١ ص ٣٢٥ كتاب التفسير، رقم الحديث ٢١٢٦.

(٣) المنافقون آية ٤.

(٤) رواه ابن جرير وغيره، انظر فتح القدير للشوكاني ح ١ ص ٣١٨.

(٥) رواه عبد بن حميد وعبد الرزاق وأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي عن أمامة مرفوعاً، انظر فتح القدير للشوكاني ح ١ ص ٣١٩.

(٦) روى هذه القصة الدارمي وابن عساكر ونصر المقدسي في الحجة عن سليمان بن يسار، انظر فتح القدير للشوكاني ح ١ ص ٣١٩. القرطبي ح ٤ ص ١٤. جمع الفوائد ح ١ ص ٤٨ كتاب العلم. رقم الحديث ٢٨٢.

واستمر الأمر على ذلك إلى أن كان العهد العباسي حيث دس اليهود رجلاً آخر في حلقة الإمام مالك في المسجد ليثير البحث في هذه المتشابهات من جديد فسأل الإمام مالك قائلاً: يا أبا عبد الله، الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] كيف استوى؟ فأدرك الإمام مالك الهدف المشبوه الكامن وراء هذا السؤال فأطرق طويلاً وأخذته الرحضاء ثم نظر إليه وقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، أراك صاحب بدعة[2]، ثم قال لتلاميذه أخرجوه، فأخرجوه بين صافع ولاكم وراكل حتى رموه خارج المسجد، فخمدت الفتنة مرة ثانية، حتى كان العهد العباسي واختلف الأمر بعد ذلك.

تحليل الصراع العقائدي في العهد العباسي

بعد أن حاول أعداء الأمة ـ وكثير منهم كانوا سادة وقادة في شعوبهم ـ ضربها من داخلها على أيدي أبنائها المخدوعين حين رأوا ما وصلت إليه هذه الأمة من القوة وعرفوا أن سر قوتها هو وحدتها، وسبب وحدتها هو القرآن الكريم وفشلوا في إيجاد االخلاف على ألفاظه كما قلنا. حاولوا إفساد عنصر القوة هذا عبر إثارة الخلافات حول قضية عقائدية غيبية تتعلق بمعانيه وهي صفات الله تعالى، فكان أن خططوا للوصول إلى **مركز القرار السياسي والقوة المعنوية في الأمة** وهي بغداد عاصمة الخلافة العباسية، فاستغلوا ـ وكانوا من كبار زعماء الفرس والروم ـ ظاهرة التسامح الإسلامي عبر عقد الذمة، فتظاهر بعضهم بالإسلام بينما دخل البعض الآخر في عقد الذمة، وأظهروا المحبة والمودة والانسجام مع المسلمين من خلال إظهار مَنْ أسلم منهم الالتزام ببعض الأحكام التشريعية حتى يأمنهم الناس، فقربهم الخلفاء العباسيون للاستفادة من طاقاتهم ومعارفهم ومنهم بشر المريسي، فارتقوا حتى أصبح الكثير منهم حاشية للخلفاء، وقد تمكنوا من إغراء الخليفة

---

(١) طه آية ٥.

(٢) رواه اللالكائي عن الإمام مالك، وهو مروي أيضاً عن أم سلمة زوج النبي ﷺ فيما رواه عنها ابن مردويه انظر فتح القدير للشوكاني ح ٢ ص ٢١٢ عند تفسير الآية (ثم استوى على العرش) الأعراف آية ٥٤.

هارون الرشيد بترجمة الكتب اليونانية، **لتصبح ميزان التفكير والحكم على القضايا في المجتمع الإسلامي** تحت ستار ضرورة **الانفتاح** على الأمم الأخرى وتحصيل ما لديها من علوم وثقافة، فقام هارون الرشيد بتشكيل لجان للترجمة، وكان يعطي على ترجمة الكتاب مثل وزنه ذهباً، حتى انتشرت هذه الكتب اليونانية المترجمة إلى العربية في أوساط المسلمين الذين أعجبوا بها وفتنوا بمحتوياتها حتى أصبحت هي الميزان ومحل الاعتبار وصار الرجوع إليها هي بدلاً من الميزان الشرعي الذي تركه لنا رسول الله ﷺ، مما شكل خطراً على العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي، فأحس هارون الرشيد بذلك الخطر وانقلب على هؤلاء الذين أغروه بالترجمة ولاحقهم ففرّ الكثير منهم من سطوته وعلى رأسهم بشر المريسي[١]، ولما آلت الخلافة إلى المأمون بن الرشيد ظهر المريسي ومن معه من المعتزلة كأحمد بن أبي دُؤاد وثمامة بن الأشرس. وتقرّبوا من المأمون وتابعوا مسيرة الدعوة إلى الفكر الاعتزالي تحت غطاء التوحيد والتنزيه[٢]، ولكن بمقتضى العقل البشري وليس باعتماد النص الشرعي، وقد تمكنوا من إغراء المأمون بمخالفيهم من المحدثين من أهل السنة باتهامهم بالتجسيم والتشبيه، فجعل يلاحقهم ويعاقبهم، فدب الصراع بين الطرفين في العاصمة الإسلامية بغداد، فهاجر بعضهم وترخص البعض الثاني[٣] بينما واجه البعض الثالث مؤامرة المعتزلة، مما أدى إلى إعدام البعض منهم[٤] واعتقال وتعذيب البعض الآخر[٥] وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، الذي راح أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي مرات عديدة يغري المأمون ثم بعده المعتصم بقتله للقضاء على المعارضين، حتى أوشك المأمون أن يفعل ذلك، وأما

---

(١) حتى صار هارون الرشيد يقتل من يقول بخلق القرآن. انظر البداية والنهاية ح ١٠ ص ٢١٥، وانظر ص ٢٧٥ أيضاً.
وقال فيه إبن كثير: كان أحد من أضل المأمون. اهـ البداية والنهاية ح ١٠ ص ٢٨١ وص ٣٣١.

(٢) نفس المصدر ص ٣٣٢.

(٣) من أمثال: محمد بن سعد كاتب الواقدي ويحيى بن معين وزهير بن حرب وغيرهم كثير، انظر البداية والنهاية ح ١٠ ص ٢٧٢.

(٤) كالإمام أحمد بن نصر الخزاعي وغيره. نفس المصدر ص ٣٣٥.

(٥) كالإمام يوسف البويطي صاحب الإمام الشافعي ونعيم بن حماد الخزاعي. ومحمد بن نوح الذي كان مع الإمام أحمد حين سيق إلى الخليفة المأمون في الرقة بالقيود، وقد مات محمد بن نوح في الطريق وصلّى عليه الإمام أحمد. انظر البداية والنهاية ح ١٠ ص ٣٣٥.

المعتصم فقد امتنع عن ذلك خشية الفتنة لما كان للإمام أحمد من كثرة الاتباع، واستمر التعذيب والملاحقة للمعارضين إلى عهد الخليفة الواثق بالله العباسي حيث خفف من الوطأة على المحدثين من أهل السنة، بعد أن لفت نظره بعض حاشيته والمقربين إليه من خصوم المعتزلة الذين لم يظهروا ما في نفوسهم حتى لا يؤاخذوا بذلك، فأخرج الواثق الإمام أحمد من السجن وترك ملاحقة المعارضين للمعتزلة.

ولما كان عهد المتوكل وقد خف الضغط عن أهل السنة قبله في أواخر عهد الواثق تمكن بعضهم من الوصول إلى المتوكل وبيان حال أهل السنة وتوضيح رأيهم فيما ذهب إليه المعتزلة من القضايا الاعتقادية بعد أن كان المعتزلة يمنعونهم من ذلك، فانشرح صدره لذلك وقلب الأمر على المعتزلة، فأصدر الخليفة أمراً بملاحقتهم ومعاقبتهم فانكشف حالهم للناس.

وتبين أن أصولهم تنتهي إلى اليهود والزنادقة من خلال سلسلتهم[(١)] التي كشفها المحدثون عن ارتباط أركان الاعتزال بعبد الله بن سبأ اليهودي، فقد أخذ بشر المريسي[(٢)] وثمامة بن الأشرس[(٣)] وأحمد بن دؤاد[(٤)] فكرة الاعتزال وأهمها القول بخلق القرآن عن الجهم بن صفوان[(٥)] الذي أخذها عن الجعد بن درهم[(٦)] الذي

---

(١) أشار إلى هذه السلسلة إبن الأثير في الكامل في التاريخ ح ٥ ص ٢٩٤. وإبن كثير في البداية والنهاية ح ٩ ص ٣٥٠.

(٢) كان أبوه يهودياً، وعندما قال بخلق القرآن طلبه الخليفة الرشيد وحلف ليقتلنّه فتوارى عن الأنظار توفي سنة ٢١٨هـ انظر ضحى الإسلام ح ٣ ص ٢ والأعلام ح ٢ ص ٥.

(٣) قال فيه الشهرستاني: كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس. اهـ الملل والنحل ح ١ ص ١٠٥ وكان يدفع المأمون إلى تبني آراء المعتزلة توفي سنة ٢١٣. انظر ضحى الإسلام ح ٣ ص ١٥٣.

(٤) قال فيه الذهبي: كان جهمياً بغيضاً حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن. توفي سنة ٢٤٠هـ انظر الأعلام ح ١ ص ١٢٤ وقال فيه ابن كثير: إنه ضال مضلّ. اهـ البداية والنهاية ح ١٠ ص ٣٢٠.

(٥) قال فيه الذهبي: ضال مبتدع زرع شراً عظيماً. قتله والي خراسان على يد سالم بن أحوز في مدينة مرو سنة ١٢٨هـ انظر البداية والنهاية ح ٩ ص ٣٢٠ الأعلام ح ٢ ص ١٤١.

(٦) قال فيه الذهبي: مبتدع ضال اهـ أمر بقتله الخليفة هشام بن عبد الملك فأعدمه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى سنة ١١٨هـ كما قال البخاري والبيهقي وغيرهما: وانظر البداية والنهاية ح ٩ ص ٣٥٠. الأعلام ح ٢ ص ١٢٠.

أخذها عن أبان بن سمعان[1] ثم هو عن طالوت[2] ابن أخت لبيد عن لبيد بن الأعصم[3] عن عبد الله بن سبأ[4]، وهؤلاء كلهم ما بين يهودي وزنديق، أدى ما طرحوه في الأمة من هذه الفكرة إلى تدميرها عبر تلك الخلافات حتى أضعفت الدولة العباسية، فأغرى بها ذلك الضعف المغول والتتار فهاجموا بلاد المسلمين فدمروها حتى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية فدمروا فيها الحجر وقتلوا فيها البشر وأحرقوا فيها الشجر، وبلغ عدد القتلى فيها أكثر من مليون إنسان.

وكان من أبرز من سقط قناعه أيضاً من أولئك المعتزلة الزنادقة الأديب ابن الراوندي[5] الذي ألف كتاباً أنكر فيه نبوءة محمد ﷺ، وكتاباً آخر استخف فيه بالقرآن ووصفه بضعف التركيب والبلاغة، وألف كتاباً ثالثاً فضل فيه اليهودية على الإسلام.

الميزان في الصفات
وخطر الوزن بغيره

من طبيعة البشر أنهم يختلفون باختلاف قدراتهم العقلية وأحوالهم النفسية، فكان لا بد من وجود موازين تمنع من وقوع النزاع والصراع بين الناس عند الاختلاف حين يعودون إليها، وتنقسم هذه الموازين إلى ثلاثة: ـ

---

(١) ويسمى أيضاً بيان بن سمعان. قيل إنه ادعى النبوة وأنه نسخ شريعة محمد ﷺ ثم ادعى الربوبية على مذهب الحلولية. انظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(٢) قال فيه ابن الأثير: كان زنديقاً فأفشى الزندقة. وأنه أول من صنف كتباً في خلق القرآن. انظر الكامل في التاريخ ح ٥ ص ٢٩٤. حوادث سنة ٢٤٠.

(٣) وهو اليهودي الذي سحر رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم وكان يقول بخلق القرآن. انظر الكامل في التاريخ ح ٥ ص ٢٩٤.

(٤) كان قد تظاهر بالإسلام في عهد عثمان وأثار الناس عليه وادعى في علي بن أبي طالب الألوهية وكان يقول: إن رسول الله ﷺ أوصى لعلي بالخلافة لكن الصحابة جحدوا ذلك. قال فيه ابن حجر انه من غلاة الزنادقة، توفى سنة ٤٠هـ انظر لسان الميزان ح ٣ ص ٢٨٩. الأعلام ح ٤ ص ٨٨.

(٥) قال فيه ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، ويقال إنه قتل وصلب سنة ٢٩٨هـ انظر البداية والنهاية ح ١١ ص ١١٢.

أولاً: ـ ميزان تجاري: ـ وسيلته الآلة الخاصة بوزن الأشياء أو كيلها.

الثاني: ـ ميزان عقلي: ـ وسيلته الحواس الخمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

الثالث: ـ ميزان شرعي: ـ وسيلته الوحي السماوي: كتاب وسنة.

وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[1].

فكما أن الناس إذا اختلفوا في قضية تجارية ورجعوا إلى الميزان التجاري انحسم خلافهم، ولو اختلفوا في قضية عقلية ورجعوا إلى حواسهم انحسم خلافهم، كذلك إذا اختلف الناس في قضية شرعية ورجعوا إلى النص الشرعي الصحيح الصريح انحسم خلافهم فيها أيضاً.

ولهذا فقد أمر الله تعالى بالرجوع إلى النص الشرعي عند الاختلاف فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾[2]، وفي الحديث الصحيح: «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي»[3].

ولما كان تنزيه الله تعالى عباده لقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[4]، أي نزه الله تعالى عن العيوب والنقائص، والعبادة إنما تؤخذ عن الله تعالى فيما يتعلق بعمل القلب، كما تؤخذ عن الله تعالى فيما يتعلق بعمل الجوارح، كالصلاة فإن الصلاة عبادة ولا يجوز أداؤها إلا على الوجه الذي بيَّنه رسول الله ﷺ، كذلك فإن تنزيه الله تعالى وإثبات الصفات له عبادة فلا يجوز أداؤها إلا كما يريد الله

---

(١) الحديد آية ٢٥.

(٢) النساء آية ٥٩.

(٣) رواه مالك في الموطأ بلاغاً مرفوعاً بلفظ (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ) جمع الفوائد ح ١ ص ٢٧ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة. رقم ١٢٤.

(٤) الأعلى آية ١.

تعالى وكما بيّنه رسول الله ﷺ. وليس كما يريد أرسطو وأفلوطين وفيثاغورس وغيرهم من الفلاسفة والمناطقة.

فصفات الله تعالى يجب أن تفهم بمقتضى النص الشرعي ولا يجوز الاحتكام فيها إلى العقل البشري لأن ذلك يؤدي إلى الاختلاف عليها، الذي يجر إلى الصراع والنزاع، لأن العقول متفاوتة ويترتب على تفاوتها الاختلاف في الفهم، وحين تكون القضية إيمانية تتعلق بصفات الله تعالى فإن الاختلاف فيها يؤدي إلى أن يكفر الناس بعضهم بعضاً.

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال في الحديث الصحيح: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض»(١).

ولما كانت ذات الله تعالى من الغيب المطلق فليس في قدرة الإنسان أن يتعرف إليها بعقله لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٢)، فإن الخوض في هذه القضية بمقتضى العقل البشري حينئذ سيفضي بصاحبه إلى الحيرة والضياع ولهذا فقد نهى الله تعالى عن الخوض في صفاته بعيداً عن النص الشرعي رأفة بهذا الإنسان ورحمة به، ووضع القاعدة العامة للتعامل مع صفات الله تعالى فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣).

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يعملون بهذه القاعدة فلم يقع فيما بينهم في هذه المسألة خلاف أو صراع لأنهم استسلموا للنص الشرعي فانسجمت معه فطرتهم، ولما خرج الناس عن مقتضى هذه القاعدة في القرن الثالث وقع الاختلاف والصراع فيما بينهم وحلّ بهم الاضطراب النفسي بسبب تناقض ما ذهبوا إليه بمقتضى عقولهم مع ما آمنوا به بمقتضى فطرتهم.

وعندما وقع العديد من العلماء في مخالفة هذه القاعدة الشرعية أصابتهم

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن جرير بن عبد الله البجلي مرفوعاً. انظر فيض القدير ج ٦ ص ٣٩٤ رقم ٩٧٦٧.
(٢) طه آية ١١٠.
(٣) الشورى آية ١١.

الحيرة وتملكهم الضياع فلما عادوا إليها اطمأنوا بها، من هؤلاء: الإمام أبو الحسن الأشعري تـ ٣٣٤هـ، والإمام الجويني تـ ٤٧٨هـ، والإمام الغزالي تـ ٥٠٥هـ، والإمام الرازي تـ ٦٠٦هـ، وهكذا يكون الالتزام بهذه القاعدة سبباً في السلامة والخروج عنها يكون سبباً في العطب.

الدرس التاسع

الشرك الأكبر وأنواعه



خطر الشرك

الشرك مصدر مشتق من الفعل الرباعي أشرك يشرك إشراكاً فهو مشرك، وفي الاصطلاح: هو ضم غير الله تعالى إليه في الربوبية خلقاً وإيجاداً وفي الألوهية طاعة وانقياداً وفي الأسماء والصفات تنزيهاً أو إثباتاً.

ويحمل الشرك معنى الشركة وهي تدل على ضعف المشتركين في حال الإنفراد، والله تعالى غني عن العالمين ولذلك فإنه لا يقبل الشركة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

وللشرك خطره على الفرد وعلى المجتمع وعلى البيئة:

أولاً: ـ خطره على الفرد: ـ ينشأ عن الشرك بالله تعالى بطلان الإيمان، ويترتب على بطلان الإيمان بطلان العمل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[2].

لأن قبول العمل يعتمد على الإيمان اعتماد البنيان على أساسه فمتى فقد الأساس أو تصدع انهار البنيان: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[3]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾[4]، وببطلان الإيمان والعمل يحرم المشرك الجنة يوم القيامة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[5]، كما أن الشرك يؤدي إلى وقوع المشرك في الاضطراب النفسي الذي يؤدي به إلى الشقاء لفقدان الأمن في نفسه كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[6].

---

(١) النساء آية ٤٨.
(٢) الزمر آية ٦٥.
(٣) إبراهيم آية ١٨.
(٤) النور آية ٣٩.
(٥) المائدة آية ٧٢.
(٦) الأنعام آية ٨٢.

ثانياً: ـ خطر الشرك على المجتمع: ـ

أوجد الله تعالى البشر وفيهم طبيعة الاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، وينشأ عن اجتماعهم تعامل في مختلف صعد الحياة، ولما كانت عقولهم متفاوتة فإنه ينشأ فيما بينهم اختلاف من جراء ذلك التعامل فيحتاجون إلى جهة يتلقون عنها التشريعات ويطيعونها لضبط علاقاتهم، وإن وحدة مصدر التلقي تؤدي إلى وحدة التصور فيهم، وإن تعددية مصادر التلقي تؤدي إلى تفاوت التصور فيما بينهم مما ينشأ عنه نزاع فصراع فصدام فيشقى المجتمع بنتائج هذا الصدام ويدمر بعضه بعضاً، ولهذا أمر الله تعالى بتوحيده في الطاعة فقال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1]، ونهى عن الشرك به في ذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[2]، فالشرك سبب في شقاء المجتمع على كل المستويات: العقائدية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

ثالثاً: ـ خطر الشرك على البيئة: ـ

خلق الله تعالى الكون ووضع له سنناً كونية لضبط حركته، وخلق الإنسان في هذا الكون ووضع له سنناً شرعية لضبط تصرفاته، وأعطاه الحرية والاختيار وأمره بالعمل بالسنن الشرعية لينسجم مع هذا الكون وينشأ عن هذا الانسجام العطاء الرباني: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾[3]، وبدون الالتزام بالسنن الشرعية يكون المنع والشقاء، ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾[4]، فصارت السنن الشرعية للكون كالروح للبدن ـ كما قلنا سابقاً ـ، ولهذا فإنه حين تكثر المعاصي والفسوق والكفر في الناس آخر الزمان تكثر فيهم الزلازل والبراكين والخسوف وحين يتمحض الشرّ في الأرض

---

(١) الإسراء آية ٢٣.

(٢) الأنعام آية ١٥٩.

(٣) نوح آية ١٢.

(٤) سبأ آية ١٥.

تقوم الساعة ويتهدم الكون كما يتهدم البدن بخروج الروح منه كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»[1]، وفي رواية: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق»[2].

أنواع الشرك وأقسامه

ينقسم الشرك بالله تعالى إلى قسمين: الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

القسم الأول: الشرك الأكبر:

وهو إضافة غير الله تعالى إليه في الربوبية في الخلق والإيجاد وفي الألوهية في الطاعة والانقياد، وفي الأسماء والصفات في التنزيه والإثبات.

والشرك الأكبر لا يغفره الله تعالى لمن يموت عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3]، ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[4]، وهذا الشرك يخلد صاحبه في نار جهنم لقوله ﷺ: «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[6].

أولاً: الشرك في الربوبية

وهو على نوعين: سلبي وإيجابي:

النوع الأول: الشرك السلبي: كشرك الشيوعية لأنهم ينفون وجود الله تعالى أصلاً، فيقولون: لا إله والحياة مادة.

---

(١) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٥ كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله، رقم الحديث ٢٠٢٠.
(٢) نفس المصدر. رقم الحديث ٢٠٢٢ عن ابن مسعود مرفوعاً.
(٣) النساء آية ٤٨.
(٤) الزمر آية ٦٥.
(٥) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ١ ص ٢٠ كتاب الإيمان. رقم الحديث ٥٢.
(٦) المائدة آية ٧٢.

والنوع الثاني الشرك الإيجابي: وهو إضافة معبود آخر مع الله تعالى في ذاته، وذلك كشرك المجوسية فإنهم يؤمنون بوجود إلهين اثنين، أحدهما يخلق الشر وثانيهما يخلق الخير، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[1].

ثانياً: الشرك في الألوهية

وهو على نوعين: سلبي وإيجابي.

النوع الأول: ـ الشرك السلبي: ـ وله صورتان.

الصورة الأولى: ـ شرك سلبي كلي: ـ كشرك الدهرية وذلك بترك عبادة الله تعالى مطلقاً كما كان يقول بعض فئات العرب في الجاهلية: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع. كما قال تعالى حاكياً عنهم ذلك: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾[2].

الصورة الثانية: ـ شرك سلبي جزئي: ـ وذلك بترك بعض أنواع من العبادات وعدم الاعتراف بها، كمن يعترف بالصلاة والصيام وينكر الزكاة والحج، أو يعترف بالعبادات البدنية وينكر المعاملات المالية أو يعترف بهذه وتلك ولكنه ينكر العقوبات الشرعية كالحدود والقصاص والتعزيرات، أو كمن يؤمن بنظام العبادات في الإسلام ولكنه يأخذ نظام الاقتصاد الرأسمالي الغربي أو الاشتراكي الشرقي من الآخرين، فإن من فعل ذلك يبطل إيمانه ويبطل عمله بالتالي، لأنه قد أشرك بالله تعالى غيره في العبادة.

النوع الثاني: ـ الشرك الإيجابي: ـ بإضافة غير الله تعالى مع الله تعالى في العبادة، ويدخل هذا الشرك في عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح.

الصورة الأولى: ـ الشرك القلبي: ـ ويدخل ذلك في الإرادة والمحبة والتوكل والطاعة، فمن أراد لنفسه خلاف ما أراده الله تعالى له من الأحكام الشرعية مع العلم والاختيار يكون قد وقع في الشرك الأكبر القلبي، ومن أحب غير الله تعالى

(١) النحل آية٥١.
(٢) الجاثية آية٢٤.

كمحبته لله تعالى أو أشد فقد وقع في الشرك الأكبر، والتوكل على الله تعالى من عمل القلب وذلك حين يرضى المرء بما قدر الله تعالى له أو عليه بعد أن يأخذ بالأسباب المادية. لأنها من توكل الجوارح فلا يغني توكل القلب عن توكل الجوارح، ولا يغني توكل الجوارح عن توكل القلب، فمن استغنى بأحدهما عن الآخر فقد أشرك بالله تعالى، والشرك يبطل الإيمان وبالتالي يبطل العمل ويورد صاحبه نار جهنم يوم القيامة.

والطاعة من عمل القلب، وهي تعني الإذعان والتسليم، فمن قدم طاعة غير الله تعالى على طاعة الله تعالى فيما حرم الله تعالى في حال الاختيار فقد أشرك بالله تعالى، وأما في حال الإكراه فقد تجاوز الله تعالى عنه، كما قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(١)، وفي الحديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(٢).

الصورة الثانية: الشرك اللساني:

أولاً: ـ الدعاء: ـ وهو التوجه بالطلب إلى من يقدر على قضاء جميع الحاجات وهو مشروع بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾(٣)، وفي الحديث الصحيح: «الدعاء هو العبادة»(٤)، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾(٥)، وهناك فرق بين الدعاء والطلب. فالدعاء: فيه سؤال ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وأما الطلب ففيه سؤال ما يقدر عليه المطلوب منه.

---

(١) النحل آية ١٠٦.

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) ورواه ابن حبان عنه مرفوعاً وكذا الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين. انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٥٢٢ رقم الحديث ١٣٩٣.

(٣) غافر آية ٦٠.

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي وصححه عن النعمان بن بشير مرفوعاً، انظر بلوغ المرام ص ٣١١ باب الذكر والدعاء. رقم الحديث ١٥٧٦.

(٥) البقرة آية ١٨٦.

فمن دعا غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فقد أشرك بالله تعالى، كمن يدعو نبياً أو ولياً أو شهيداً أو صالحاً من الناس قد مات فإنه يكون قد أشرك بالله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾[1]، فالدعاء عبادة من حيث الأصل ولكنه قد يوقع صاحبه في الشرك بالله تعالى من حيث الممارسة الخاطئة، ويشترط لصحة الدعاء ثلاثة شروط: ـ

الشرط الأول: ـ إيمان الداعي: ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[2]، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾[3].

الشرط الثاني: ـ العدل في الدعاء: ـ بأن لا يطلب الداعي ما يخالف سنن الله تعالى الكونية كمن يدعو الله تعالى أن يجعله من المخلدين في الدنيا أو في منزلة الأنبياء ونحو ذلك فإنه من العدوان في الدعاء ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾[4].

الشرط الثالث: ـ طيب الكسب: ـ ففي الحديث: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»[5]، وفي الحديث أيضاً: ذكر النبي ﷺ «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له»[6].

ثانياً: **ـ الحلف**: ـ وهو تأكيد القول أو الفعل المحلوف عليه بأعظم معظم عند الحالف، وهو مشروع بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾[7]،

---

(١) الأعراف آية ١٩٤.
(٢) العصر آية ٢.
(٣) الرعد آية ١٤.
(٤) الأعراف آية ٥٥.
(٥) رواه الطبراني في معجمه الصغير عن ابن عباس مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٢ ص ٥٤٧ كتاب الذكر والدعاء. باب طلب الحلال واجب على كل مسلم. رقم الحديث ٨.
(٦) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر. رقم الحديث ١.
(٧) البقرة آية ٢٢٤، أي لا تجعلوا اليمين بالله تعالى عارضاً يمنعكم من فعل الخير كما في تفسير القرطبي ح ٣ ص ٩٨ المسألة الثالثة قلت: ومفهومه أنه يجوز الحلف في فعل الخير أو التأكيد عليه، والآية في سورة البقرة آية ٢٢٤.

وفي الحديث: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[1]، ووجه الدخول في الشرك بالحلف أنه إذا حلف بغير الله تعالى فإنه يكون قد جعل غير الله تعالى مضاهياً عنده في التعظيم لله تعالى أو أكثر منه.

ثالثاً: ـ النذر: ـ وهو إلزام المرء نفسه بنوع من القربات لم تتعين عليه في الشرع، كأن يقول: لله علي أن أتصدق بمائة دولار إن شفا الله تعالى مريضي فلان، أو أن أصوم لله تعالى ثلاثة أيام. إن عافى الله تعالى مريضي، وهو من حيث الأصل مباح وقيل إنه مكروه[2] ولكنه في الحالتين يجب الوفاء به عند النذر لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾[3]، ولكنه حين كان صاحبه لا يفعل هذه العبادة إلا في مقابل معافاة المريض على جهة المعاوضة مع الله تعالى فإنه قد أصبح مكروهاً في الشرع لما يحمل من معنى البخل على نفسه في علاقة العبد مع ربه بالمعاوضة، ولهذا نهى ﷺ عن النذر وقال (إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل)[4].

ووجه دخول الشرك بالنذر أنه إذا نذر معصية ووفى به يكون قد قدم قوله أو قول الشيطان الذي أوحى إليه بذلك على قول الله تعالى وهو منهى عنه، فقد قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[5]، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه»[6].

ويدخل في شرك اللسان كل قول مخالف لأمر الله تعالى كالكذب والزور

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر مرفوعاً. بلوغ المرام ص ٢٨٣ كتاب الأيمان والنذور. رقم الحديث ١٣٨٦.
(٢) انظر المغني لابن قدامة ح ١٠ ص ٣.
(٣) الحج آية ٢٩.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر مرفوعاً. انظر نيل الأوطار ح ٨ ص ٢٤٠ كتاب النذر باب نذر الطاعة مطلقاً ومعلقاً. رقم الحديث ٢.
(٥) الحجرات آية ١.
(٦) رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الأربعة عن عائشة مرفوعاً. انظر فيض القدير ح ٦ ص ٢٣١ رقم الحديث ٩٠٥٦.

والبهتان والغيبة والنميمة وما شاكل ذلك إذا كان عالماً بالتحريم ومستحلاً للمخالفة.

الصورة الثالثة: ـ الشرك الجوارحي: ـ

حركة الإنسان في الحياة يجب أن تكون منسجمة مع شرع الله تعالى ليتحقق لصاحبها وصف الإسلام لله تعالى، وإذا خرج بشيء منها عن ذلك فإنه يكون مستجيباً لوساوس إبليس وإيحاءاته فيكون في حال العلم بالمخالفة، واستباحتها مشركاً بالله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾[١]، وللشرك الجوارحي صور كثيرة من أهمها: ـ

أولاً: ـ **القيام**: ـ وهو الوقوف على جهة التعظيم والتقديس ويسمى القنوت، ولا يجوز أن يصرف إلا لله تعالى وحده كما قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٢]، وللقيام حالتان: ـ

الحالة الأولى: ـ محرمة: وهي ما كان على هيئة ما يفعله الفرس بملوكهم حيث يقوم مجموعة من الناس بالقرب من الملك وقوفاً لا يتحركون طيلة مدة وقوفهم تعظيماً للملك، وفي هذا ورد الحديث: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[٣]، وقد صلى النبي ﷺ جالساً بعد أن كان قد سقط عن فرسه على جنبه الأيمن وقال (إنما جعل الإمام ليؤتم به... وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعين)[٤] لكنه في مرضه الأخير صلى قاعداً وهم قيام[٥].

---

(١) الأنعام آية ١٦٢.
(٢) البقرة آية ٢٣٨.
(٣) رواه أحمد والطيالسي في مسنديهما، ورواه الترمذي وغيره عن معاوية مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٣٠٦. رقم الحديث ٢٣٥٠.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٢٤٧ كتاب الإمامة في الصلاة. رقم الحديث ٧٦٣.
(٥) رواه البخاري وقال: ولم يأمرهم بالقعود وإنما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعل النبي ﷺ، انظر صحيح البخاري ح ١ ص ١٦٧ كتاب الصلاة. باب إنما جعل الإمام ليؤتم به. وذكر ابن حجر أن هذا هو قول الشافعي أيضاً وأبي حنيفة وأبي يوسف والأوزاعي ومالك. وفي المسألة كلام طويل. انظر فتح الباري ح ٢ ص ١٧٦. رقم ١٨٩.

الحالة الثانية: ـ مباحة: وهي ما كانت على جهة التكريم، وقد كان النبي ﷺ يقوم لابنته فاطمة إذا جاءت ويقبل يدها[١]، وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[٢]، فإذا كان من عادات الناس إكرام الرجل بالوقوف له عند قدومه فلا مانع من ذلك، وقد قال ﷺ لأصحابه حين قدم سعد بن معاذ وكان قد أصيب بسهم في أكحله في معركة الخندق: «قوموا إلى سيدكم»[٣].

ثانياً: ـ الركوع: ـ وهو الانحناء على جهة التعظيم، ولا يكون الركوع لغير الله تعالى، لأنه نوع من العبادة كالقيام، وفي الحديث: «أما الركوع فعظموا فيه الرب»[٤]، فالركوع لغير الله تعالى شرك بالله تعالى كما يفعل بعض الناس عند اللقاء وفي المسارح حيث ينحنون للجمهور.

ثالثاً: ـ السجود: ـ وهو رمز الخضوع التام بوضع الجبهة على الأرض وقد يطلق الركوع على السجود كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ﴾[٥]، فالسجود هنا بمعنى الانحناء على جهة التكريم بأمر الله تعالى للملائكة فليس عبادة منهم له، ولا يجوز السجود لغير الله تعالى لأنه عبادة، ولكنه حصل ها هنا لآدم عليه الصلاة والسلام بأمر الله تعالى فهو طاعة لله تعالى، وفي الحديث: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله تعالى لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[٦].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، انظر تحفة الأحوذي ح ٨ ص ٣١ كتاب الأدب، باب كراهية قيام الرجل للرجل، رقم الحديث ٢٩٠٢. وقد أورد المؤلف آراء العلماء وأدلتهم في الخلاف في هذه المسألة.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي شريح العدوي مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٣٠ كتاب البر والصلة. باب الرحمة والضيافة. رقم الحديث ٨٣٠٦.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٥٣ رقم ١٩٠٤.

(٤) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ١ ص ٨٤ كتاب الصلاة. باب النهي عن القراءة في الركوع والسجود. عن ابن عباس مرفوعاً. رقم الحديث ٢٩٥.

(٥) البقرة آية ٣٤.

(٦) رواه القزويني عن ابن أبي أوفى، وكذا ابن حبان في صحيحه، ورواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٥٥. رقم الحديث ٢٢ و٢٣.

رابعاً: ـ الصيام: ـ وهو الامتناع عن الشراب والطعام والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طاعة لله تعالى، فمن امتنع عن ذلك استجابة لنداء أو طلب أحد من دون الله تعالى في حال الاختيار طاعة له فيما حرم الله تعالى على جهة التعبد بأن يأكل حيث يحرم الأكل أو يمتنع حيث يجب فقد أشرك بالله تعالى، كما يفعل عملاء الجن من الإنس حيث يطلب الجني من عميله الإنسي ترك نوع من الأطعمة تعبداً، ليستجيب له، فيقع الإنسي في الشرك لأنه امتنع عن الطعام استجابة لأمر الجني وهو نوع من الصيام، وفي الحديث القدسي عن الصوم (فإنه لي وأنا أجزي به)[1].

خامساً: ـ الذبح: ـ وهو قطع الودجين والحلقوم والمريء من البهيمة ليخرج جميع دمها ويطيب لحمها، والله تعالى هو الذي أودع فيها الروح فلا يجوز إزهاقها إلا بإذنه، فيجب تسمية الله تعالى عليها دون غيره: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾[2].

ومحل اعتبار المخالفة الشرعية شركاً هو ما إذا علم المخالف بالحكم واستباح خلافه مع الاختيار.

ثالثاً: الشرك في الأسماء والصفات

ينقسم الشرك في الأسماء والصفات إلى نوعين: ـ

النوع الأول: ـ شرك سلبي: ـ وله صورتان: ـ

الصورة الأولى: ـ شرك سلبي كلي: ـ وذلك بنفي أسماء الله تعالى وصفاته جملة وتفصيلاً بالتأويل بحجة الخوف من الوقوع في التجسيم كما فعل الجهمية الذين نفوا أسماء الله تعالى وصفاته.

الصورة الثانية: ـ شرك سلبي جزئي: ـ بإثبات الأسماء. دون الصفات بحجة

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر الترغيب والترهيب ح ٢ ص ٧٩ كتاب الصوم باب الترغيب في الصوم مطلقاً، رقم الحديث ١.

(٢) الأنعام آية ١٢١.

أن الأسماء منتهاها إلى مسمى واحد، وأن الصفات يفضي إثباتها إلى التجسيد فيجري نفيها بالتأويل كما فعل المعتزلة والمفوضة.

النوع الثاني: ـ شرك إيجابي: ـ وله صورتان: ـ

الصورة الأولى: ـ شرك إيجابي كلي: ـ بإثبات صفات الله تعالى ولكن على نحو ما هي ثابتة للمخلوقين ولها حالتان: ـ

الحالة الأولى: ـ تشبيه مخلوق بخالق: كما فعل النصارى حيث قالوا: إن عيسى عليه الصلاة والسلام ابن الله تعالى، وكما فعل اليهود حيث قالوا في العزير إنه ابن الله تعالى، وكما فعل بعض مشركي العرب حيث قالوا إن الملائكة بنات الله تعالى.

الحالة الثانية: تشبيه خالق بمخلوق كما فعل الكرامية المجسِّمة الذين قالوا إن صفات الله تعالى كمثل صفات المخلوق.

الصورة الثانية: ـ شرك إيجابي جزئي: ـ وذلك بإثبات البعض من الصفات ونفي البعض الآخر بالتأويل كما فعل الأشعرية الكلابية، حيث أثبتوا عشرين صفة لله تعالى ـ واحدة نفسية وخمس سلبية وسبعة معاني وسبعة معنوية ـ ونفوا ما عدا ذلك من الصفات بالتأويل، بحجة الخوف من الوقوع في التجسيم، وجاراهم في كثير من ذلك الماتريدية.

ومحل الحكم بالشرك على شخص أو جهة: هو إذا عاند الحق بعد أن وصلته الحجة فيه.

تنبيه: يجب الحذر من الحكم على الأشخاص بالكفر أو بالشرك بصورة اجتهادية لاحتمال أن لا تكون الأدلة الشرعية في ذلك قد وصلتهم أصلاً، أو كانت قد وصلتهم ولكن لها تأويلاً عندهم فيه شبهة، وذلك يمنع من وصفهم بالكفر أو بالشرك..

ونحن حين نقسم الشرك على نحو ما ذكرنا فإنما نعني به الآراء دون أصحابها، فلا يلزم من تكفير القول تكفير القائل، لاحتمال أن تكون له شبهة

فيما قال به، وفي الحديث (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه)[1] وإنما يحكم على قائلها فيمن لا يستحقها بالكفر، لأنه يكون قد وصف الإسلام فيه بالكفر، وهذا هو عين الكفر، مع ما في ذلك من خطورة كبيرة بين المسلمين، لما يترتب عليه من فتح باب التكفير والتكفير المضاد الذي يؤدي إلى استباحة الأموال والدماء والأعراض فيهم، وقد قال ﷺ (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)[2] فمن جرى تكفيره استبيح ذلك فيه.

---

(١) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه) انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٤٦٣ كتاب الأدب باب الترهيب من قوله لمسلم: يا كافر. رقم الحديث ١.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٨٣ رقم الحديث ١٩٩٣.

الدرس العاشر

الشرك الأصغر وأنواعه



الشرك الأصغر وأنواعه

وهو طروُّ إرادة وجه غير الله تعالى فيما يراد به وجه الله تعالى من الأقوال والأفعال.

وسمي شركاً أصغر لأن صاحبه لا يخرج به من الملة، وقد قال ﷺ (أخوف ما أخاف عليكم، الشرك الأصغر)(١) وينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الشرك القلبي، أي أنه يتعلق بعمل القلب، وهو الرياء وذلك بأن يقصد المرء بعمله وجه غير الله تعالى، إما أصلاً وإما إضافة، ولهذا فإن للرياء حالتين:

الحالة الأولى: رياء أصلي، وذلك إذا كان الدافع فيه لأداء واجب العبادة إرادة وجه الناس فيها، بحيث لو لم يره الناس لم يفعلها، وهذا النوع من الشرك الأكبر، الذي يبطل به الإيمان، ومنه ما حكاه الله تعالى عن المنافقين بقوله ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾(٢)، وكقوله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾(٣).

الحالة الثانية: رياء إضافي: - بأن يقصد بالعبادة وجه الله تعالى ثم يطرأ عليه إرادة وجه الناس، وقد سماه النبي ﷺ بالشرك الخفي فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ قال: الشرك الخفي»(٤)، كما سماه ﷺ بشرك السرائر فقال: «إياكم وشرك السرائر، قالوا: وما

---

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقي عن محمود بن لبيد مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٦٨ باب الترهيب من الرياء. رقم الحديث ٢٣.

(٢) المنافقون آية ٣.

(٣) النساء آية ١٤٢.

(٤) رواه ابن ماجه والبيهقي. عن أبي سعيد مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٦٨ باب الترهيب من الرياء. رقم الحديث ٢٠.

شرك السرائر يا رسول الله ﷺ؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»(١).

النوع الثاني: ـ الشرك اللساني: ـ وله صورتان:

الصورة الأولى: ـ التسوية بين الله تعالى وخلقه في العبارة لا في الاعتبار كقولهم: ما شاء الله وشئت، والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم شئت، وكقولهم: لولا الله وأنت، والصواب أن يقال: لولا الله ثم أنت. ولما قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. قال له: (ويحك أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده)(٢).

الصورة الثانية: ـ نسبة النعم إلى غير الله تعالى. كقولهم: مطرنا بنوء كذا وكذا، والصواب: مطرنا بفضل الله تعالى ورحمته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾(٣)، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(٤).

الصورة الثالثة: ـ التوسل: ـ وهو على نوعين: ـ

الأول: ـ مشروع: ـ وذلك بالتوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾(٥)، والتوسل بالعمل الصالح أيضاً: لأنه من فعل الإنسان وكسبه قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٦)، وفي حديث الثلاثة في الغار (ادعوا الله بصالح أعمالكم)(٧).

---

(١) نفس المصدر، رقم الحديث ٢١ عن محمود بن لبيد مرفوعاً.

(٢) رواه ابن مردويه، وروى النسائي نحوه وابن ماجه انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٠١ باب قول: ما شاء وشئت، وروى نحوه أحمد وأبو داود والنسائي عن حذيفة مرفوعاً بلفظ (لا تقولوا ما شاء الله وما شاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٤٩٩ رقم ٣٠٣٧.

(٣) الشورى آية ٢٨.

(٤) العنكبوت آية ٦٣.

(٥) الأعراف آية ١٨٠.

(٦) النحل آية ٣٢.

(٧) رواه مسلم عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ (انظروا أعمالاً عملتموها صالحة فادعوا الله بها لعل الله يفرجها عنكم) انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٥٤ كتاب الدعاء باب الدعاء بما عمل، رقم الحديث ١٨٧٥. ورواه البخاري بنحوه ح ٤ ص ٢١٠ كتاب بدء الخلق. باب حديث الغار.

الثاني: ـ ممنوع: ـ كالتوسل بذات المخلوقين أو بجاه المخلوقين فإن ذواتهم وجاههم من فعل الله تعالى وفضله، وليس من عمل المتوسل وجهده، وطريق تصحيح عبارة التوسل بذوات المخلوقين أن يقال: اللهم اسألك بإيماني بجبريل وميكائيل أو بإيماني بمحمد ﷺ لأن الإيمان من عمل القلب أو بمتابعتي له، والمتابعة من عمل الجوارح فيدخل ذلك في هذه الحال في التوسل المشروع.

النوع الثالث: ـ الشرك الجوارحي: ـ

الجوارح: جمع جارحة وهي جميع أطراف البدن ذات الحركة الاختيارية كالرأس واليدين والرجلين، وللشرك الجوارحي صور عديدة منها: ـ

أولاً: ـ الرقية: ـ وهي أدعية تقال أو تكتب لمرض أو حمى أو عين أو نحو ذلك، وهي على نوعين: ـ

رقية مشروعة: ـ وهي ما كان بالقرآن أو بصحيح السنة من الأدعية.

رقية غير مشروعة: ـ وهي ما كان فيها استعانة بغير الله تعالى. وتشتمل على رموز وطلاسم.

وتدخل الرقية في الشرك إذا اعتقد صاحبها أنها تدفع عنه بذاتها أو كان فيها كلام شركي.

ثانياً: ـ التميمة: ـ وهي ما يُعلق على الأبناء والبهائم والممتلكات من خيط أو عظم أو خرز ونحو ذلك لدفع الشرّ عنهم، وهي ممنوعة لقوله ﷺ: «من تعلق تميمة وكل إليها»[1] وفي رواية: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له»[2]، وتدخل في الشرك الأصغر إذا اعتقد أنها سبب في دفع البلاء، وتتحول بصاحبها إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد أنها تدفع عنه البلاء بذاتها.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم. عن عبد الله بن عكيم أبي معبد الجهني مرفوعاً. ورواه الترمذي بلفظ (من تعلق شيئاً وكل إليه) انظر تحفة الأحوذي ح ٦ ص ٢٣٩ وص ٢٤١ أبواب الطب عن رسول الله ﷺ. باب كراهية التعليق. رقم الحديث ٢١٥٢.

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والترمذي عن عقبة بن عامر مرفوعاً. نفس المصدر. رقم ٢١٥٣.

ثالثاً: ـ التولة: ـ وهي ضرب من السحر تفعله المرأة لتحبب زوجها بنفسها، وقد ورد تحريمها في قوله ﷺ: «إن الرُقى والتمائم والتولة شرك»[1]، وتدخل في الشرك لما فيها من جلب نفع بوسيلة غير مشروعة، وقد حذر الشرع منها فقال ﷺ: «من أتى كاهناً لم تقبل له صلاته أربعين يوماً»[2]، وفي رواية: «من أتى كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[3] لأن الكاهن يدعي علم الغيب ويتصل بعالم الجن بكلمات أو أفعال كفرية، فمن أتى الكاهن وإن لم يصدقه وقع في الشرك الأصغر وإذا صدقه بما قال وقع في الشرك الأكبر.

رابعاً: ـ التبرك: ـ وهو تفعل من البركة وهي الزيادة والنماء، ولا تكون إلا من الله تعالى، ويدخل في الشرك الأصغر إذا اعتقد صاحبها أن الشيء المتبرك به سبب في النفع، وتتحول بصاحبها إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد أنه ينفع بذاته، ولهذا فإن النبي ﷺ حين مر بشجرة للمشركين في الطائف كانوا يعلقون عليها سيوفهم تسمى (ذات أنواط) قال بعض من أسلم حديثاً في فتح مكة: يا رسول الله ﷺ إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال ﷺ: «الله أكبر إنها السنن[4] قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[5]، وخشية أن يقع الناس في الشرك حين جعلوا يقصدون شجرة بيعة الرضوان في الحديبية أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطعها سداً لذريعة الشرك».

خامساً: ـ التشاؤم والتطير: ـ وهو ما ينزل بالمرء من الحوادس والتخمينات

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم ورمز له السيوطي بالصحة: انظر فيض القدير ح ٢ ص ٣٤٢. رقم ٢٠٠٢.

(٢) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ١٥٣ كتاب الكهانة. باب من أتى عرافاً لم تقبل له صلاة. رقم الحديث ١٤٩٦.

(٣) رواه البزار بإسناد جيد قوي عن جابر مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٣٤ باب الترهيب من السحر والكهان. رقم الحديث ٧.

(٤) رواه ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي واقد الليثي. انظر فتح القدير ح ٢ ص ٢٤١.

(٥) الأعراف آية ١٣٩.

عند رؤية أو سماع بعض الأشياء، كما كان العرب يفعلون عند السفر، حيث يقصد أحدهم أوكار الطير فينفرها، فإن اتجهت يميناً تفاءل وسافر، وإن اتجهت شمالاً تشاءم ورجع، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: «لا عدوى ولا طيرة»[١]، وفي رواية: «الطيرة شرك ثلاثاً»[٢]، وتدخل الطيرة في الشرك الأصغر إن اعتقد أنها تدل على الخير أو الشر فقط، وتتحول بصاحبها إلى الشرك الأكبر إن اعتقد أنها تحصله.

وأما ما ورد في الحديث أن الشؤم في ثلاث (المرأة والدابة والدار)[٣] فهو محمول على ما كان عليه الحال في الجاهلية، وبهذا أجابت عائشة رضي الله عنها حين سمعت من يحتج بهذا الحديث على مشروعية الشؤم في هذه الثلاث.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٢٤. باب الطيرة والفأل والشؤم عن أبي هريرة مرفوعاً. رقم الحديث ٧٦٠٩.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح من حديث ابن مسعود مرفوعاً. انظر المصدر السابق ص ٣٢٣ رقم الحديث ٧٥٩٨.

(٣) رواه البخاري ح ٤ ص ٣٥ كتاب الجهاد، باب ما ذكر من شؤم الفرس عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ (إنما الشؤم في ثلاثة: الفرس والمرأة والدار) ورواه مسلم عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ (إنْ يَكُ من الشؤم شيء حق ففي الفرس والمرأة والدار) انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ١٥٢ كتاب الطيرة. رقم الحديث ١٤٩٢.

الدرس الحادي عشر

الإيمان بالملائكة



الإيمان بالملائكة

الملائكة: جمع مَلَك، وهو مشتق من الألوكة بمعنى الطهار والرسالة ومنه قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[1]، والملائكة مخلوقات نورانية يسند إليها الله تعالى أمر القيام بمهام مختلفة في هذا الكون.

وقد ورد مشروعية الإيمان بهم في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[3]، وفي الحديث حين سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[4].

ولا يصح إنكار وجود الملائكة ما دام أنه قد صح الخبر به لأن العقول البشرية محدودة لمحدودية الحواس التي هي أدواتها وبالتالي لا يصح إنكار ما لا يقع تحت هذه الحواس من الأشياء. لأن ذلك مخالف للعقل والنقل.

طبائع الملائكة: للملائكة طبائع يختلفون بها عن غيرهم من المخلوقات، فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون كما أنهم لا يتناسلون وهم مطهرون من الأرجاس والأنجاس، ومن طبيعتهم أنهم يتشكلون على هيئات مختلفة:

فقد تشكلوا على هيئة ضيوف من البشر زاروا إبراهيم عليه السلام في بيته وتحدثوا معه في شأن إهلاك قوم لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ

---

(١) فاطر آية ١.
(٢) البقرة آية ٢٨٥.
(٣) النساء آية ١٣٦.
(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه عن عمر بن الخطاب مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ١٠ كتاب تعريف الإيمان والإسلام. رقم الحديث ٣٦.

﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾[(١)].

وتشكلوا على هيئة خصمين ودخلوا على داود عليه السلام في عقر داره، كما قال تعالى: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾[(٢)].

كما تشكل جبريل عليه السلام لمريم على هيئة رجل صالح، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾[(٣)].

وكثيراً ما كان جبريل عليه السلام يتشكل على هيئة رجل يدعى دحية بن خليفة الكلبي عندما ينزل بالوحي على رسول الله ﷺ[(٤)]، وأحياناً على هيئة رجل أعرابي[(٥)]، وربما ظهر على هيأته الملكية له ستمائة جناح يسدّ الأفق[(٦)].

---

(١) الذاريات آية ٣٠.

(٢) ص آية ٢١ـ ٢٤.

(٣) مريم آية ١٧.

(٤) وكان يضرب به المثل في حسن الصورة. صحابي جليل توفي سنة ٣٥هـ في عهد معاوية رضي الله عنه. انظر الأعلام ح ٢ ص ٣٣٧.

(٥) كما في حديث عمر بن الخطاب الذي سأل فيه عن الإيمان والإسلام والإحسان. رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، انظر جمع الفوائد ح ١ ص ١٠. كتاب التعريف بالإيمان والإسلام. رقم الحديث ٣٦.

(٦) رواه البخاري ح ٤ ص ١٤٠ كتاب بدء الخلق. باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه.

علاقات الملائكة

للملائكة علاقات بالله تعالى وبالكون وبالإنسان:

أولاً: ـ علاقتهم بالله تعالى: ـ

١ـ علاقة تسبيح: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[١]، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾[٢].

٢ـ هم رسل الله تعالى إلى الخلق: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[٣].

٣ـ عبادة الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[٤].

٤ـ طاعة مطلقة لله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٥].

ثانياً: ـ علاقة الملائكة بالكون: ـ

منهم موكل بالمطر، ومنهم موكل بالجبال، وبعضهم موكل بالرياح، وبعضهم موكل بالرزق[٦] وهكذا، كما أن منهم موكل بالصور: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٧]، ومنهم موكل بالجنة وأهلها وعلى رأسهم رضوان[٨]، ومنهم موكل بالنار وأهلها وعلى رأسهم مالك ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ

---

(١) الأنبياء آية ٢٠.
(٢) الحديد آية ١.
(٣) فاطر آية ١.
(٤) الأنبياء آية ١٩.
(٥) التحريم آية ٦.
(٦) انظر العقيدة الطحاوية ص ٤٠٦.
(٧) الزمر آية ٦٨.
(٨) انظر تفسير القرطبي ح ١٥ ص ٢٨٦ عند تفسير قوله تعالى في أهل الجنة (وقال لهم خزنتها) من سورة الزمر لآية ٧٣.

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1] كما أن منهم موكلون بالترحيب بأهل الجنة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾[2].

ثالثاً: - علاقة الملائكة بالإنسان: -

يتولّى بعض الملائكة نفخ الروح في البدن حين يتم تخليق الجنين[3]، كما يتولى البعض الآخر انتزاع هذه الروح من البدن عند استيفاء الأجل، ومن الملائكة موكلون بحفظ الإنسان من شياطين الجن والإنس، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[4]، ومن الملائكة من هو موكل بكتابة أعمال بني آدم كبيرها وصغيرها الحسن منها والسيء: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾[5]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾[6]، كما أن من الملائكة من هو موكل بتتبع مواطن الذكر: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[7].

ومن الملائكة موكلون في الحرب بنصرة المؤمنين: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)﴾[8].

---

(١) الزخرف آية ٧٧.
(٢) الرعد آية ٢٤.
(٣) فقد ورد في الحديث (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فينفخ فيه الروح) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٣٠ كتاب القدر. رقم الحديث ٧٦٤٠ عن ابن مسعود مرفوعاً.
(٤) الرعد آية ١١.
(٥) ق آية ١٨.
(٦) الانفطار آية ١١.
(٧) رواه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً ورمز له السيوطي بالصحة. انظر فيض القدير ح ٥ ص ٤٠٩ رقم الحديث ٧٧٧٦.
(٨) الأنفال آية ١٢.

وفي القرآن عن وظائف الملائكة ومهماتهم في الحياة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾[1]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾[2]. ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾[3]

الإيمان بوجود الجن

الجن: ـ مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والخفاء، ومنه الجنة لكثرة ما فيها من الشجر الذي يستر صاحبه عن غيره، ومنه الجنين لاستتاره عن النظر، وكذا المجنون لاستتار عقله على الهيمنة على البدن.

اصطلاحاً: ـ مخلوقات غيبية أصلها من نار.

وللجن طبائع مختلفة: ـ

أولاً: ـ مادة خلقهم من النار: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾[4].

ثانياً: ـ أشكالهم قبيحة بدليل قوله تعالى في وصف شجرة الزقوم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾[5] فهم يضرب بهم المثل في القبح والرعب، ومن رحمة الله تعالى بالناس أنهم لا يرون عالم الجن هذا: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[6].

ثالثاً: ـ يتشكلون بأشكال مختلفة كما حصل في دار الندوة حين تآمرت قريش على النبي ﷺ وتشاورت في كيفية القضاء على دعوته فتمثل الشيطان على

---

(١) المرسلات آية ٤.
(٢) النازعات آية ١ـ ٦.
(٣) الصافات آية ١ ـ ٣.
(٤) الحجر آية ٢٧.
(٥) الصافات آية ٦٥.
(٦) الأعراف آية ٢٧.

هيئة أعرابي وأشار عليهم بقتل محمد ﷺ[1]: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

وكما تشكل الشيطان للمشركين في معركة بدر فأغراهم بمواجهة النبي ﷺ ومنازلته وعدم الرجوع إلى مكة بعد نجاة القافلة التجارية من أيدي المسلمين، فلما بدأت المعركة ورأى الملائكة تتنزل من السماء لنصرة المسلمين فرَّ هارباً: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[3]، وتمثل لأبي هريرة حين كان خازناً لبيت مال المسلمين فجاءه على هيئة سارق[4].

رابعاً: ـ الجن يأكلون ويشربون بدليل قوله ﷺ: «إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»[5] كما أنهم يتناسلون بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[6]، فما دام أن فيهم رجالاً ففيهم نساء، وبالتالي فإن لهم ذرية: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾[7].

خامساً: ـ لهم قدرات هائلة، من ذلك أنهم كانوا يصنعون لسليمان عليه الصلاة والسلام تماثيل ضخمة وأبنية شاهقة وأواني عظيمة: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾[8]، وقد أحضر الجن عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين عند سليمان عليه الصلاة والسلام في ومضة عين مع أن هذه المسافة ذهاباً وإياباً تزيد عن أربعة آلاف كيلومتر: ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا

---

(١) انظر البداية والنهاية ح ٣ ص ١٧٥.
(٢) الأنفال آية ٣٠.
(٣) الأنفال آية ٤٨.
(٤) رواه البخاري بنحو ما ذكرناه. انظر فتح القدير ح ١ ص ٢٧٤ عند تفسير آية الكرسي.
(٥) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح. انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ١٢٨ كتاب الطعام. باب الترهيب من الأكل والشرب بالشمال رقم ٢. ورواه مسلم والترمذي أيضاً عن عمر. انظر نفس المصدر. رقم الحديث ١.
(٦) الجن آية ٦.
(٧) الكهف آية ٥٠.
(٨) سبأ آية ١٣.

قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾[1].

كما أن منهم من يسترق السمع من السماء الدنيا على الرغم مما بين السماء والأرض من ملايين السنين الضوئية، فيأتي بالمعلومة التي يسترقها إلى عميله من الإنس بومض البصر، كما أخبر الله تعالى عن قولهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾[2].

علاقة الجن بالإنس

للجن مع الإنس علاقات مختلفة في هذه الحياة الدنيا:

أولاً: ـ علاقة وسوسة وتزيين وتمويه: ـ

وذلك بإلباس الحق لباس الباطل للتنفير منه، وإلباس الباطل لباس الحق للترغيب فيه، من أجل أن يوقع الإنسان في المخالفة الشرعية لتحل عليه العقوبة الإلهية كما حصل حين خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وأمر الملائكة بالسجود له تكريماً وتعظيماً، فرفض ابليس ذلك فحلت عليه العقوبة فطرده الله تعالى من رحمته، ثم أدخل الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام الجنة وأمره باجتناب الأكل من شجرة معينة فيها، فوسوس إليه الشيطان وموّه عليه الحقيقة وزيّن له المخالفة، فأكل منها فأخرجه الله تعالى من الجنة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[3]، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن

---

(١) النمل آية ٣٨ـ ٤٠.
(٢) الجن آية ٩.
(٣) البقرة آية ٣٤ـ ٣٦.

سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)﴾[١]، ثم أهبطهما الله إلى الأرض، لكن الله تعالى لم يترك الإنسان طعمة للشيطان فيها بل زوده بالشرائع السماوية التي تحفظه من كيد الشيطان بما أنزل فيها من أحكام اعتقادية وأحكام عملية، وكما نبه الله تعالى آدم وحواء في الجنة من كيد الشيطان الرجيم وعداوته لكل منهما فقال: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧)﴾[٢]، نبه بني آدم أيضاً إلى عداوة الشيطان لهم في هذه الدنيا: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (٦)﴾[٣]، فالالتزام والطاعة تحفظ الإنسان من كيد الشيطان، والمخالفة والتمرد توقعه في مكائده.

ثانياً: ـ علاقة عمالة:

وذلك أن الجن عالم غيبي ممنوع من الاتصال بالإنس والظهور عليه، كما هو ممنوع من السيطرة المادية على البشر، فلا يجوز للإنسان الاتصال بالجن لأنه لا يستجيب له إلا إذا صرف له بعض أنواع العبادة، ثم ينظر الجني بعد ذلك في إمكانية طاعة الإنسي والاستجابة له بما يتفق وضمان بقاء الإنسي متعلقاً به ليستمر في ضلاله حتى الموت، ليشاركه المصير في نار جهنم يوم القيامة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)﴾[٤].

وقد نهى النبي ﷺ عن الإتيان إلى العرافين والكهنة فقال ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[٥]، وقال أيضاً في النهي عن تصديقهم:

---

(١) الأعراف آية ٢٢.
(٢) طه آية ١١٧.
(٣) فاطر آية ٦.
(٤) الجن آية ٦.
(٥) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ١٥٣ كتاب الكهانة. باب من أتى عرافاً لم تقبل له صلاة. رقم الحديث ١٤٩٦.

«من أتى عرافاً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1]، لأن العرافة نوع من السحر والسحر اتصال بعالم الجن ولا يتم ذلك إلا بصرف بعض أنواع العبادة لهم، ولهذا قال ﷺ: «من سحر فقد أشرك»[2] وفي رواية (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تُكُهِّنَ له أو سَحَر أو سُحِرَ له)[3]. وفي القرآن: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فالسحر يؤدي إلى الكفر.

ولا يحصل اتصال بعالم الجن المسلم لأنهم لا يرتضون بصرف شيء من العبادة إليهم ولو فعلوا لكفروا.

ثالثاً: علاقة تلبُّس:

يتكون الإنسان من مادة وروح، والروح هي القوة المحركة للبدن ولها غذاؤها كما للبدن غذاؤه، وغذاء الروح ذكر الله تعالى والأعمال الصالحة، فتقوى الروح بهذا الذكر فتهيمن على البدن وتمنع من اختراق الشيطان لمراكز القيادة فيه، ومتى ضعفت هذه الروح تمكن الشيطان من مشاركة الإنسان في قيادة البدن عبر الوسوسة والتزيين والإغراء وربما يشارك الإنسان في الهيمنة على مراكز الإحساس فيه فيتلبسه فينشأ عن ذلك حركة اضطراب تخلو عن مقتضى الحكمة والصواب: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾[4] وفي الحديث (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)[5].

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد قوي عن جابر مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٣٤ باب الترهيب من السحر والكهان. رقم ٧.

(٢) رواه النسائي عن أبي هريرة مرفوعاً، من رواية الحسن عنه، ولم يسمع منه عند الجمهور. نفس المصدر ح ٤ ص ٣٢ باب الترهيب من السحر. رقم الحديث ٢.

(٣) رواه البزار بإسناد جيد ورواه الطبراني عن عمران بن حصين مرفوعاً. نفس المصدر ص ٣٣ رقم الحديث ٤.

(٤) البقرة آية ٢٧٥.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن صفية مرفوعاً، انظر فيض القدير ح ٢ ص ٣٥٨. رقم الحديث ٢٠٣٦.

رابعاً: علاقة تحضير الأرواح:

متى فارقت الروح البدن لم يعد لغير الله تعالى سلطة عليها، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[2].

وما يقال من دعوى تحضير أرواح الأموات فإنما هو ضرب من السحر والاتصال بعالم الجن، حيث يستحضر الساحر قرين ذلك الميت الذي رافقه طيلة حياته ويعرف عنه تفاصيل أحواله، فيسأله ويجيبه ذلك القرين، فيظن الحاضرون أنه روح الميت، والسحر لا يتم ــ كما قلنا ــ إلا بكلمات كفرية ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟﴾[3].

(١) الزمر آية ٤٢.
(٢) فاطر آية ٢.
(٣) البقرة آية ١٠٢.

الدرس الثاني عشر

الإيمان بالكتب



الإيمان بالكتب

الكتب جمع كتاب، وهو مشتق من الكتب، ومعناه الجمع والضم، وأصله مشتق من كتب الأديم، وهو الجلد، وذلك بضم بعضه إلى بعض بالخياطة[1]، وأطلق ذلك على الكتاب لما فيه من جمع الحروف في الكلمة لتعطي معنى معيناً وتضم الكلمات في الجملة لتعطي معنى أشمل، والكتاب عبارة عن مجموعة الجمل ليعطي موضوعاً معيناً.

وقد ثبت الإيمان بالكتب في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[3] وفي الحديث عندما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)[4].

كما أن الإيمان بالكتب ثابت عقلاً، فإن الإنسان يغلب عليه الضعف: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[5] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾[6]، وللإنسان عدو كبير وخطير وهو الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾[7]، فاحتاج هذا الضعيف إلى ما يتقوى به على عدوه، فكانت الكتب السماوية هي التي تحيط هذا الإنسان بعوامل القوة والحماية من ذلك العدو.

---

(١) انظر مفردات القرآن للأصبهاني ص ٦٩٩.
(٢) البقرة آية ٢٨٥.
(٣) النساء آية ١٣٦.
(٤) رواه مسلم وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ١١. كتاب تعريف الإيمان والإسلام. رقم الحديث ٣٦.
(٥) النساء آية ٢٨.
(٦) الروم آية ٥٤.
(٧) فاطر آية ٦.

وهذه الكتب السماوية أنزلها الله تعالى على الأنبياء والرسل لتكون مرجعاً للأمة في الوقوف على ما يريد الله تعالى منهم أن يفعلوه، وليحتكم الناس إليها بعد الرسل، ولتكون عامل صيانة لتعاليم الرسل من بعدهم، وأخيراً لتكون عامل استمرار للدعوة بعد الرسل.

ووسيلة وصول الكتب السماوية إلى البشر هي الوحي.

والوحي لغة: - إعلام سريع في خفاء.

واصطلاحاً: - إخبار الله تعالى نبياً من أنبيائه بحكم شرعي.

ولوصول الوحي إلى الأنبياء والرسل صور شتى منها: -

أن يأتي على هيئة صلصلة الجرس وهو أشده وأثقله.

ومنها أن يأتي على هيئة النفث في الروع.

وقد يأتي ملك الوحي على هيئة رجل.

وأحياناً يأتي في اليقظة، وقد يأتي في النوم أحياناً أخرى.

ومنها أن يكلم ملك الوحي الرسول من وراء حجاب دون أن يراه.

وفي القرآن إشارة إلى أنواع من الوحي في قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾[1].

مضامين الكتب

الكتب السماوية تتفق في جانب العقيدة من حيث الإيمان بالله تعالى والكتب والملائكة والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾[2] ولفظة (كلّ) تشمل

(١) الشورى آية ٥١.

(٢) البقرة آية ٢٨٥.

كل الأنبياء والرسل. وتتفق الكتب السماوية أيضاً في جانب الأخلاق، للحديث (إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق)[1].

ولكن هذه الكتب السماوية تختلف فيما بينها من الناحية التشريعية العملية في تفصيلاتها، فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادات مشروعة في الأديان السابقة في الجملة: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[2]، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[4]، ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾[5] ولكن تفاصيل وكيفية أداء هذه العبادات تختلف من دين إلى دين.

وفي القرآن إشارة إلى بعض مضامين الكتب السماوية السابقة، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[6]، ومنها قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[7]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[8]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾[9]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) رواه مالك بلاغاً في الموطأ، قال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة، وغيره، انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٢٤٤ رقم الحديث ٦٣٨.

(٢) مريم آية ٣١.

(٣) مريم آية ٥٩.

(٤) البقرة آية ١٨٣.

(٥) الحج آية ٢٧.

(٦) النجم آية ٣٦ـ ٤١.

(٧) الأعلى آية ١٩.

(٨) المائدة آية ٤٥.

(٩) المائدة ٤٧.

ولكن هذه الكتب السابقة دخلها التحريف والتزوير لأسباب عديدة منها:

أولاً: ـ مجاملة بعض علماء تلك الأديان للسلاطين، وسكوت البعض الآخر عن ذلك فانتشر الانحراف وتجذر مع الزمن.

ثانياً: ـ سَعْي بعض علمائهم إلى تلبية شهواتهم المالية أو الوجاهية على حساب تعاليم الدين وأحكامه، فأغفلوا بعضها وزوروا البعض الآخر وسكت عليهم الآخرون من العلماء فانطمست الحقيقة في أعين العامة من الناس ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾[1].

ثالثاً: ـ تَعرُّضُ علمائهم للاضطهاد والتشريد والتعذيب على أيدي سلاطين ظلمة في مختلف العصور، سواء على أيدي الرومان ضد اليهود وعلمائهم أو على أيدي الآشوريين أو المصريين أو البابليين، كما تعرض النصارى للاضطهاد على أيدي أباطرة الرومان وسلاطينهم وبدعم من اليهود أحياناً في مراحل مختلفة من التاريخ، من أبرزها عصر الإمبراطور نيرون الذي تولّى السلطة سنة ٥٤م، والإمبراطور تراجان سنة ٩٨م، والإمبراطور دكيوس سنة ٢٤٨م، والإمبراطور دقلديانوس سنة ٤٨٤م، تلاه قسطنطين الأكبر الذي حكم الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٠٦م، وتنصر سنة ٣١٢م، وتظاهر بأنه يسعى إلى إنهاء ما نشب من خلافات عميقة بين النصارى في شأن المسيح عليه الصلاة والسلام وتعاليمه، فدعا إلى عقد مؤتمر عالمي يضم علماء النصارى من كل مكان في العالم فاجتمع فيه (ألفان وثمانية وأربعون عالماً) فطرح المسائل المختلف عليها بينهم في المؤتمر وأهمها قضية ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، فكان رأي الأكثرية من الحاضرين أنه رسول بشر، فأخذ قسطنطين برأي الأقلية (ثلاثمائة وثمانية عشر عالماً) التي تقول: إنه إله، والتي طلبت منه أن يجبر المعارضين على الأخذ برأيهم

---

(١) المائدة آية ٧٨.

في المسيح عليه الصلاة والسلام فكانت موجة اضطهاد كبيرة قام بها هذا الأمبراطور في محاولة لطمس معالم الحقيقة عند الآخرين مستخدماً سلطته المادية والمعنوية في ذلك[1] فدمّر المسيحية تحت ستار مناصرتها.

وقد تسببت هذه الظروف من الاضطهاد والمجاملة والطمع من علماء الأديان السابقة في تحريف وتزوير وطمس معالم تلك الديانات.

نماذج من التحريف
في الكتب السابقة

أولاً: ـ على مستوى الألوهية: ـ

الله تعالى عندهم في التوراة يندم، وذلك أنه حين أمر بتعذيب بعض العصاة من بني آدم، جاء العذاب أكبر مما ينبغي حتى إنه شمل اليهود الذين هم أبناء الله تعالى وأحباؤه في زعمهم، فلما رأى الله تعالى ذلك ندم على ما كان قد قرره ضدهم من العذاب. بل وندم على أنه خلق الإنسان في الأرض[2].

والله تعالى عندهم في التوراة يجهل، فإنه حين أمر آدم عليه الصلاة والسلام باجتناب الأكل من شجرة معينة في الجنة وخالف آدم عليه الصلاة والسلام في ذلك فأكل منها، وتفقده الله تعالى ذات مرة فلم يجده فناداه قائلاً: يا آدم أين أنت؟ لعلك أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها[3]؟

والله تعالى عندهم في التوراة يتعب، فإنه حين خلق السموات والأرض في ستة أيام مسه تعب شديد فاستلقى على قفاه ليستريح في اليوم السابع، فرد الله

---

(١) انظر مجمل ذلك في: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ح ٢ ص ١٧. خصائص التصوّر الإسلامي لسيد قطب ص ٢. العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة ص ٣٥ وما يليها. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٣٥.

(٢) ففي الإصحاح السادس من سفر التكوين يقول في الآية رقم ٦: ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. الكتاب المقدس ص ٥.

(٣) انظر سفر التكوين الإصحاح الثالث في الكتاب المقدس ص ٣.

تعالى عليهم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴿٣٨﴾﴾[1]، ولهذا فإنهم لا يعملون يوم السبت ويجعلونه يوم راحة في الأسبوع اقتداء بالله تعالى في زعمهم.

ويقولون بأن الله تعالى عن كفرهم في التوراة قد صارع يعقوب عليه الصلاة والسلام فصرعه يعقوب، وتمكن الله في تصوّرهم من الفرار منه إلى السماء بعد ذلك[2].

ثانياً: ـ على مستوى النبوة: ـ

قالوا في التوراة إن نوحاً عليه الصلاة والسلام كان يشرب الخمر حتى الثمالة[3]، وإن داود عليه الصلاة والسلام كان إذا أعجبته نساء بعض ضباطه في الجيش يرسلهم إلى أرض المعركة ليعاشر زوجاتهم من بعدهم بالزنا[4]، وقالوا إن لوطاً عليه الصلاة والسلام زنا بابنتيه بعد أن أسكرتاه، وولدتا منه أولاداً[5]، واتهموا المسيح عليه الصلاة والسلام بأنه ابن زنا في حين جعله النصارى إلهاً[6] وابن إله[7]، تعالى الله تعالى عن كفرهم جميعاً.

ثالثاً: على مستوى الأخلاق:

يقسم اليهود البشر بمقتضى فهمهم للتوراة ـ التي شرحوها بما يسمونه بالتلمود ـ إلى يهود وأمميين، ويصفون اليهود بأنهم شعب الله المختار، وأما الأمميون فإنهم عندهم كلاب وخنازير في الحقيقة، لكن الله تعالى جعلهم على هيئة البشر ليألفهم اليهود عندما يستخدمون هؤلاء الأمميين.

---

(١) ق آية ٣٨.
(٢) انظر الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين آية ٢٥ من الكتاب المقدس ص ٢٢.
(٣) انظر الإصحاح التاسع من سفر التكوين الآية ٢٠ وما بعدها في الكتاب المقدس ص ٨.
(٤) انظر الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني في الكتاب المقدس ص ٢٩٩.
(٥) انظر الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من الآية ٣٠ إلى ٣٦.
(٦) قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) المائدة آية ١٧.
(٧) قال الله تعالى (إذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) المائدة آية ١١٦.

ويعتقدون أن كل ما في هذا الكون من خيرات فإنما هي مخلوقة لليهود إكراماً لهم، وما يمتلكه غير اليهودي من أموال وعقار وأرض فإنما هي من أملاك اليهود قد اغتصبها الأممي، فلليهودي الحق في أن يسترجعها بأي أسلوب عند القدرة على ذلك، وقد حكى القرآن عنهم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾[1].

وبالتالي فلا حرمة لغير اليهودي عندهم، لأنهم يعتبرونهم معتدين مغتصبين لحق اليهود كما هو ثابت عندهم في التلمود[2]، وهو كتاب وضعه زعماء اليهود، تظهر فيه أطماعهم وأحقادهم.

ومن أهم مبادىء التلمود[3]:

- اليهود أحب إلى الله من الملائكة، وهم من عنصر الله كما الولد من عنصر أبيه.
- الموت جزاء الأممي إذا ضرب اليهودي.
- لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض.
- الأمميون جميعاً كلاب وخنازير.
- يحرم على اليهودي العطف على الأممي وكل شر يعمله معه فهو قربان إلى الله.
- يحرم على اليهودي الربا الفاحش مع اليهودي لكنه جائز مع الأممي.
- يحرم على اليهودي سرقة اليهودي ولكنه واجب مع الأممي.

إلى غير ذلك من المبادىء التي تبرهن على ما يحمله اليهود من حقدٍ على

---

(١) آل عمران آية ٧٥.

(٢) معناه بالعبرية النظام، وهو كتاب فقه اليهود، ويتكون من مجموعة من التعاليم التي قررها أحبار اليهود شرحاً للتوراة واستنباطاً من أصولها، وقد يخالف بعض نصوص التوراة، وهو ينقسم إلى كتابين وهما: تلمود أورشليم، وتلمود بابل. فتلمود أورشليم هو ما شرحه حاخامات فلسطين، وتلمود بابل هو ما شرحه حاخامات بابل. انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة. شيبة الحمد ص ٢٣.

(٣) انظر نفس المصدر.

الآخرين وكراهية لمن عداهم، حتى أصبحوا أشبه بالمرض الخبيث في أي بلد نزلوا فيه أو تعاملوا مع أهله كما فعلوا في بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا مما أدى إلى طردهم وقتلهم والانتقام منهم، حتى قذفوا بهم إلى فلسطين، وهم في فلسطين المحتلة اليوم أشبه بالغدة السرطانية تفتك بالجسم الإسلامي منذ أن غرستها فيه بريطانيا سنة ١٩٤٨م بمقتضى وعد بلفور وزير الخارجية البريطاني آنذاك الذي أعطاهم إياه سنة ١٩١٧م وإلى أن يتم القضاء عليهم على أيدي المسلمين لتخليص العالم من أضرارهم وتطهيره من أرجاسهم، كما قال ﷺ (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله: هذا يهودي ورائي تعال فاقتله فيقتله)(١).

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٥ كتاب الفتن باب في قتال المسلمين اليهود. رقم الحديث ٢٠٢٥، ورواه البخاري عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله) البخاري ح ٦ ص ٢٣٩ كتاب علامات النبوة.

الدرس الثالث عشر

الإيمان بالرسل



الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل مشروع في الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: ففي قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[2].

وأما السنة: ففي حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)[3].

وأما الإجماع: فلا خلاف بين العلماء في وجوب الإيمان بجميع رسل الله تعالى بلا تفريق بين رسول ورسول ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾[4] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾[5].

وأما المعقول: فإنه لما كان الله تعالى لا يكلم الناس مباشرة، وهم بحاجة إلى قانون يضبط حركتهم في هذه الحياة، فقد اقتضى ذلك أن يرسل الله تعالى رسلاً يحملون إلى الناس رسالات الله تعالى ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾﴾[6].

---

(١) البقرة آية ٨٥.

(٢) النساء آية ١٣٦.

(٣) رواه مسلم وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ١١ كتاب الإيمان والإسلام. رقم ٣٦.

(٤) البقرة آية ١٨٥.

(٥) النساء آية ١٥٠- ١٥٢.

(٦) الشورى آية ٤٢.

والرسل: جمع رسول، وهو من جعل واسطة بين المرسل والمرسل إليه.

واصطلاحاً: - هو من أُوحى أليه بشرع جديد وأمر بتبليغه.

والنبي لغة: - مشتقة من النبوة وهي ما ارتفع من الأرض كالربوة وزنا ومعنى.

واصطلاحاً: - هو من أوحى إليه بتجديد شريعة من قبله من الرسل. فالرسول أعم من النبي، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

صفات الرسل: -

يتمتع الرسل بصفات، والصفات الرئيسية فيها سبع[1]، وهي: -

أولاً: - الفطنة: - وهي دقة الفهم وسرعة الإدراك ليتمكن بها الرسول أو النبي من مواجهة قومه المكذبين له ومجادلتهم، وقد توفرت هذه الصفة في جميع الأنبياء والرسل، ففي نوح عليه الصلاة والسلام ﴿قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾[2]، وفي إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[3]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[4].

وقد كان في عام الوفود بعد فتح مكة المكرمة تدور بين النبي ﷺ ورؤساء الوفود في المدينة المنورة مناقشات ومناظرات تنتهي بإقامة الحجة عليهم.

ثانياً: - العصمة: - وهي معنى يمنع من صدور الانحراف العقائدي أو السلوكي أو الأخلاقي من الرسول أو النبي مطلقاً، سواء فيما يتعلق بعمل القلب أو بعمل اللسان أو بعمل الجوارح لأنه محل القدوة لقومه، ولولا العصمة لكان الناس

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٣٧٨.

(٢) هود آية ٣١.

(٣) الأنعام آية ٨٣.

(٤) البقرة آية ٢٥٨.

مأمورين بذلك الانحراف وحاشا لله تعالى أن يأمر بذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾، ولو حصل من النبي أو الرسول خطأ لسارع الوحي إلى تصحيحه، كما حصل مع ابن أم مكتوم الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ ليتعلّم منه بعض شرائع الإسلام فأعرض عنه النبي ﷺ لأن عنده بعض زعماء قريش طمعاً في إسلامهم فأنزل الله تعالى معاتباً: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ④ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخْشَىٰ ⑨ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ⑩ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑪﴾[١].

ثالثاً: ـ الصدق: ـ وهو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه حقيقة، والرسل يخبرون قومهم عما مضى من الأحداث وعما هو قائم منها وعما سيأتي ولم يحدث أن تخلف خبر منها قط، ولو وجد ذلك لسارع الخصوم إلى التشهير به وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ونحن مأمورون بأن نكون مع الصادقين وفي مقدمتهم الأنبياء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ⑪⑨﴾[٢].

رابعاً: ـ التبليغ: ـ وهو إيصال مضمون الوحي وأحكام الرسالة إلى الناس بلا زيادة ولا نقص ولا إهمال ولا مداهنة، ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٤]، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ④④ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ④⑤ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ④⑥﴾[٥].

خامساً: ـ السلامة من الأمراض المعدية والعاهات المنفرة: ـ لأن إصابتهم بها تتنافى مع مهمتهم وهي التبليغ حيث سينفر الناس منهم فلا يتمكنون من تبليغهم، وما

---

(١) عبس آية ١١.
(٢) التوبة ١١٩.
(٣) الأحزاب ٣٩.
(٤) المائدة آية ٦٧.
(٥) الحاقة آية ٤٤ـ ٤٦.

ذكر عن أيوب عليه الصلاة والسلام من إصابته بأمراض نفر منها أهله حتى رموه خارج المدينة على نفاياتها فكله من أكاذيب اليهود على أنبيائهم، والذي أصابه من الضرّ هو فقد ماله وولده ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[1].

سادساً: ـ البشرية: ـ فإن كل الأنبياء والرسل يبعثهم الله تعالى من البشر ليقوموا بالتطبيق العملي للأحكام الشرعية حتى لا يقال ـ لو كان الرسول من الملائكة ـ إن الطبيعة مختلفة وبالتالي فلا قدرة لنا على تطبيق هذه الشرائع وتنفيذها ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[2].

سابعاً: ـ الذكورية: ـ لأن مقام النبوة والرسالة يقتضي المخالطة للناس وقيادتهم في السلم والحرب، وهو أمر تعجز عنه الأنثى، ولئن كان الشرع لم يعطها حق قيادة الأسرة فكيف تعطى حق قيادة المجتمع، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾[3]، وقيل إنه لا يشترط في النبوة الذكورة بخلاف الرسالة، فيصح أن تكون المرأة نبية لا رسولة، لأن المقصود بالنبوة الاقتداء العملي، والمرأة محل قدوة النساء، وقد ردّ الجمهور ذلك بالآية المذكورة.

مؤيدات الرسل

للرسل أربع مؤيدات رئيسية وهي: ـ جوهر الرسالة، شخصية الرسول، بشارة الرسل السابقين به، معجزاتهم[4].

أولاً: ـ جوهر الرسالة:

والمقصود به مضمونها، فإن جميع الرسل عبر التاريخ جاءوا قومهم برسالات تتضمن دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، والعبادة تعني الطاعة المطلقة التي لا يرافقها تردد أو تشكك أو توقف، وعند النظر في مضمون الرسالات السماوية نجد

---

(١) الأنبياء ٨٤.
(٢) الكهف آية ١١٠.
(٣) يوسف آية ١٠٩.
(٤) انظر مجمل هذه المؤيدات في: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٣١٨.

أن جميع الرسل قد دعوا قومهم إلى الخضوع لله تعالى والالتزام بمنهجه الذي وضعه للبشر ليحقق لهم المصلحة العامة فلا تعود هذه الدعوة على الرسول بمصلحة مادية ذاتية، بل إنه يتعرض بسببها لكثير من الأذى المادي والمعنوي من سبّ وشتم وتحقير وتهجير وتشريد، بل وقتل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[1]، ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾[2].

ولم يطلب الرسل من قومهم على تبليغهم رسالة الله تعالى إليهم أجراً، لأن الرسول إنما يبتغي الأجر عند الله تعالى، كما أخبر الله تعالى عن كل رسول أنه كان يقول لقومه ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[3]، وأيضاً فإن مضمون الرسالة منسجم بعضه مع بعض ومنسجم مع الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، مما يدل على ربانية مصدر الرسالة. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[4]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[5].

ثانياً: ـ شخصية الرسول: ـ

يختار الله تعالى الرسل على جانب من الكمال الخَلْقي أي الحسي بحيث لا يكون في الرسول نقص في هيئته البدنية، لا من حيث الأصل كالطول الزائد أو القصر الزائد عن المعتاد، ولا من حيث الطوارىء كالعاهة الدائمة أو المرض المنفر، حتى لا ينعكس ذلك سلباً على نفسيته وضرراً في شخصيته، فيؤدي ذلك إلى نفور المدعوين منه، كما يختار الله تعالى الرسول على حالة الكمال الخُلقي، ليكون ذلك أدعى لقبول دعوته، فهو حين يدعو الناس إلى الصدق والأمانة والمحبة يكون أول العاملين بما يدعوهم إليه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ

(١) البقرة آية ٨٧.
(٢) الذاريات آية ٥٣.
(٣) الشعراء آية ١٠٩.
(٤) النساء آية ٨٢.
(٥) الروم آية ٣٠.

﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾، وقد استدلت خديجة رضي الله عنها بحسن أخلاق النبي ﷺ على نفي إمكانية تعرضه لمسّ من الجن حين نزلت عليه الرسالة في غار[1] حراء، كما استدل أبو بكر رضي الله عنه بحسن أخلاق النبي ﷺ قبل الرسالة على صدقه فيها[2]، ومثل ذلك فعل خالد بن الوليد رضي الله عنه حين طلب إليه بعض أحياء العرب أن يصف رسول الله ﷺ فقال: الرسول على قدر المُرسل، أي أن لله تعالى الصفات الجليلة فيختار من الناس من هو على مثل هذه الصفات مما يليق به فيجعله واسطة بينه وبين خلقه.

ثالثاً: ـ بشارة الرسل السابقين به: ـ

إن مسيرة الرسل تستدعي أن لا يدخل أحد من غيرهم عليها، عبر نوع من الشعوذات أو السحر أوالمخرقة لاستغلالها في دعوى النبوة، وحتى لا ينخدع الناس بمثل ذلك فإن الرسل عادة يخبر بعضهم عن بعض ممن سيأتي بعدهم، كما أخبر موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام في التوراة والإنجيل عن النبي ﷺ: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[3]، ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[4].

وقد وردت البشارة بالنبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل في أكثر من ثمانية عشر موضعاً.

رابعاً: معجزاته: ـ

يؤيد الله تعالى الرسل بما يجريه لهم من خرق بعض نواميس الكون وسننه،

---

(١) انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٦٠ كتاب السير والمغازي. باب بدء الوحي. رقم الحديث ٦٣٧٤ عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) حتى قال فيه النبي ﷺ (ما عرضت الإسلام على أحد إلاّ كانت له كبوة إلا أبو بكر) رواه رزين عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه أبو داود، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٥٠٠ كتاب المناقب. باب مناقب أبي بكر. رقم الحديث ٨٦٠٣.

(٣) الأعراف آية ١٥٧.

(٤) الصف آية ٦.

ليكون ذلك بمنزلة قول الله تعالى: صدق عبدي فيما قال، لأن قوانين الكون إنما وضعها الله تعالى بعلمه وحكمته وقدرته، فلا أحد يقدر على تغييرها غير الله تعالى، فإذا قال الرسول: إنني مرسل من عند الله تعالى الذي خلق الكون ووضع له سننه وقوانينه، والدليل على صدق ما أقول أن يخرق الله تعالى لي هذه السنة الكونية أو تلك، فإن ذلك يعني أن الله تعالى قد صدقه في دعواه.

فالمعجزة: هي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد النبي ليكون بمنزلة قول الله تعالى: صدق عبدي فيما قال[1].

وغالباً ما تكون المعجزة من جنس ما برع به قوم الرسول لأن ذلك أقوى في إقامة الحجة عليهم، كما قال ﷺ (ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما على مثله آمن البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[2] فقوم موسى برعوا في السحر فكانت معجزته العصا تنقلب حية، وقوم عيسى برعوا في الطب فكانت معجزته إحياء الموتى وشفاء المرضى، وقوم محمد ﷺ برعوا في الفصاحة والبلاغة، فكانت معجزته القرآن الكريم.

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية العديد من المعجزات للأنبياء السابقين ولمحمد ﷺ.

فمن معجزات الأنبياء السابقين:

أولاً: سفينة نوح عليه السلام، فقد قام نوح بصناعتها في مكان بعيد عن البحر، فكان الكافرون من قومه كلما مروا به يسخرون منه لذلك، وكان يرد عليهم بأنه سوف يسخر منهم حين يأتي الوقت الموعود لإغراقهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢١٩.

(٢) رواه البخاري ح ٩ ص ١١٣ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عن أبي هريرة مرفوعاً، وروواه مسلم في كتاب الإيمان باب آيات النبي ﷺ والايمان به. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ١ ص ١٣ رقم الحديث ١٩.

مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

ثانياً: نار إبراهيم عليه السلام، حيث تحولت إلى نار باردة بعد أن كان من طبيعتها الحرارة والإحراق، فلم تؤذ إبراهيم عليه السلام ولم تحرقه، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[2].

ثالثاً: ناقة صالح عليه السلام، فقد أخرج الله تعالى له ناقة من صخرة ضربها بعصاه على خلاف ما جرت به سنة الحياة من خروج الناقة من الناقة، وذاك شيء لا يقدر عليه إلا الله تعالى الذي وضع هذه السنة بين الخلق، وقد حذرهم صالح عليه السلام من التعرض لهذه الناقة في أكلها وشربها حيث شاءت فيصيبهم العذاب من الله تعالى، فلم يعبأوا لكلامه، فقتلوا الناقة فحل عليهم العذاب ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[3] ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

---

(١) هود آية ٤٤.
(٢) الأنبياء آية ٧٠.
(٣) الأعراف آية ٧٣.

رابعاً: عصا موسى عليه السلام، فقد تحولت إلى حية يوم اجتماع السحرة من أجل نصرة فرعون في محاولة منهم لإبطال سحر موسى فيما كانوا يظنون حين سمعوا بأن بيده عصا تنقلب حية دلالة على صدق نبوته، حيث ألقاها موسى أمام السحرة فلقفت حبالهم، فعرفوا أنها ليست سحراً بل هي حية حقيقية انقلبت بقدرة الله الخالق فآمنوا بموسى وهارون وكفروا بفرعون الذي جاؤوا لنصرته ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾[1].

خامساً: موتى عيسى ومرضاه عليه السلام، فقد كان يحيي الموتى مع أن الروح متى فارقت البدن لا ترجع إليه في هذه الحياة الدنيا بمقتضى ما وضع الله تعالى فيها من سننه، كما كان يمسح بيده على المريض فيشفى بإذن الله تعالى من مرضه بصورة فورية كما أخبر الله تعالى عن ذلك ونحوه في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[2].

---

(١) طه آية ٥٧ ـ ٧٠.

(٢) المائدة آية ١١٠.

إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات لأنبياء الله تعالى ورسله السابقين التي كانت سبباً في إيمان أناس، بينما وصفها المعاندون منهم بأنها سحر مبين ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

(١) التغابن آية ٦.

الدرس الرابع عشر

معجزات محمد ﷺ الأرضية



معجزات محمد ﷺ

أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية مجموعة كبيرة من معجزات النبي ﷺ، وقسمها إلى قسمين: معجزات أرضية ومعجزات سماوية، وقد أورد مجموعة من المعجزات الأرضية وهي عند التصنيف على نوعين: حسية ومعنوية:

النوع الأول: المعجزات الحسية الأرضية: ـ ومن صورها: ـ

أولاً: ـ تكثير طعام أبي طلحة الأنصاري حين دعا النبي ﷺ لتناول الطعام عنده بعد أن رأى ما هو فيه من الجوع فصنع طعاماً يكفي لشخصين أو ثلاثة، فلما جاء النبي ﷺ اصطحب معه جميع من كان عنده من أصحابه وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، فجعلوا يأكلون من الطعام عشرة أشخاص بعد عشرة حتى كفاهم الطعام جميعاً وبقي كما هو، فقال النبي ﷺ لأبي طلحة كُل أنت وعيالك وأطعم جيرانك[(١)].

ثانياً: ـ تكثير الطعام لجابر بن عبد الله الأنصاري يوم حفر الخندق وذلك أنه دعا النبي ﷺ وقت حفر الخندق لتناول الطعام عنده مع عشرة من أصحابه، فدعا النبي ﷺ أهل الخندق إلى طعام جابر، وكان قد ذبح عناقاً وهو صغير الماعز، فجعل الصحابة يدخلون على بيت جابر عشرة عشرة حتى أكلوا منها جميعاً، وقد كانوا وقتذاك ألفاً[(٢)]، ولو كانوا أكثر من ذلك لكفاهم.

ثالثاً: ـ تكثير مياه بئر قباء، وذلك أنه كان الماء فيه قليلاً فتوضأ النبي ﷺ منه ثم رد عليه ماء الوضوء فجعلت البئر تفور حتى كثر ماؤه وفاض[(٣)].

---

(١) روى هذه القصة البخاري ومسلم ومالك في الموطأ والترمذي. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٧٨ كتاب المناقب. باب زيادة الطعام والشراب ببركته ﷺ. رقم الحديث ٨٥٠٠.

(٢) روى هذه القصة البخاري ومسلم، انظر نفس المصدر ح ٢ ص ٤٧٨ رقم الحديث ٨٤٩٩.

(٣) أورد هذه القصة ابن كثير في البداية والنهاية ح ٦ ص ١٠١ باب ما ظهر في البئر التي كانت بقباء من بركته ﷺ.

رابعاً: ـ يوم الحديبية، وذلك حين قلّ الماء في معسكر النبي ﷺ فاشتكوا ذلك إلى النبي ﷺ فأمر بقدحٍ فيه ماء، فوضع أصابعه فيه ودعا، فجعل الماء يفور من بين أصابعه فشرب القوم وتزودوا، وشربت بهائمهم وكانوا يومئذ أكثر من ألفٍ وخمسمائة شخص، قال الراوي: ولو كنا مائة ألف لكفانا(1).

خامساً: ـ عندما اشتد أذى كعب بن أشرف اليهودي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، شكا النبي ﷺ أعماله إلى الناس ذات يوم، فعمدت مجموعة من أصحاب النبي ﷺ إلى كعب بن الأشرف فاغتالته في منزله، وكان على رأسهم محمد بن مسلمة الأنصاري من قبيلة الأوس فأصيب أحدهم بجراح أثناء عملية قتل ابن الأشرف ويدعى الحارث بن أوس، فجيء به إلى النبي ﷺ فتفل على جرحه فبرىء(2).

سادساً: ـ يوم خيبر قال النبي ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فسأل عن علي بن أبي طالب فقيل له: إنه أرمد يشكو عينيه، فدعا به فمسح عينيه فعاد صحيحاً معافى فأعطاه الراية وفتح الله تعالى على يديه حصن خيبر(3).

سابعاً: ـ ويوم أحد أصاب عين قتادة الأنصاري سهم فقلعها من محجرها حتى تدلت على خده، فجيء به إلى النبي ﷺ فردها في محجرها ومسح عليها فعادت أحدَّ عينيه بصراً(4).

النوع الثاني: المعجزات المعنوية الأرضية: ـ

وتنقسم هذه المعجزات إلى نوعين: أدعية وأخبار

---

(1) رواه البخاري ومسلم. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٧٦، باب زيادة الطعام والشراب ببركة النبي ﷺ رقم الحديث ٨٤٩١.

(2) رواه البخاري ح ٥ ص ١١٥ باب حديث بني النضير. وانظر البداية والنهاية ح ٤ ص ٧.

(3) رواه البيهقي. وانظر البداية والنهاية ح ٤ ص ١٨٦.

(4) انظر البداية والنهاية ح ٤ ص ٣٣ عند الكلام في غزوة أحد. وقيل في غزوة بدر كما في ص ٢٩١ منه.

النوع الأول: ـ الأدعية: ـ من هذه الأدعية ما هو دعاء لأناس، ومنها ما هو دعاء على أناس.

أما الدعاء لأناس: فمن أمثلته: ـ

١ـ دعاؤه ﷺ لعلي بن أبي طالب حين أرسله قاضياً لليمن فقال ﷺ «اللهم ثبت قلبه واهد لسانه»[١] فما كانت تعرض لعلي بن أبي طالب مشكلة في قضائه إلا وجد لها حلاً حتى اشتهر بذلك بين الصحابة وأصبح مثلاً، حتى قيل: قضية ولا أبا حسن لها.

٢ـ دعاؤه ﷺ لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[٢]، وقد بلغ من دقة فهمه في القرآن أن جعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣] عضواً في مجلس الشورى الذي يضم كبار أصحاب رسول الله ﷺ. رغم صغر سنه رضي الله عنه.

٣ـ دعاؤه لسعد بن أبي وقاص: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»[٤] فكان لا يدعو بشيء إلا استجيب له.

٤ـ دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف: «اللهم بارك في تجارته»[٥] فنمى مال عبد الرحمن وكثر، ودبت البركة في حركته التجارية حتى قيل: إنه لو رفع حجراً لوجد تحته ذهباً.

٥ـ دعاؤه لطلحة بن عبيد الله ولزوجته: «اللهم بارك لهما في ليلتهما»[٦] فولدت امرأته صبياً ثم تزوج فرزقه الله تعالى بعشرة من الأولاد الذكور كلهم حفظ القرآن.

---

(١) رواه إبن كثير عن الإمام أحمد. انظر البداية والنهاية ح ٥ ص ١٠٧.

(٢) رواه أحمد والطبراني. انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٢٢٠ رقم الحديث ٥٨٢ قال: وأصله في البخاري بلفظ (اللهم علمه الكتاب) وفي رواية عند البخاري والترمذي عن ابن عباس قال: ضمني النبي ﷺ وقال: اللهم علمه الحكمة. انظر البخاري ح ٥ ص ٣٤ كتاب المناقب. باب مناقب ابن عباس.

(٣) انظر البخاري ح ٦ ص ٢٢٠ كتاب التفسير. باب إذا جاء نصر الله والفتح.

(٤) رواه الترمذي وصححه ورواه ابن حبان والحاكم أيضاً. انظر تحفة الأحوذي ح ١٠ ص ٢٥٣ كتاب المناقب. باب مناقب سعد بن أبي وقاص، رقم الحديث ٣٨٣٥

(٥) انظر البداية والنهاية ح ٧ ص ١٦٣ بلفظ (بارك الله لك) فكثر ماله.

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، انظر رياض الصالحين ص ٣٣ باب الصبر.

وأما دعاؤه على أناس: فمن أمثلة ذلك: ـ

١ـ دعاؤه على كسرى ملك الفرس بقوله: «اللهم مزق ملكه»[١] عندما مزق كسرى خطاب رسول الله ﷺ فسقطت دولة فارس ومزقت شر ممزق على أيدي المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢ـ دعاؤه على أعرابي امتنع عن الأكل باليمين تكبراً فَشُلَّت يد الأعرابي[٢].

٣ـ دعاؤه على عتبة بن أبي لهب حين بالغ في إيذاء المسلمين، بأن يسلط الله تعالى عليه كلباً من كلابه، فتسلط عليه سبع في رحلته التجارية بين مكة والشام فقتله من بين حرسه ومرافقيه[٣].

النوع الثاني: ـ الأخبار: ـ وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: ماضية وحاضرة ومستقبلة.

أما الماضية: ـ فأخبر عن الأمم والشعوب السابقة ومواقفها من أنبيائها، وما نزل بالمكذبين منهم من العذاب والعقوبة، فكان كما أخبر بدليل أن أحداً من أهل الأديان السابقة لم ينف شيئاً منها رغم العداء منهم والمحاربة للنبي ﷺ.

وأما الأخبار الحاضرة: ـ كإخباره ﷺ عن مقتل خبيب بن عدي حين صلبته قريش في ضواحي مكة، وقال خبيب: اللهم بلغ عنا نبيك، فأخبر النبي ﷺ أصحابه وكان كما أخبر[٤]. وكذلك قضية فضالة بن عبيد الذي حاول اغتيال النبي ﷺ عام الفتح أثناء الطواف فأخبره النبي ﷺ بما تحدثه به نفسه فكان كما أخبر[٥].

---

(١) رواه البخاري ح ٦ ص ١٠ باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر. وانظر البداية والنهاية ح ٦ ص ٢٦٤.

(٢) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ١٠٩ كتاب الأطعمة. باب الأكل باليمين عن سلمة بن الأكوع. رقم ١٢٩٩.

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن قتادة بن دعامة، وهو مرسل، وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٦٣ كتاب السير والمغازي. باب صبر النبي ﷺ.

(٤) انظر البداية والنهاية ح ٤ ص ٦٤ في غزوة الرجيع وانظر صحيح البخاري ح ٥ ص ١٣٢ باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان.

(٥) انظر تهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٥٩ في أحداث فتح مكة.

وأما الأخبار المستقبلة فكثيرة وقد جاءت كلها كما أخبر تماماً بتمام، ومن أمثلة ذلك: -

١- الإخبار بالعشرة المبشرين بالجنة، فكان كما أخبر حيث ماتوا جميعاً على الإيمان(١)، وهم: الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وسعيد بن زيد.

٢- قوله ﷺ وقد صعد جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان: «اثبت أُحُد فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان»(٢) فمات أبو بكر رضي الله عنه على فراشه موتاً اعتيادياً ومات عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما اغتيالاً وغدراً شهيدين.

٣- إخباره عن الحسن بأنه (سوف يصلح الله تعالى به بين طائفتين من أمته عظيمتين دعواهما واحدة)(٣) فتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية وجمع الله تعالى به الصف عليه.

٤- إخباره عن عمار بن ياسر بأنه يموت قتلاً بقوله: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية»(٤) فقتل في معركة صفين، بين علي ومعاوية، وكان في صفوف علي رضي الله عنه.

٥- عندما أخبر النبي ﷺ عن جيش يغزو البحر مدحه فقال فيهم (مثل الملوك على الأسرة)(٥)، فطلبت منه أم حرام بنت ملحان أن يدعو الله تعالى أن تكون مع الجيش، فماتت مع جيش معاوية الذي غزا جزيرة قبرص.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي عن سعيد بن زيد مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٩٢. كتاب مناقب أصحاب النبي ﷺ رقم الحديث ٨٥٥٥.

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٩٤ باب فضائل الصحابة المشتركة رقم الحديث ٨٥٦٥ عن أنس مرفوعاً.

(٣) رواه البخاري ح ٤ ص ٢٤٩ كتاب علامات النبوة عن أبي بكرة مرفوعاً.

(٤) رواه مسلم عن أم سلمة مرفوعاً بلفظ (تقتل عماراً الفئة الباغية) انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ٢٩٢ كتاب الفتن. باب تقتل عماراً الفئة الباغية. رقم الحديث ٢٠٠٦.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٥٧٤ كتاب المناقب رقم الحديث ٨٩٨٨.

٦ـ إخباره ﷺ عن مصارع المشركين يوم بدر فكان كما أخبر[1]، ولم يتجاوز أحد منهم مصرعه.

٧ـ إخباره ﷺ عن نار تخرج من الحجاز يصل ضوؤها إلى الشام فحصل ذلك ٦٥٤هـ[2].

٨ـ إخباره ﷺ عن (تداعي الأمم)[3] وتجرؤها على هذه الأمة فكان كما أخبر وذلك بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية مطلع هذا القرن العشرين.

٩ـ إخباره ﷺ عن قتال اليهود: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلكم اليهود»[4]. وقد بدأ قتال اليهود للمسلمين منذ ١٩٤٨م ثم ١٩٥٦م ثم ١٩٦٧ ثم ١٩٧٣م ثم ١٩٨٢م ولكنها في النهاية سوف تباد بإذن الله تعالى .(حتى يختبئ اليهودي وراء الشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله فيقتله) رواه مسلم.

١٠ـ إخباره ﷺ عن حرب الخليج وقد بدأت سنة ١٩٩٠م: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون»[5] وستتكرر وربما يستخدم فيها السلاح النووي والكيماوي الذي يقتل به من كل مائة تسعة وتسعون.

---

(١) رواه مسلم عن أنس، انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٧٠ كتاب الهجرة والمغازي باب غزوة بدر، رقم الحديث ١١٥٦.

(٢) انظر البداية والنهاية ح ٦ ص ٢٥٣.

(٣) روى ثوبان مرفوعاً (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله. قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل) رواه أبو [illegible]

(٤) رواه البخاري ح ٤ ص ٢٣٩ عن ابن عمر مرفوعاً. كتاب بدء الخلق. باب علامات النبوة.

الدرس الخامس عشر

معجزات محمد ﷺ السماوية



المعجزات السماوية

تنقسم المعجزات السماوية إلى نوعين أيضاً: حسية ومعنوية.

النوع الأول: المعجزات السماوية الحسية؛ وهي عديدة، منها:

١ـ مقاعد السمع في السماء التي كان يتخذها الجن لاستراق السمع من الملائكة حين توجه إليهم الأوامر الإلهية بالقيام بأعمالهم التي أسندها الله تعالى إليهم في هذا الكون ليوصلها الجن إلى عملائهم من الإنس فيزيدون عليها كذبات كثيرة كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح[١] وذلك بحسب ما تقتضيه مصلحة الجني من عميله الإنسي، وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: حكاية عن الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾[٢]، فكان الجن يقطعون المسافة الهائلة من الأرض إلى السماء بلا زمن بالرغم من بعدها الساحق الذي قدره بعض علماء الفلك بأنه يساوي ثلاثة آلاف مليون سنة ضوئية، وذلك لأن الجن متفاوتون في قدرتهم كما هم متفاوتون في قوتهم كالحال بالنسبة للملائكة وللإنس، يتفاوتون في القوة وفي القدرة فكان منهم من استراق السمع آية سماوية للنبي ﷺ.

٢ـ انشقاق القمر وذلك أن قريشاً طلبوا من النبي ﷺ أن يشق القمر نصفين ليؤمنوا به، فدعا الله تعالى فانشق القمر نصفين فآمن بعض الناس وكفر بعضهم، وادعوا أن ذلك سحر، حتى أرسلوا من يستخبر الناس خارج مكة عن هذه الحادثة، فأخبروهم برؤية القمر وقد انشق نصفين ومع ذلك بقي أكثرهم على كفره، كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهان، فقال: ليس بشيء قالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشيء فيكون حقاً، فقال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن فيقذفها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة) انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٢٧ باب النجوم والسحر والكهانة. رقم الحديث ٧٦٢٤.

(٢) الجن آية ٩.

سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾[1]، وقد صادف انتهاء بناء معبد للهندوس في الهند في تلك الليلة فأرّخوا اكتمال البناء بليلة انشقاق القمر[2].

٣ـ وقف حركة الشمس يوم خيبر وقيل يوم الخندق، ليتمكن علي بن أبي طالب من صلاة العصر، لكن هذا الخبر لم يصح[3] وإنما هو من وضع شيعة علي بن أبي طالب ليزيدوا من تكريمه، في حين أن كرامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الله تعالى ثابتة بأحاديث صحيحة، كتبشيره بالجنة، ففي الأحاديث الصحيحة ما يغني عن غيرها.

٤ـ الإسراء والمعراج، فإن النبي ﷺ بعد عودته من الطائف وقد صده زعماؤها حين دعاهم للإسلام، مكروباً إلى مكة، أرسل الله تعالى إليه جبريل عليه السلام ومعه البراق فأسرى بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات العلى حتى بلغ الجنة، ورأى فيها من آيات الله تعالى ما رأى، ثم عاد إلى بيته ولما يبرد فراشه بعد، قاطعاً بذلك عالم الفلك وعالم السموات وعالم الكرسي حتى بلغ العرش ذهاباً وإياباً بدون زمن: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[4].

النوع الثاني: المعجزات السماوية المعنوية: وهي: القرآن الكريم

فالقرآن معجزة النبي ﷺ الكبرى لأنها دائمة إلى قيام الساعة بخلاف المعجزات الأخرى فإنها تنتهي في وقتها، وقد أودع الله تعالى في القرآن دلالات مختلفة على إعجازه ليكون حجة الله تعالى البالغة والمستمرة على البشر في كل زمان وفي كل مكان إلى قيام الساعة.

---

(١) القمر آية ٢.

(٢) انظر كتاب: الرسول. سعيد حوى ح ٢ ص ٩٤.

(٣) قال فيه ابن الجوزي إنه موضوع، وكذا قال ابن حبان وابن عساكر والدارقطني وابن عدي، وكل الروايات فيه جاءت عن طريق مجهولين وكذابين، كما نص على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ح ٦ ص ٧٧ وما بعدها.

(٤) الإسراء آية ١.

فالقرآن معجز على المستوى اللغوي وعلى المستوى التاريخي وعلى المستوى التشريعي وعلى المستوى العلمي.

أولاً: ـ إعجاز القرآن على المستوى اللغوي: ـ

اللغة هي وسيلة التخاطب بين الناس، وتختلف الأمم والشعوب في القدرة على التعبير عما في نفس المتكلم من لغة إلى أخرى، ولما كانت اللغة العربية هي أوسع هذه اللغات جعلها الله تعالى لغة القرآن، لأنه عنصر هداية جميع البشر، وقد أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والرسل باللغة العربية التي كان العرب يتباهون بها ويرون أن لهم مزيد فضل على الأمم الأخرى: حتى سموا كلّ من عداهم بالأعاجم.

وقد بلغ من اهتمام العرب باللغة العربية من حيث الفصاحة والبلاغة أنهم أقاموا تجمعات وأسواقاً مهرجانية خطابية شعرية يتبارون فيها بالفصاحة والبلاغة، منها سوق عكاظ وسوق ذي المجنة وسوق المجاز، وقد نزل القرآن بلغتهم التي يعتدّون بها: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1].

وكان القرآن قد تحداهم بأن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، مع أنه بلغتهم التي ينطقون بها، والسر في هذا الإعجاز اللغوي في القرآن أنه جاء فصيحاً بليغاً بحيث لا يمكن للعرب أن يجدوا في فصاحته أو في بلاغته مأخذاً واحداً مهما قلَّ شأنه، لأن هذا القرآن نزل من عند الله تعالى العليم بكل شيء والخبير بما في قرارة النفوس فجاء متطابقاً تمام المطابقة مع مقتضيات الأحوال، ولكن استكبار زعماء المشركين العرب حملهم على التنكر لصدق القرآن وأحقيته، فوصفوه بالسحر لما فيه من تفريق بين المؤمن به والكافر مهما كانت درجة القرابة بينهما: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ

---

(١) الشعراء آية ١٩٥.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

وقد أعرب عن العجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن العديد من زعماء قريش وكبرائها، كالوليد بن المغيرة وأبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق.

ثانياً: الإعجاز على المستوى التاريخي:

الزمن على ثلاثة أبعاد: ماضي وحاضر ومستقبل، وقد جاءت الأخبار في هذه الأبعاد الثلاثة في القرآن متطابقة مع الواقع والحقيقة، فلولا أنه من عند الله تعالى لتخلف شيء منها.

أما الأخبار الماضية: فقد ورد في القرآن أخبار الأمم السابقة مع أنبيائها ورسلها، وما آل إليه أمر المكذبين منهم، ولم يحدث قط أن نفى أو استنكر ذلك أحد من هذه الأمم ممن عاصروا النبي ﷺ رغم وجود عامل الجحود والتكذيب فيهم، فدل على أن هذه الأخبار كلها حق وصدق.

وأما الأخبار الحاضرة: فإن خبر أصحاب الفيل كان قد انتشر في الناس بمكة وغيرها من المدن وكان بعض من حضر هذه الحادثة موجوداً وقت نزول الرسالة على محمد ﷺ بعدها، وعندما نزلت سورة الفيل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾[2] لم يستنكر أحد منهم شيئاً مما ورد في هذه السورة، فدل على صدقها، لمطابقتها للواقع باعترافهم.

وأما الأخبار المستقبلة: فقد ورد في القرآن منها الكثير، من ذلك:

١- إخبار القرآن عن حفظه وسلامته من التحريف والمماثلة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ

---

(١) المجادلة آية ٢٢.
(٢) الفيل آية ٥.

صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

٢ـ أخبر القرآن عن عصمة النبي ﷺ من القتل والاغتيال، بالرغم من كثرة الحاقدين الذين يضمرون له الشرّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[2] فكان يسير في الناس بعدها بدون حرس إلى أن مات على فراشه.

٣ـ أخبر القرآن عن أبي لهب أنه سيموت على الكفر فقال تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾[3] فبقي أبو لهب وزوجته على الكفر حتى ماتا على ذلك، ولم يجرؤ واحد منهما على الإعلان عن دخوله في الإسلام ولو على جهة المعاندة. ليبطل خبر القرآن.

٤ـ أخبر القرآن عن الوليد بن المغيرة أنه سيموت على الكفر أيضاً فقال تعالى ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[4] فلم يجرؤ على الإعلان عن الدخول في دين الله تعالى ولو على جهة التحدي لإبطال خبر القرآن.

٥ـ أخبر القرآن عن انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم، وأن ذلك سيكون في غضون بضع سنين، أي ما بين ثلاث إلى تسع سنوات، وسيتزامن ذلك مع انتصار المسلمين على المشركين، وكان ذلك يوم بدر[5] الذي سيفرح المؤمنون

---

(١) البقرة آية ٢٣ـ ٢٤.
(٢) المائدة آية ٦٧.
(٣) المسد آية ٥.
(٤) المدثر آية ٢٦.
(٥) انظر تحفة الأحوذي ج٩ ص ٥٢ كتاب التفسير. رقم الحديث ٣٢٤٥.

به، قال تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾(1).

٦ـ أخبر القرآن عن انتصار المسلمين على المشركين الذين ستنهار دولتهم في مكة وغيرها ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾(2) وتحقق ذلك في مكة سنة ثمان للهجرة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾(3).

ثالثاً: ـ الإعجاز على الصعيد التشريعي: ـ

القرآن يشتمل على آيات فيها أوامر ونواهي، الهدف منها تقويم حياة الناس واصلاحها في علاقاتهم على اختلافها، وقد جاءت هذه الأوامر والنواهي ملبية حاجة الإنسان بصورة تامة وكاملة لأنها صادرة عن علم الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾(4).

وقد جاء الإعجاز التشريعي في القرآن من وجهين:

الوجه الأول: أن آيات التشريع جاءت منسجمة مع فطرة الإنسان في هذه الحياة لكونها تعالج سلوكه من خلال الطبائع التي خلق عليها، كطبيعة حب الحياة، فقد استخدم الشرع هذه الطبيعة في منع الناس من التعدي على حياة بعضهم بعضاً فأوجب قتل القاتل، كما استخدمت هذه الشريعة طبيعة حب السلامة المغروزة في نفس الإنسان لمنع تعدي الناس على أبدان بعضهم بعضاً، تعدياً كلياً بالقتل أو جزئياً بالجرح، فأوجبت إنزال عقوبة مماثلة لفعل الجاني فيما فعله بالمجني عليه كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾(5)، فمتى عرف الجاني أنه سينزل

---

(1) الروم آية ٥.
(2) الصف آية ٩.
(3) النصر آية ٣.
(4) النساء آية ١٦٦.
(5) المائدة آية ٤٥.

فيه من العقوبة مثل ما أنزله في المجني عليه انكف عن ذلك بدافع حب السلامة والبقاء.

الوجه الثاني: أن هذه الأحكام التشريعية جاءت منسجمة بعضها مع بعض بحيث لا يتناقض حكم فيها مع مقتضى حكم آخر كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1].

وقد حمل هذا الانسجام في تشريعات القرآن بين الفطرة البشرية وبين الأحكام التشريعية كثيراً من المستشرقين على الدخول في هذا الدين والدعوة إليه بعد أن كانوا يدرسونه للطعن فيه والتنفير عنه.

رابعاً: ـ الإعجاز على الصعيد العلمي: ـ

يشتمل القرآن على العديد من الآيات التي تتضمن الإشارة إلى سنن كونية كانت خافية على الناس وقت نزول القرآن، وجعلت تنكشف مع اتساع العلم بمرور الزمن لتكون هذه الآيات معجزة مستمرة ومتجددة تدعو إلى الإيمان بالقرآن إلى قيام الساعة، من هذه الآيات: ـ

أولاً: ـ الإشارة إلى كروية الأرض في قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[2]، فإن مقتضى التكوير أن يكون المكور عليه كروياً.

ثانياً: الإشارة إلى دوران الأرض في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3] فإن الجبال ثابتة على الأرض، ومقتضى كونها تمر مر السحاب أن الأرض تدور بما عليها من الجبال التي تنتقل في هذه الحالة كما ينتقل السحاب.

ثالثاً: ـ الإشارة إلى توازن الأرض وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[4]، أي لكي لا تميد بكم ولا تضطرب، لأن هذه الجبال ذات

---

(١) النساء آية ٨٢.
(٢) الزمر آية ٥.
(٣) النمل آية ٨٨.
(٤) لقمان آية ١٠.

أوزان هائلة منتشرة على أماكن مختلفة في الأرض لإيجاد التوازن بين أجزائها، فلا يشعر الساكنون فيها بحركتها الدائرية والمحورية بسبب ذلك التوازن الدقيق.

رابعاً: ـ الإشارة إلى الضغط الجوي وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[1]، فإن ضيق التنفس بسبب قلة الأكسجين مع الارتفاع في طبقات الجو العليا لم يكن معروفاً وقت نزول القرآن، وإنما عرفه الإنسان بعد اختراع وسائل النقل الجوي حيث يضيق التنفس بركاب الطائرة كلما زاد ارتفاعها حتى يضطروا إلى استخدام التنفس الصناعي باستعمال كمامات الأكسجين الذي لا يبقى له وجود في الطبقات العليا من الغلاف الغازي المحيط بالأرض.

خامساً: ـ الإشارة إلى أن الزوجية التي هي سالب وموجب أصل كل شيء سواء في عالم الجماد أو النبات أو الحيوان، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[2]، فإن الزوجية لم تكن معروفة في عالم الجماد إلا بعد تطوير وسائل الرؤية لدى الإنسان باختراع المجاهر المكبرة للأشياء مئات وألوف المرات، فتبين أنها مبنية على هذه القاعدة.

سادساً: الإشارة إلى أن الماء أصل الحياة وعمدة الحضارات في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3] فلولا الماء ما كان نبات، ولا كان حيوان، ولا كان إنسان، ولا كان عمران، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾[4].

---

(١) الأنعام آية ١٢٥.
(٢) الذاريات آية ٤٩.
(٣) الأنبياء آية ٣٠.
(٤) الملك آية ٣٠.

الدرس السادس عشر

الإيمان باليوم الآخر



الإيمان باليوم الآخر

وقد سُمِّيَ باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده، وذلك لأن الزمن محله عالم الفلك، الذي يتكون من نجوم وكواكب، تدور حول محورها، ومتى استكملت هذه النجوم والكواكب بمجموعها الفلكي دورة كاملة حول محور عالم الفلك، يكتمل بها اليوم الفلكي، وبه ينتهي عنصر الزمن وتقوم الساعة كما قال ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»[1].

وقد جعل الله تعالى لقيام الساعة علامات تنبىء عن قرب حصولها، فهي أشبه ما تكون بعلامات قرب الأجل في الناس، من الشيب وضعف البدن، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[2]، وقد ورد في الشرع الإشارة إلى العديد من علامات الساعة، ويمكن تقسيمها بعد حصرها إلى ثلاثة أنواع: صغرى ووسطى وكبرى. وذلك بحسب جسامتها وخطورتها:

أولاً: ـ العلامات الصغرى: ـ منها:

١ـ بعثة النبي ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾[3]، من ذكراها أي من علامتها، وفي الحديث (بعثت أنا والساعة كهاتين)[4] وقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى.

٢ـ ضياع الأمانة: والأمانة على نوعين: حسية ومعنوية، أما الحسية: فكالودائع، وأما المعنوية: فالشرائع، ومطلوب من المرء أداء الأمانة بنوعيها، ولكنه

---

(١) رواه البخاري ح ٦ ص ٨٣ كتاب تفسير سورة براءة، عن أبي بكرة مرفوعاً.
(٢) الروم آية ٥٤.
(٣) النازعات آية ٤٢ـ ٤٥.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي عن سهل بن سعد مرفوعاً.
فيض االقدير ج٣ ص ٢٠٢، رقم الحديث ٣١٤٦.

حين يضعف الإيمان يتساهل الناس في أداء الأمانة فتضيع فيهم الودائع كما تضيع فيهم الشرائع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[١].

٤ـ فشو القلم[٢]: أي انتشار الكتابة والقراءة في الناس حتى لا يكاد يبقى فيهم أمي، ونحن نلاحظ كثرة الكتابة والقراءة عبر ما يتم طبعه من كتب ومجلات وصحف وجرائد، منها اليومي ومنها الأسبوعي ومنها الشهري وتطبع في كل يوم ملايين بل مئات الملايين من الصفحات، بالإضافة إلى تزايد المؤسسات التعليمية الرسمية والشعبية في مختلف مراحل التعليم في كلّ مكان من العالم.

٥ـ فشو الزنا: ـ وهو تعاطي الشهوة الجنسية بين الرجل والمرأة خارج عقد الزواج، فينتشر ذلك آخر الزمان انتشاراً فاحشاً، ويكثر في الناس حتى يصبح تعاطيه فيهم أمراً طبيعياً، كما هو حاصل في الدول الغربية، وقد ترتب عليه إصابتهم بالأمراض الجنسية الفتاكة كالزهري والتعقيبة والسيلان وآخرها الإيدز الذي هو فقدان المناعة الذاتية في الجسم، وفي الحديث: «بين يدي الساعة يكثر الزنا حتى يتعاطاه الرجل على قارعة الطريق فيمر به الرجل ويقول لو تنحيت قليلا[٣]».

٦ـ فشو الربا: ـ وذلك عبر المعاملات المالية المختلفة بين الناس والتي ظهرت في الآونة الأخيرة من خلال المؤسسات الربوية البنكية، فقد قال ﷺ: (ليأتين على الناس زمن لا يبقى منهم أحد الاّ أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره)[٤].

---

(١) النساء آية ٥٨.

(٢) روى ابن مسعود مرفوعاً (إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وفشو القلم. . .) رواه أبو عمر بن عبد البر. انظر التذكرة للقرطبي ح ٢ ص ٣٢٢.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة مرفوعاً بلفظ (إن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق فيقول أمثلهم في ذلك الزمان: لو اعتزلتم عن الطريق) وفيه سيف بن مسكين وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد ح ٧ ص ٣٢٥ كتاب الفتن. باب أمارات الساعة.

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً. ورمز له السيوطي بالصحة قال المناوي: ورواه عنه أيضاً أحمد، قال الحاكم: صحيح. قال الذهبي في التلخيص: إن صح سماع الحسن من أبي هريرة. وقال في المهذب: لم يصح للانقطاع. اهـ انظر فيض

٧ـ **فشو الخمر**: ـ حيث ينتشر شرب الخمر في الناس ويسمونها بغير اسمها[١] وقد قال ﷺ: «كل مسكر حرام»[٢]، فيشمل ذلك كل ما يزيل العقل من الأشربة وغيرها مثل: الكوكايين والأفيون والهيروويين ونحو ذلك.

٨ـ **كثرة المال**: ـ وكثرة النساء، وكثرة الزلازل، وكثرة الفتن، وكثرة القتل.

ثانياً: ـ العلامات الوسطى: ـ وهي عديدة من أهمها:

١ـ تقارب الزمان: لقوله ﷺ: «بين يدي الساعة يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كضرمة النار»[٣]، ويحمل ذلك أيضاً على معنى اختصار المسافات البعيدة في أزمان يسيرة وذلك باستخدام وسائل النقل الحديثة الجوية والبرية والبحرية، من الطائرات والسيارات والسفن وغير ذلك.

٢ـ تجمع الأمم: وذلك بسبب ضعف الأمة الناشىء عن سقوط دولة الخلافة فيها، حيث تجمع أمم الأرض والمنافقون في هذه الأمة ضد الدولة العثمانية، وحاكوا ضدها المؤامرات الداخلية والخارجية حتى أسقطوها، ثم تقاسموا بلاد المسلمين فيما بينهم، ونشأ ما يسمى بالاستعمار، وذلك ما أخبر عنه النبي ﷺ في قوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[٤].

القدير ح ٥ ص ٣٤٦ رقم الحديث ٧٥٣١.

(١) روى أبو مالك الأشعري مرفوعاً (يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها) رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه. انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٢٦٣ كتاب الحدود. الترهيب من شرب الخمر. رقم ٤٣.

(٢) رواه مسلم والنسائي عن جابر مرفوعاً. نفس المصدر ح ٣ ص ٢٦١ كتاب الحدود، باب الترهيب من شرب الخمر. رقم ٣٥.

(٣) رواه الترمذي عن أنس بن مالك في تحفة الأحوذي ح ٦ ص ٦٢٤ باب ما جاء في تقارب الزمن. رقم الحديث ٢٤٣٤.

(٤) رواه أبو داود عن ثوبان مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٢١٧ كتاب الفتن، باب ما ورد في فتن مسماة. رقم الحديث ٩٨١٨. ورواه الإمام أحمد في مسنده ح ٥ ص ٢٧٨.

٣ـ قتال اليهود: فقد ورد في الحديث الذي رواه مسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله»[١]، وقد تحقق قتال اليهود عام ١٩٤٨، ١٩٥٦م، ١٩٦٧، ١٩٧٣م، ١٩٨٢م، وستكون الجولة النهائية حرب اجتثاث لليهود حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر فلا ينجيه ذلك.

٤ـ حرب الخليج: فقد ورد في صحيح مسلم: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون»[٢]، وقد بدأت حرب الخليج عام ١٩٩٠م، عند احتلال العراق للكويت وهي الجولة الأولى في هذه الحرب، وقد يعقبها جولات ولكن الجولة الأخيرة فيها سوف يستخدم فيها السلاح النووي أو الكيماوي، ويسقط فيها أعداد هائلة من القتلى.

٥ـ قتال الروم: فقد ورد في الحديث: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ـ وهما منطقتان بالقرب من حلب بالشام ـ فيخرج إليهم جيش من خيار أهل المدينة يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلو بيننا وبينهم الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون القسطنطينية. . »[٣].

٦ـ فتح القسطنطينية: قد أخبر النبي ﷺ في الحديث السابق عن نتيجة ذلك القتال بين الروم والمسلمين فقال: «فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر ح ٢ ص ٢٩٥ كتاب الفتن، باب قتال المسلمين اليهود رقم الحديث ٢٠٢٥. ورواه البخاري عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فاقتله) ح ٦ ص ٢٣٩ كتاب علامات النبوة.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٢٩ كتاب الملاحم وأشراط الساعة عن أبي هريرة مرفوعاً ٨٨٥.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٧ كتاب الفتن باب في فتح القسطنطينية. رقم الحديث ٠٢٩.

ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون القسطنطينية»[1]. وستفتتح مرة ثانية من أيدي العلمانيين في تركيا وتسمى اسطانبول اليوم، والصواب: إسلام بول، أي مدينة الإسلام. لكن العلمانيين حرفوها.

٧ـ فتح روما: في إيطاليا وقد سئل النبي ﷺ بعد أن أخبر عن فتح القسطنطينة وروما بين يدي الساعة فقيل: أيهما تفتح أولاً يا رسول الله؟ فقال: مدينة هرقل»[2]، وهي القسطنطينة في تركيا، ثم تتبعها روما بإيطاليا إن شاء الله تعالى.

٨ـ عودة جزيرة العرب مروجاً: فقد ورد في الحديث: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»[3] وهي معروفة الآن بأنها منطقة صحراوية وسوف تتحول في وقت من الأوقات إلى مروج خضراء بسبب تبدلات مناخية تعتري المنطقة، وربما يكون لثقب طبقة الأوزون علاقة وثيقة بذلك، فقد قيل حسب التقارير المناخية إن ذلك سوف يؤثر على مناطق على سطح الكرة الأرضية فيحول مناطق صحراوية إلى زراعية وبالعكس.

٩ـ هدم الكعبة: فقد ورد في صحيح مسلم: «لا تقوم الساعة حتى يهدم الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة كأني أنظر إليه ينقبها حجراً حجراً»[4]، وربما يكون ذلك حين يكون المسلمون منشغلين بالحروب الكبيرة والكثيرة بين يدي

---

(١) نفس المصدر.

(٢) رواه الدارمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٣٢ كتاب الملاحم وأشراط الساعة. رقم الحديث ٩٩٠٦.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٣٠ كتاب الملاحم وأشراط الساعة رقم الحديث ٩٨٩٢.
ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ح ٧ ص ٢٣١. كتاب الفتن، باب أمارات الساعة عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، بلفظ (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ٢٩٨. كتاب الفتن. باب يخرب الكعبة ذو السويقتين. رقم الحديث ٢٠٣٢.

الساعة كما فعل القرامطة حين انشغل المسلمون بالحروب على الحدود مع أعدائهم، فعمد هؤلاء إلى مكة فقتلوا الحجاج فيها ورموا بجثثهم في بئر زمزم وسرقوا الحجر الأسود[1].

١٠ـ نار الحجاز: ـ فقد ورد في الحديث في صحيح مسلم: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»[2] وقد حصل ذلك عام ٦٥٤هـ، كما أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، حتى إن بعض أهل العلم قد ألف على ضوئها كتاباً، وبصرى منطقة بالشام.

ثالثاً: العلامات الكبرى:

وهي عشر علامات ورد الحديث النبوي الصحيح عن النبي ﷺ بها[3]، وهي:

١ـ الدخان: ـ والمقصود والله أعلم ما يخرج بسبب اصطدام الكواكب مع النجوم يوم القيامة، وينشأ عن هذا التصادم نار يخرج منها دخان هائل يملأ الفضاء الفلكي ويتمدد بسبب الحرارة، حتى تضيق عنه السماء الأولى فتنشق ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[4] ثم يتحطم عالم السموات فالكرسي فالعرش ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[5]. وقد قال تعالى في الإشارة إلى هذه العلامة: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٧٢. كان ذلك سنة ٣١٧هـ على يد سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي الذي توفى سنة ٣٣٢هـ وبلغ عدد القتلى في مكة أكثر من ثلاثين ألفاً. انظر: الأعلام ح ٣ ص ١٢٣.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً ح ٩ ص ٧٣ كتاب الفتن، ورواه مسلم عنه أيضاً. انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ٢٩٣ كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز. رقم الحديث ٢٠١١.

(٣) رواه حذيفة بن أسيد الغفاري مرفوعاً بلفظ (إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم) رواه مسلم وأبو داود والترمذي. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٣٠ كتاب الملاحم وأشراط الساعة، رقم ٨٩١.

(٤) الانشقاق آية ١.

(٥) القصص آية ٨٨.

بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[1] ولكنه إيمان لا ينفع لأنه اضطراري. **فيكون عالم الفلك كالقنبلة الموقوتة يتهدم بانفجارها الكون كله.**

٢ـ الدجال: ـ وهو شر غائب ينتظر، وعنده من التزوير والتمويه على الحقائق ما لا يكاد يدركه الناس فيفتنون به ويؤمنون بربوبيته فيتابعونه ويدافعون عنه، وقد حذر النبي ﷺ من الاقتراب منه عند خروجه حتى لا يتعرض من يدانيه إلى الافتتان به فقال ﷺ: «من سمع منكم بالدجال فلينأ عنه، إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه بما بعث به من الشبهات»[2].

وبلغ من فتنته أن من يكفر به يصاب بالمرض وتضعف مواشيه وتفسد زروعه، ومن يؤمن به تصح أبدانهم وتسمن سارحتهم وتحسن زروعهم[3]، ومعه جنة ونار، ليعاقب أو يثيب، وقد أمر النبي ﷺ باختيار ناره والفرار من جنته، لأن (جنته نار وناره جنة)[4]، يبقى في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ثم سائر أيامه كأيام الناس[5]، كما بلغ من فتنته أنه يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويمر بالخربة فيستدعى كنوزها فتتبعه كيعاسيب النحل[6] وكل ذلك سحر وشعوذة.

ومن صفته أنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية[7]، يدعي الربوبية على

---

(١) الدخان آية ١٠ـ ١١.

(٢) رواه أبو داود عن عمران بن حصين مرفوعاً. وسكت عنه المنذري. انظر جمع الفوائد. ح ٢ ص ٧٤٠ كتاب الملاهم وإشراط الساعة. رقم الحديث ٩٩٣٦.

(٣) ورد به الحديث في صحيح مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٣٠٣. كتاب الفتن. باب قصة إبن صياد. رقم الحديث ٢٠٤٨.

(٤) نفس المصدر. رقم الحديث ٢٠٤٧.

(٥) ورد به الحديث عن الترمذي عن النواس بن سمعان مرفوعاً وقال فيه: هذا حديث غريب حسن صحيح. انظر تحفة الأحوذي ح ٦ ص ٥٠١ باب ما جاء في فتنة الدجال. رقم الحديث ٢٣٤١.

(٦) المصدر الأسبق.

(٧) نفس المصدر.

الناس، ولكن الله تعالى يكشف زيفه على يد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، حيث يقوم بقتله ويقضي على فتنته[1].

٣ـ الدابة: ـ تخرج بين يدي الساعة على الناس فتسم كل إنسان بحقيقته، فتدمغ الكافر بكفره والمؤمن بإيمانه[2]، وقد وردت الإشارة إليها في القرآن: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[3].

٤ـ طلوع الشمس من مغربها: ـ وذلك أن النظام الفلكي يختلّ في آخر الزمان فتخرج الأجرام الفلكية عن مساراتها وتضطرب في مداراتها حتى تشرق الشمس من مغربها، وعندما يراها الناس يؤمنون بالله تعالى ولكنه إيمان لا ينفع، لكونه اضطرارياً وليس اختيارياً، ولذلك قال ﷺ[4]: «وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[5]».

٥ـ نزول عيسى عليه الصلاة والسلام: ـ فإنه سوف ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، معه ملكان مزود بقوة خاصة أشبه بأشعة الليزر لا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيسلطه الله تعالى على المسيح الدجال حتى يلحق به ويقتله في اللد بفلسطين ويُري الناس دمه على حربته، ويكون دوره عليه السلام في الأرض أنه يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويقاتل الناس على الإسلام مطبقاً شريعة محمد ﷺ[6]، يحكم بها

---

(١) نفس المصدر.
(٢) روى أبو أمامة مرفوعاً (تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح عن عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٣١. كتاب الملاحم وأشراط الساعة. رقم ٩٨٩٩.
(٣) النمل آية ٨٢.
(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر المصدر السابق. رقم الحديث ٩٨٩١.
(٥) الأنعام آية ١٥٨.
(٦) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٣٠٣ كتاب الفتن. باب قصة ابن صياد. رقم الحديث ٢٠٤٨.

إلى أن يأذن الله تعالى بخروج يأجوج ومأجوج، فيأمر الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام بالصعود إلى جبل الطور كما قال ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى آمراً عيسى بذلك «حزر عبادي إلى الطور فإني أخرجت عباداً لي لا يداني لأحد بقتالهم»[١]، أي لا طاقة لأحدٍ بقتالهم، ويبقى عيسى عليه الصلاة والسلام على الطور هو ومن معه حتى يصيبهم الحرج حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار، فيدعو الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فيرسل الله تعالى النغف - نوع من الدود - في رقابهم فيموتون موتة رجل واحد، فلا يبقى من الأرض شبر إلا ويملؤه زهمهم - يعني جيفهم - فيتأذى عيسى عليه الصلاة والسلام من ذلك فيدعو الله تعالى فيرسل الله تعالى طيراً كالبخت - كالجمال الكبيرة العظيمة - فتأخذ جثثهم وترميها حيث شاء الله تعالى، ثم يرسل الله تعالى المطر فيغسل ما عليها من نتنهم ويقال للأرض أعيدي بركتك، فتصبح اللقحة من الغنم تكفي الفئام من الناس، ويستظل بقحف الرمانة الجمع من الناس، ثم يرسل الله تعالى ريحاً طيبة تأخذ أرواح المؤمنين عيسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من تحت آباطهم ولا يبقى على الأرض إلا شرارها عليهم تقوم الساعة[٢].

٦- **خروج يأجوج ومأجوج**: - وإليهم الإشارة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾[٣].

٧- **خسف بالمشرق**: - أي شرق المدينة المنورة يمتد إلى الآفاق، الله تعالى أعلم أين يكون على وجه التحديد.

٨- **خسف بالمغرب**: - أي غرب المدينة المنورة فيمتد في الأفق إلى حيث شاء الله تعالى ولم يرد تحديد المكان الذي سينزل به ذلك الخسف أيضاً.

٩- **خسف في جزيرة العرب**: - ولا ندري في أي مكان منها سيكون ذلك الخسف على وجه التحديد.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الأنبياء آية ٩٦- ٩٧.

١٠ـ نار عدن: ـ وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أن الساعة لا تقوم حتى «تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس ـ أي إلى المحشر ـ فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا»[1] وربما يكون المقصود بالنار في هذا الحديث الذخيرة المشتملة على البارود، حيث يتحول إلى نار لدى استخدامه في الرماية العسكرية، وهذه الذخيرة تصحب الجيوش حيثما ذهبوا في البر والبحر والجو، سواء في الليل أو في النهار، فهي لا تفارق الجيش لأنها عدة الحرب والمواجهة.

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن حذيفة بن أسيد الغفاري مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٣٠ كتاب الملاحم وأشراط الساعة. رقم الحديث ٩٨٩٥.

الدرس السابع عشر

أساليب الكتاب والسنة في إثبات اليوم الآخر

أساليب إثبات اليوم الآخر

لإثبات إمكانية عودة الحياة إلى الأبدان يوم القيامة بعد أن تفارقها في الدنيا ستة أساليب ورد الشرع بها وهي: الخبر الصادق، النشأة الأولى، النوم واليقظة، قياس الأدنى، قياس المطابقة، قياس الأولى.

الأسلوب الأول: ـ الخبر الصادق: ـ

ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة بيان لصور عادت فيها الحياة إلى من مات من بشر وحيوان وطير، من هذه الصور: ـ

١ـ قتيل بني إسرائيل: ـ وذلك أن رجلاً منهم قتل ابن عم له على مال ورمى بجثته عند قوم آخرين، فأشكل الأمر بينهم وتراشقوا التهم بشأنه ثم رفعوا القضية إلى موسى عليه الصلاة والسلام فأخبرهم أن الله تعالى يأمرهم بأن يذبحوا بقرة وبعد مجادلة ذبحوا البقرة، وأمرهم موسى عليه عليه الصلاة والسلام أن يضربوه ببعضها فعادت إليه روحه وسئل عمن قتله فدلهم عليه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾[١].

٢ـ بعد أن خرب بختنصر بيت المقدس مرّ عزير بالمدينة فتعجب وتساءل كيف يمكن أن تعود إليها الحياة بعدما نزل بها هذا الخراب فأماته الله تعالى مائة عام ثم أعاد إليه روحه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾[٢].

---

(١) البقرة آية ٧٢ـ ٧٣.

(٢) البقرة آية ٢٥٩.

٣ـ الألوف من بني إسرائيل الذين خرجوا من بلدتهم خوف الموت، إما بسبب حرب أو بسبب مرض نزل بها فأماتهم الله تعالى ثم أعاد إليهم أرواحهم في هذه الحياة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾(١).

٤ـ عيسى عليه الصلاة والسلام كان من معجزاته إحياء الموتى في هذه الحياة: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾(٢) ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٣).

٥ـ وفي الحيوان: ـ حمار عزير الذي كان يركبه أثناء مروره كما ذكرنا آنفاً ببيت المقدس فأماته الله تعالى مع عزير ثم أحياه الله تعالى معه: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾(٤).

٦ـ طيور إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذلك أنه حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحي الموتى، أمره بأخذ أربعة من الطير وذبحها وخلطها ثم توزيعها على جبال ثم أمره بدعوتها إليه، فعادت إليها أرواحها وطارت إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾(٥).

٧ـ جذعة جابر رضي الله عنه، وذلك أنه يوم الخندق ذبح شاة صغيرة ودعا النبي ﷺ وبعضاً من أصحابه لتناول الغداء عنده، فدعا النبي ﷺ جميع العاملين في

---

(١) البقرة آية ٢٤٣.

(٢) المائدة آية ١١٠.

(٣) آل عمران آية ٤٩.

(٤) البقرة آية ٢٥٩.

(٥) البقرة آية ٢٦٠.

الخندق وكانوا ألفاً وأربعمائة إنسان، فأكلوا من تلك الجذعة ثم جمع النبي ﷺ العظام ودعا الله تعالى فعادت إليها روحها[١].

الأسلوب الثاني: ـ الاستدلال بالنشأة الأولى: ـ

فالنشأة الأولى متحققة محسوسة تدل قطعاً على إمكان النشأة الثانية بعد الموت وهي غيبية، فالذي قدر على النشأة الأولى بالإيجاد من العدم قادر على النشأة الثانية برد الأرواح وبناء الأجساد مرة أخرى، وقد جاء أمية بن خلف إلى النبي ﷺ بعظم بال وفته ثم نفخه وقال: هل يستطيع ربك يا محمد أن يعيد هذا العظم بعدما أرم؟ فقال ﷺ: «يعيدها الله ويدخلك النار»[٢]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[٣]، وفي القرآن إشارات عديدة إلى الاستدلال بالبدء على إمكان الإعادة، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٤]، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[٥]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾[٦]، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[٧]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٨].

---

(١) أوردها ابن كثير في البداية والنهاية ح ٦ ص ١٠٩ في معجزات النبي ﷺ الأرضية الحسية. ووصفها بالغرابة.

(٢) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في معجمه، والحاكم وصححه وإبن مردويه والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة عن ابن عباس، وأخرج ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس أن الذي فعل ذلك هو أبو جهل. انظر فتح القدير للشوكاني ح ٤ ص ٣٨٤. وقيل هو عبد الله بن أبي بن سلول. وضعفه ابن كثير لأن الآية مكية وابن سلول في المدينة. انظر تفسير ابن كثير ح ٣ ص ٥٨١.

(٣) يس آية ٧٨ـ ٧٩.

(٤) الروم آية ٢٧.

(٥) النجم آية ٤٧.

(٦) البروج آية ١٣.

(٧) الأنبياء آية ١٠٤.

(٨) الأعراف آية ٢٩.

الأسلوب الثالث: ـ الاستدلال بالنوم واليقظة: ـ

الاستدلال بالنوم واليقظة على الموت ثم الحياة بعده، وذلك أن النوم يشبه الموت من جهة تعطل سيطرة القوى الفاعلة في البدن عليه، وعودة هذه السيطرة بعد اليقظة، وذاك أشبه ما يكون بالموت والحياة، ولذلك وصف النبي ﷺ النوم بأنه الموتة الصغرى وقال في النوم إنه (أخو الموت)[1] ولهذا فقد كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه يقول: «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وإذا استيقظ يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[2]، ولذلك يقول ﷺ مستدلاً بصورة النوم واليقظة على حالة الحياة بعد الموت: «والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون»[3].

الأسلوب الرابع: ـ قياس الأدنى: ـ

والمقصود به قياس حياة الإنسان بعد الموت على ظاهرة النبات[4]، فإن الأرض تكون قاحلة جرداء فإذا نزل عليها الماء تفاعلت جزيئاتها وتحولت تربتها إلى غذاء للنبات، فيظهر النبات بعد نزول المطر ثم يمر في دورته النباتية، من بذرة إلى نبتة إلى ثمار ثم يهيج ويصفر فيموت ويتحلل في الأرض، وإذا نزل المطر ثانية عاد النبات إلى دورته المذكورة مرة أخرى وهكذا دواليك، وهي ظاهرة محسوسة يراها الإنسان في عالم الشهادة، وتتطابق هذه الظاهرة مع الظاهرة البشرية، فإن الإنسان لم يكن ثم وجد ويمر في حالته الجنينية بمراحل متتالية من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام ثم تكسى العظام لحماً ثم يولد طفلاً، فيدخل في مرحلته الثانية المشاهدة المرئية، من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة، ثم

---

(١) روى جابر أن رسول الله ﷺ سئل: أينام أهل الجنة. فقال: (النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون) رواه الطبراني في الأوسط والبزار. ورجال البزار رجال الصحيح. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٧٣ كتاب الجنة والنار. رقم الحديث ١٠٢٣.

(٢) رواه البخاري والترمذي وأبو داود. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٦٤١ كتاب الدعاء. باب أدعية الصباح والمساء والنوم، رقم الحديث ٩٣٥٨.

(٣) هو جزء من خطبته ﷺ على الصفا، يدعو قومه بعد نزول قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) الشعراء آية ٢١٤.

(٤) وسمى قياس الأدنى لأن النبات أدنى من الإنسان وأقلّ شأناً منه.

يموت فيدفن في الأرض ويتحلل فيها إلى عناصره الأساسية الأولية، فإذا كان يوم القيامة عاد تركيبه ثانية وأرسلت إليه الروح ليدخل في الحياة الآخرة.

فهناك تطابق بين ظاهرة النبات وظاهرة الإنسان، فكما أن النبات يعود بعد التحلل ليدخل في دورة جديدة بنزول المطر عليه، كذلك فإن الإنسان يعود برجوع الروح إليه يوم القيامة بعد أن تنبت الأجسام عقب نزول مطر من السماء كمني الرجال فينبتون كما ينبت الزرع[١].

وقد جعل القرآن من ظاهرة النبات هذه دليلاً بالمقايسة على عودة الحياة إلى الإنسان بعد الموت لما بينهما من التشابه قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾[٣]. ولذلك حين اشترك الإنسان مع النبات في البدء اشترك معه في المآل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾[٤].

الأسلوب الخامس: ـ قياس المطابقة: ـ

والمقصود به قياس عودة الكون بعد فنائه على عودة الحياة للإنسان بعد

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن إلا الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٤٦ كتاب القيامة وأحوالها. رقم الحديث ٩٩٧١.

(٢) فصلت آية ٣٩.

(٣) الحج آية ٥ ـ ٧.

(٤) نوح آية ١٧ ـ ١٨.

موته، وذلك أن الكون لم يكن ثم وجد ثم ينتهي بقيام الساعة ثم يعود بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)﴾[١]، ويقول علماء الفلك: إن أصل الكون سديم أي غبار ذرّي منتشر وبانفجار كوني هائل[٢] رافقته تيارات هوائية شديدة انصهرت الذرات السديمية وجعلت بفعل تلك التيارات تدور حول نفسها فنشأت الأجرام الفلكية من نجوم وكواكب وتستمر في دورتها الفلكية وتفاعلاتها بواسطة الحرارة المنبعثة من النجوم التي هي كتل فلكية ملتهبة، حتى إذا ما انخفضت حرارتها بَطَلَ نظامها وتطايرت في الفضاء بلا ضوابط وتصادمت بعضها في بعض، ونشأ عن ذلك انفجارات كونية هائلة تعيد هذه الأجرام الفلكية إلى حالتها السديمية ثم تعود بانفجار كوني جديد نجوماً وكواكب كما كانت وهكذا، في تصور علماء الفلك[٣]، وقد يستدل لهم على ذلك بقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[٤].

والإنسان لم يكن ثم وجد ويمر في مراحله المختلفة في عالم الاجتنان ثم عالم الشهادة فإذا استوفى أجله عاد إلى العدم وتحلل في التراب ثم تعود إليه الروح بعد بناء الجسد مرة أخرى كما قال تعالى ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥)﴾[٥].

ومن هنا ورد في الحديث: «إذا مات ابن آدم فقد قامت قيامته»[٦]، فصح أن بين الكون والإنسان تشابهاً ومطابقة كما قال الشاعر: ـ

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

---

(١) الأنبياء آية ١٠٤.

(٢) ويقدر علماء الفلك أن هذا الإنفجار حصل منذ خمسة آلاف مليار سنة. انظر الإسلام يتحدى ص ٥٦ وص ١٤٥.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الأنبياء آية ٣٠.

(٥) طه آية ٥٥.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن أنس مرفوعاً بسند ضعيف انظر تخريج العراقي بهامش احياء علوم الدين للغزالي ح ٤ ص ٨٠.

الأسلوب السادس: ـ قياس الأولى: ـ

مضمون هذا الأسلوب، إثبات قدرة الله تعالى على الإحياء بعد الإماتة للحساب، من خلال النظر في قدرات الإنسان في هذه الحياة التي تمكنه من القيام بعملية رصد للآخرين، فمن باب أولى أن يكون خالق الإنسان قادراً على ذلك.

وتفصيل ذلك أن نقول: للإنسان ثلاثة أبعاد: النية والقول والفعل.

البعد الأول: ـ النية: ـ أما النية فمحلها القلب، ولا يعلم ما فيه إلا الله تعالى، ولكنه قد يظهر للآخرين بين الحين والآخر، إذا تعرض الإنسان لحالات معينة، كالنوم والإغماء والجنون والهستيريا والتنويم المغناطيسي واستخدام الخوذة الإلكترونية، فإنه متى فقد العقل سيطرته على الحواس بشيء مما ذكرنا صدر عن الإنسان تصرفات قولية وفعلية غير منضبطة، لأنه يكون للعقل الباطن في هذه الحالة تأثير على هذه الحواس، فينعكس عليها ما كان يعتمل في نفس الإنسان أثناء يقظته من قضايا وتصورات وانفعالات، فيتكلم بها دون شعور أثناء نومه، فإذا سمعه الآخرون عرفوا ما كان يضمره أثناء حالته الطبيعية.

البعد الثاني: ـ القول: ـ فقد أمكن للإنسان أن يقف على ما يقوله الآخرون من خلال أجهزة مخصصة لضبط الصوت وحبس الذبذبات وتوجيهها، كجهاز التسجيل والراديو، وأجهزة التنصت المختلفة، والأقمار الصناعية التي تمكن الإنسان بواسطتها من رصد أقوال الآخرين، للمعرفة والاستفادة والتجسس.

البعد الثالث: ـ الفعل: ـ فقد أمكن للإنسان اختراع أجهزة ترصد حركة فعل الغير وتقف على تحركاته وتصرفاته، للاستفادة منها عند اللزوم للمحاسبة أو للتعريف او للتجسّس، كالكاميرا وكالأقمار الصناعية التي تلتقط الصور الفوتوغرافية وكالتلفاز وكجهاز الفيديو، فقد أمكن للإنسان الوقوف على تصرفات وتحركات وأقوال الغير من خلال هذه الأجهزة.

ولئن كان الإنسان وهو الضعيف قادراً على إيجاد هذه الأجهزة ورصد تلك الأبعاد بواسطتها، حتى أمكنه أن يحصي وقائع الرحلات الجوية على متن الطائرات

من خلال جهاز **الصندوق الأسود** الذي لا يتلف تحت أي ظرف من الظروف، فإذا تعرضت الطائرة لحادث سقوط، أمكن الوقوف على أسبابه من خلال هذا الجهاز، فمن باب أولى أن يكون الله تعالى الذي خلق هذا الإنسان، قادراً على إيجاد جهاز فيه يحصي عليه تلك الأبعاد الثلاثة لجميع وقائع رحلة حياته، ليحاسبه على ذلك يوم القيامة.

وقد أفاد الطب التشريحي الحديث أن في هذا الإنسان مكان تحفظ فيه نسخ مكررة عن جميع المعلومات التي تصل إلى العقل البشري عبر الحواس، ولكن العلم الحديث لم يهتدي بعد إلى تحديد مكان جهاز حفظ هذه المعلومات في الإنسان[(١)].

ونحن نقول: إن هذا الجهاز الذي تحفظ فيه هذه المعلومات موجود في نهاية العمود الفقري في الإنسان، الذي سماه رسول الله ﷺ **«عجب الذنب»** وهو لا يبلى تحت أي ظرف من الظروف، أشبه ما يكون بالصندوق الأسود في الطائرة[(٢)]، فقد قال ﷺ في صحيح مسلم: «كل ابن آدم يأكله التراب إلاّ عجب الذنب منه خلق، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[(٣)].

وفي القرآن إشارة إلى هذا الصندوق الأسود البشري في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[(٤)]، ففي الآية مجاز مرسل، حيث أطلق الجزء وأراد الكل، فالعمود الفقري يبتدىء بالرأس وما يشتمل عليه من العقل والحواس الخمس، التي توصل إليه المعلومات المحيطة به، ثم تمر بالذاكرة ويرسل منها نسخاً مكررة إلى عجب الذنب الكائن في الطرف الثاني من العمود الفقري عبر الحبل الشوكي، فتحفظ المعلومات فيه إلى يوم القيامةِ حيث يستنسخ منها نسخ هي

---

(١) انظر الطب محراب للإيمان ص ١٧٨.

(٢) وانظر توحيد الخالق. للزنداني ح ٣ ص ٧٦.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر كشف ح ٢ ص ١٧٦. رقم الحديث ١٩٧٠.

(٤) الإسراء آية ١٣ـ ١٤.

طبق الأصل لتلك التي في الدماغ، وتُنشَرُ بين يدي صاحبها ليقرأها بنفسه: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾[2].

ولئن كان هذا الرصد للأبعاد الثلاثة في قدرة الإنسان ـ كما قلنا ـ، فمن باب أولى أن يكون خالق هذا الإنسان قادراً على رصد جميع وقائع حياته، ليحاسبه عليها يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ﴾[3].

---

(١) الجاثية آية ٢٩.

(٢) الكهف آية ٤٩.

(٣) آل عمران آية ٣٠.



الدرس الثامن عشر

الحياة بعد الموت



الحياة بعد الموت

للإنسان حياتان: الحياة الأولى والحياة الأخرى.

أولاً: ـ الحياة الأولى: ـ وتسمى الحياة الدنيا، وهو لفظ مشتق من الدناوة ومن الدناءة بمعنى القلة والخسة، ولذلك وصفها الله تعالى بقوله: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1]، كما وصفها الله تعالى بأنها ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2] وقد بين النبي ﷺ مقدار دناءة نعيم الحياة الدنيا وقلّته بالنسبة لنعيم الآخرة فقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً جرعة ماء»[3]، وللإنسان في هذه الحياة الأولى حالتان: عالم الذر وعالم الشهادة.

الحالة الأولى: ـ عالم الذر: ـ وهي التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[4]، ثم أمسكت هذه الأرواح بعد أن أخرجها الله تعالى من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام، وأشهدها على ربوبيته وألوهيته وحده، فأمسكت في عالم السماء تنتظر كل روح منها متى تخلق الجنين الخاص بها في رحم أمه، فيرسل الله تعالى الملك فينفخ هذه الروح في ذلك الجنين لتدب فيه الحياة ويصبح خلقاً آخر غير الأم كما قال ﷺ: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح)[5].

الحالة الثانية: ـ عالم الشهادة: ـ ويمر فيها الإنسان بأربعة مراحل:

---

(١) التوبة آية ٣٨.

(٢) آل عمران آية ١٨٥.

(٣) رواه الترمذي والطبراني وأبو نعيم عن سهل بن سعد مرفوعاً. وقال الترمذي: صحيح غريب. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٢٢٥ رقم الحديث ٢١٠٧.

(٤) الأعراف آية ١٧٢.

(٥) رواه مسلم عن ابن مسعود مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٤٨ كتاب القدر. باب في الخلق يخلق. والشقاوة والسعادة. رقم الحديث ١٨٤٧.

المرحلة الأولى: ـ الاجتنان: ـ ويبدأ من النطفة التي هي خلاصة الدماء حيث تنتقل بالجماع إلى المرأة فتعلق في جدار الرحم حين وصول البويضة إليه، ويتم تلقيحها فيه فتتحول إلى علقة أي دمٍ جامد مكثفٍ، ثم تتحول إلى مضغة أي قطعة أشبه باللحم الممضوغ بالأسنان، ثم تتحول المضغة إلى عظام وتكسى العظام لحماً في غضون أربعين يوماً، فيرسل الله تعالى ملكاً لتلك الروح من السماء فينفخها في الجنين في بطن الأم، ويمر بعد ذلك في المدة التي يكتمل فيها نموه، وهي تسعة أشهر في الغالب ليخرج بعدها إلى هذه الحياة الدنيا.

المرحلة الثانية: ـ الفطرة: ـ وتبدأ من الولادة إلى سن السابعة، وإليها الإشارة في قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[1]، وفي هذه المرحلة يكون الوليد شديد التأثر والتقليد والمحاكاة للآخرين.

المرحلة الثالثة: ـ التمييز: ـ وفيها يبدأ الطفل بالتفريق بين ما ينفعه وما يضره، وعندها يجب تعليمه الصلاة لينشأ عليها، وتبدأ هذه المرحلة من سن السابعة إلى سن العاشرة، وقد قال ﷺ: «علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع»[2].

المرحلة الرابعة: ـ المراهقة: ـ وهي أخطر مراحل حياة الانسان، حيث فيها تتفجر شهواته الجنسية والوجاهية، ويستغلها فيه الطامعون في شباب الأمة من أعدائها، عبر الرحلات والمخيمات ونحو ذلك، للانحراف به عن مقتضى الدين الصحيح والأخلاق، فيحولونه إلى عامل هدم لكيان أمته دون أن يشعر، فإذا لم يتم التعامل معه على الوجه المطلوب، فإنه ينحرف عن مقتضى الاستقامة، وتبدأ هذه المرحلة من سن العاشرة إلى سن البلوغ، وفيها أمر النبي ﷺ بأخذ الولد بالشدة في إلزامه بالصلاة، وفيها أيضاً أمر بالتفريق بينه وبين أخواته الإناث

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. كشف الخفاء ح ٢ ص ١٨٢ رقم الحديث ١٩٩٠.

(٢) رواه أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً، انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٢٨٤ رقم الحديث ٢٢٨٦.

فقال ﷺ: «علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[1].

المرحلة الخامسة: ـ التكليف: ـ وهو إلزام ما فيه كلفة أي مشقة وتعب، وذلك بتحمل الأحكام الشرعية في جانب الفعل وفي جانب الترك، وتبدأ من سن البلوغ حتى الموت، وفيها يجري على الإنسان القلم كما قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر»[2]، فإذا استوفى الإنسان أجله الذي حده الله تعالى له انتقل إلى الحياة الأخرى.

ثانياً: ـ الحياة الأخرى: ـ سميت هذه الحياة بالآخرة لأنها لا يعقبها موت، وإنما يخلد المرء فيها في نعيم الجنة أو في جحيم النار، ولهذه الحياة الآخرة خمسة مراحل أيضاً وهي: ـ

المرحلة الأولى: ـ عالم البرزخ: ـ والبرزخ هو الحاجز بين شيئين متماثلين[3] كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾[4]، وسميت الحياة في القبر بعالم البرزخ لأنها فاصل بين الحياة الدنيا التي يكون النعيم والعذاب فيها على الروح والجسد، والحياة الآخرة التي يكون النعيم والعذاب فيها على الروح والجسد أيضاً، بخلاف الحياة في القبر، فإنها ينصب فيها النعيم والعذاب على الروح دون الجسد كحال النائم، وأحياناً عليهما معاً كحاله أيضاً، فقد يرى في منامه انه يضرب، وعندما يستيقظ يرى أثر الضرب على بدنه.

ويبدأ عالم البرزخ بخروج الروح من الجسد، وذلك حين يستكمل الإنسان عمره الذي قسمه الله تعالى له في الحياة الدنيا، فيأتي ملك الموت وينتزع هذه

---

(١) نفس المصدر.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن عائشة مرفوعاً. وفي رواية لأحمد وأبي داود والحاكم عن علي وعمر مرفوعاً بلفظ (رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون والمغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم) انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٥٢٣. رقم الحديث ١٣٩٤.

(٣) انظر مفردات القرآن للأصفهاني ص ١١٨.

(٤) الرحمن آية ١٩ـ ٢٠.

الروح من الجسد، ويكون ذلك بحسب حال صاحب هذا الجسد، فإذا كان صالحاً خرجت روحه بسهولة كما تخرج القطرة من السقاء، وإذا كان فاسداً خرجت روحه بعسر كما يستخرج السفود من صوف الغنم[1]، وإن كان ظاهر الحال في المؤمن والكافر بخلاف ما نراه، كما ورد الحديث بذلك[2].

وعندما ينتزع الملك الروح يصعد بها إلى السماء، فأما روح المؤمن فتفتح لها أبواب السماء، ويرحب بها الملائكة في كل سماء، حتى تصل إلى الجنة، ثم تعود إلى الأرض لتلج في بدن صاحبها في القبر ثانية، وأما روح الكافر فإنها حين يصعد بها إلى السماء لا تفتح لها أبواب السماء فترد إلى الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[3]، مفهوم ذلك أن روح المؤمن تفتح لها أبواب السماء وتدخل الجنة.

وعندما تعود الروح إلى القبر يأتي إليها ملكان أسودان أزرقان فيجلسانه ويسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ ماذا تعرف عن هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ أما المؤمن فيقول: ربي الله وديني الإسلام ومحمد ﷺ نبيي ورسولي أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق. وأما الكافر المجرم فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة يغوص بها في الأرض سبعين ذراعاً ويصرخ صرخة يسمعها كل شيء إلا الثقلان ـ الإنس والجن ـ وقد قرأ ﷺ بعد بيان سؤال الملكين قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

---

(١) رواه البراء بن عازب مرفوعاً عند الإمام أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وأبي عوانه الإسفرائيني في صحيحهما وابن حبان. انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٧٣ وص ٥٧٦، وفي رواية أبي هريرة مرفوعاً عند البزار في مسنده (فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين) انظر التذكرة للقرطبي ح ١ ص ٧٦ باب لا تخرج روح عبد.... الخ.

(٢) فقد قال ﷺ بعد بيان حال المؤمن عند خروج الروح (وإن كنتم ترون غير ذلك) وقال بعد بيان حال الكافر عند خروج الروح (وإن كنتم ترون غير ذلك) رواه أبو داود الطيالسي وعبد بن حميد في مسنديهما. وأحمد في مسنده، وصححه القرطبي وأشار إلى تعدد طرقه. التذكرة ح١ ص ١٥٢.

(٣) الأعراف آية ٤٠.

ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[(١)]، وعند ذلك يتحول القبر للمؤمن إلى روضة من رياض الجنة فيتسع عليه قبره حتى يكون على مد بصره ويمتلىء قبره نوراً ويفتح له ثغرة في قبره يرى منها منزلته في الجنة ـ الله أعلم بكيفية ذلك والله على كل شيء قدير، فإن أحدنا يكون في غرفة مقفلة ويرى بواسطة التلفاز ما يجري في أقصى البلاد ـ ويأتيه من رَوْحِ الجنة ونعيمها ما يبقى معه إلى يوم القيامة.

وأما الكافر المجرم فإنه يمتلىء عليه قبره ظلمة وناراً ويضيق عليه قبره حتى تختلط عليه أضلاعه ويفتح له ثغرة يرى من خلالها مكانه في النار ويأتيه من حرها وسمومها ما يجعل عليه قبره حفرة من حفر النار، ويبقى كذلك إلى يوم القيامة[(٢)]، ولذلك قال ﷺ: «القبر أول منازل الآخرة»[(٣)] أي (فإما أن يكون روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار)[(٤)].

المرحلة الثانية: ـ النفخة الأولى: ـ وتكون عند نهاية أجل الكون، حيث يأمر الله تعالى الملك إسرافيل بالنفخ في الصور وهو البوق، فينشأ عن هذه النفخة خراب الكون ودماره، وذلك أن الكون يتألف ـ كما قلنا سابقاً ـ من أربعة عوالم رئيسية ـ عالم الفلك وعالم السموات وعالم الكرسي وعالم العرش ـ وعالم الفلك هو فضاء السماء الأولى ويشتمل على ما لا يعد ولا يحصى من مليارات النجوم والكواكب، التي تتوزع في فضاء الفلك ضمن نظام محكم كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ

---

(١) إبراهيم آية ٢٧.

(٢) هذه مقتطفات أكثرها من حديث البراء بن عازب المرفوع الذي رواه أبو داود الطيالسي وأحمد بن حنبل وأورده القرطبي بكماله في التذكرة ح ١ ص ١٥٢ وأورده المنذري بروايات متعددة وفيها زيادات من رواية أبي داود وأحمد بإسناد محتج برواته في الصحيح، وقال الإمام أحمد: هذا حديث صحيح الإسناد، انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٦٥ وما يليها.

(٣) رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن عثمان مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٣٦ رقم الحديث ١٨٥٣.

(٤) ورد ذلك في الحديث. رواه الترمذي والطبراني عن أبي سعيد ورواه الطبراني أيضاً عن أبي هرير وكلاهما بسند ضعيف. انظر نفس المصدر قم ١٨٥٢.

﴿ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧﴾[1] أي الطرق، وتسير بسرعات هائلة ولا يتصادم بعضها مع بعض، وعندما ينفخ الملك في الصور تخرج هذه الأجرام الفلكية عن مساراتها وتتصادم فيما بينها ومنها الحار ويسمى النجم ومنها البارد ويسمى الكوكب، وبداخل كل جرم فلكي غاز مضغوط، فإذا تصادمت هذه الأجرام وتحطمت قشرتها الخارجية تدفق الغاز من داخلها واشتعل بفعل الحرارة الكائنة في النجم، فيتصاعد منها الدخان وينتشر في جميع أرجاء الفلك، حتى يضيق عنه فضاء السماء الدنيا فتنفجر السماء الأولى وتنشق كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢﴾[2]، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦﴾[3]، ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾[4].

وبانشقاق السماء الأولى تنشق الثانية وهكذا حتى السابعة ليصل أثر ذلك إلى الكرسي فالعرش، فيتحطم كل شيء من هذه النفخة كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[5]، ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾[6].

المرحلة الثالثة: ـ النفخة الثانية: ـ وذلك عندما يعيد الله تعالى الحياة إلى إسرافيل بعد النفخة التي يموت منها كل حي من المخلوقات ويتدمر بها كل شيء في الكون، يعيد الله تعالى الحياة إلى الملك إسرافيل، ويأمره بالنفخة الثانية فيعود بها إلى الحياة كل ميت، كما يرجع الكون إلى الوجود بنظامه كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝٤٨﴾[7]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[8]، وبين النفختين

---

(١) الذاريات آية ٧.
(٢) الإنشقاق آية ١ ـ ٢.
(٣) الحاقة آية ١٦.
(٤) الرحمن آية ٣٧.
(٥) القصص آية ٨٨.
(٦) الرحمن آية ٢٦ ـ ٢٧.
(٧) إبراهيم آية ٤٨.
(٨) الأنبياء آية ١٠٤.

الأولى والثانية أربعون، قيل أربعون سنة، وقيل أربعون شهراً، وقيل: أربعون جمعة، وقيل: أربعون يوماً. وذلك لأن النبي ﷺ حين سئل: كم بين النفختين؟ قال: أربعون، قيل لأبي هريرة وهو راوي الحديث: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قيل: أربعون شهراً. قال: أبيت، قيل: أربعون سنة، قال: أبيت[1]، وقد أجاب أبو هريرة بما ذكر لأن رسول الله ﷺ لم يبين ذلك. وإن كان قد ورد في بعض الروايات أنها أربعون سنة، ولكن في ثبوتها خلاف بين المحدثين[2].

وفي هذه الفترة ترسل السماء بمطر كثيف كمني الرجال[3]، تنبت منه الأجساد في قبورها من «عجب الذنب»[4]، وفي رواية من «عجم الذنب»، كما تنبت الشجرة من بذرتها، ثم تنشق عنهم الأرض في قبورهم، وتعود إليهم أرواحهم، فيخرجون منها سراعاً، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[5] إلى أرض المحشر للحساب.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٤٥ كتاب القيامة وأحوالها، رقم الحديث ٩٩٧١.

(٢) أخرج ابن مردوية من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد (أربعون سنة) وهو شاذ. ومن وجه آخر ضعيف عن ابن عباس قال (ما بين النفختين أربعون سنة) ووقع في جامع ابن وهب (أربعين جمعة) وسنده منقطع. انظر فتح الباري ح ٨ ص ٥٥٢ كتاب التفسير، رقم الحديث ٤٨١٤. قال ابن حجر: وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم (أربعين سنة) ولا وجود لذلك. اهـ. نفس المصدر.

(٣) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٣٠٥ كتاب الفتن. باب قصة ابن صياد. رقم الحديث ٢٠٥٢.

(٤) رواه البخاري ومسلم. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٣٨٣ كتاب البعث وأهوال يوم القيامة. رقم الحديث ٧.

(٥) القمر آية ٧.



الدرس التاسع عشر

الحساب والجزاء



الحساب والجزاء

المرحلة الرابعة: الحساب: ويعتمد الفوز في الحساب يوم القيامة على الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾[1] فمن توفر فيه الإيمان عرض للحساب لينال مرتبته في الجنة ولو بعد دخوله النار لمعاص لم يتب منها[2]، ومن لم يتوفر فيه الإيمان فهو من أهل النار ولا ينفعه عمله الصالح لأنه فقد أساس قبوله وهو الإيمان ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3] ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾.

والعمدة في الحساب المتعلق بحقوق الله تعالى: هي الصلاة، فإذا وجدت نظر في سائر عباداته من صيام وزكاة وحج ونحو ذلك، كما قال ﷺ: (أول ما ينظر في عمل العبد هو الصلاة، فإذا صلحت صلح سائر عمله وإذا فسدت فسد سائر عمله)[4].

والعمدة في الحساب المتعلق بحقوق العباد: هي الدماء، فإذا كان قد أراق دماً حراماً لم ينظر في سائر معاملاته الحسنة مع الناس، كما قال ﷺ: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)[5].

---

(١) العصر آية ١ ـ ٣.

(٢) لقوله ﷺ (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برّة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وصححه عن أنس مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٥٤٩ رقم الحديث ٣٢٢٨.

(٣) البقرة آية ٢١٧.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن قرط مرفوعاً. قال المنذري: لا بأس بإسناده. ورواه في الأوسط أيضاً عن أنس مرفوعاً بلفظ (فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت خاب وخسر) انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٢٤٦ باب الترغيب في الصلوات الخمس والمحافظة عليها. رقم الحديث ٣٣.

(٥) رواه البخاري عن ابن عمر مرفوعاً. صحيح البخاري ح ٩ ص ٢ كتاب الديات.

والحساب يوم القيامة عرض وسؤال: فالعرض مجرد إخبار للإنسان عما كان قد عمله في هذه الحياة الدنيا، وأما السؤال فمناقشته فيما كان قد فعله، فالعرض يسير وسهل، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[1] وأما السؤال والمناقشة فعسير وشديد، لقوله ﷺ: (من نوقش الحساب عذب) قالت عائشة بعد أن سمعت ذلك: كيف وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[2] فقال ﷺ: ذلك العرض يا عائشة[3].

وفي ذلك اليوم تُنْصَبُ الموازين التي توزن بها السيئات والحسنات من أعمال القلوب والجوارح واللسان، وهي من الدقة بحيث يوزن بها مثاقيل الذر من الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ۝٤٧﴾[4]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾[5].

فمن زادت حسناته من المؤمنين على سيئاته في الميزان فهو من الناجين ويعطى كتابه بيمينه، ومن زادت سيئاته على حسناته فهو من الهالكين ويعطى كتابه بشماله، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝١١﴾[6]، ومن استوت حسناته مع سيئاته فهو إلى المشيئة الإلهية: إن شاء الله تعالى عذبه وإن شاء عفا عنه كما قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[7].

---

(١) الانشقاق آية ٧ ـ ٨.
(٢) الإنشقاق إية ٧.
(٣) رواه أحمد، وكذا البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السختياني، انظر تفسير ابن كثير ح ٤ ص ٤٨٨.
(٤) الأنبياء آية ٤٧.
(٥) الكهف آية ٤٧.
(٦) القارعة آية ٦ ـ ١١.
(٧) التوبة آية ١٠٢.

وأما غير المؤمنين فلا قيمة لحسناته مهما كثرت، ولا يدخل بها الجنة وان كانت تنفعه في أنها تخفف عنه من النار.

وسيطعن بعض الهالكين في صحة ما هو مكتوب عليهم من قبل الملائكة الحفظة، فيختم الله تعالى على فم من ينكر ذلك ويأمر جوارحه فتشهد عليه بما كان قد فعله في هذه الحياة كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1].

ثم ينصب الصراط على متن جهنم أي فوقها وهو (أحدّ من السيف وأدق من الشعر)[2] يمر عليه جميع الخلائق مؤمنين وكافرين، وتكون سرعة مرورهم عليه بحسب أعمالهم، فمنهم من يمر بسرعة البرق، ومنهم من يمر بسرعة الريح، ومنهم من يمر بسرعة الفرس، ومنهم من يهرول، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، وأما أهل النار من الكفار فيسقطون من الصراط على جهنم، حيث تشدهم إليها الكلاليب المنصوبة على الصراط[3]، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[4].

وبعد الصراط يكون مقاصة بين المؤمنين أي دفع حقوق بعضهم لبعض بالحسنات والسيئات، وذلك عند القنطرة حتى إذا ما استوفوا هذه الحقوق وفاز أهل الجنة بالحسنات ساقتهم الملائكة إليها، ومن لم تزد حسناته على سيئاته بعد المقاصة ساقتهم الملائكة إلى النار، وقد ورد في الحديث: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا دينار له ولا درهم، فقال ﷺ: بل المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال

---

(١) يس آية ٦٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحدّ من السيف. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٢٥١ كتاب القيامة وأحوالها. رقم الحديث ١٠٠٠١.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي بألفاظ قريب مما ذكرنا. انظر نفس المصدر. رقم الحديث ١٠٠٠٠.

(٤) مريم آية ٧١ـ ٧٢.

هذا. وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه. أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[١]، وبعد المقاصة يجتاز المؤمنون القنطرة إلى الجنة.

وفي ذلك اليوم تكون الشفاعة من الملائكة والأنبياء والصالحين والشهداء وهي على نوعين: عامة وخاصة.

الشفاعة العامة: ـ وهي تشمل جميع الخلائق، وتختص بمحمد ﷺ وتسمى الشفاعة الكبرى، وذلك عندما يشفع لأهل الموقف حين يأخذهم العرق وتقترب منهم الشمس ويشتد عليهم الأمر فيشفع لهم لينتقلوا من الموقف إلى الحساب[٢].

الشفاعة الخاصة: ـ وأما الشفاعة الخاصة فلها مواقف[٣] تشمل أهل الجنة وأهل النار، فيشفع ﷺ لأناس من المؤمنين استوجبوا النار ألا يدخلوها، ويشفع لأناس من المؤمنين في الجنة لإعلاء درجاتهم فيها، كما يشفع لأناس من أهل النار فيخفف عنهم من عذابها، كما ورد بأنه يشفع لعمه أبي طالب فيكون في ضحضاح من النار وهو أهون طبقات النار عذاباً لكنها وإن كانت أهونها فإنها شديدة الألم، كما ورد في صحيح مسلم: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»[٤].

المرحلة الخامسة: ـ الجزاء: ـ وهو إما جنة أو نار.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم المنذري ح ٢ ص ٢٤٤ كتاب المظالم، باب القصاص وأداء الحقوق يوم القيامة. رقم الحديث ١٨٣٦.

(٢) ورد في حديث الشفاعة أن عيسى عليه السلام يقول لمحمد ﷺ: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون أو قال يجتمعون إليك يدعون الله أن يفرق بين جمع الأمم إلى حيث يشاء لعظم ما هم فيه، فالخلق ملجمون في العرق. رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٣٦ فصل في الشفاعة رقم الحديث ٩٦.

(٣) انظر التذكرة للقرطبي ح ١ ص ٣٠٨.

(٤) رواه مسلم عن النعمان بن بشير مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٥ كتاب صفة النار. باب من أهون أهل النار عذاباً. رقم الحديث ١٩٧٨.

أولاً: ـ الجنة ونعيمها: ـ وهي اسم لما أعدَّه الله تعالى من النعيم لمن آمن به وبرسله، وسميت الجنةُ جنةً لكثرة ما فيها من الشجر الملتف، الذي يمنع من فيه من التعرض لعيون الآخرين، مشتق من الاجتنان أي الاختباء، ومنه الجنين وهو الولد حالة كونه في بطن أمه، سمي بذلك لأنه مستور عن الأعين، والجنة فوق السموات كما أخبر النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج[1]، والجنة ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[2]، والجنة التي هي جائزة الله تعالى للمؤمنين فيها مائة درجة، (ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)[3] وقد أخبر النبي ﷺ عما يملكه أدنى رجل من أهل الجنة فقال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل ينظر في ملكه ألفي سنة»[4]، بمعنى أنه يحتاج ليقطعه من أوله إلى آخره إلى ألفي سنة بسرعة الجواد المضمر السريع، وقد جعل الله تعالى الجنة محلاً لتلبية شهوات الإنسان بأنواعها الثلاثة ـ المال والجاه والجنس ـ:

أما شهوة المال: فإن المال يطلق على كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على الوجه المعتاد، فيشمل الأرض والعقار والطعام والشراب واللباس، وجميع هذه الأشياء مخلوقة لأهل الجنة على وجه الكمال فيها، فأرضهم واسعة، وبناؤهم من ذهب وفضة وطعامهم من الثمار التي كانوا يأكلون من مثلها في الدنيا مع الفارق الكبير بينهما في الآخرة: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[5]، وشرابهم من ماء ولبن وخمر وعسل بكميات وافرة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى

---

(١) انظر مختصر سيرة ابن هشام ص ٩٢. وما يليها. الكامل لابن الأثير ح ٢ ص ٣٥.
(٢) آل عمران آية ١٣٣.
(٣) رواه البخاري ح ٤ ص ١٩. كتاب الجهاد. باب درجات المجاهدين في سبيل الله عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٤) رواه أحمد. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٠٨ كتاب الترغيب في الجنة ونعيمها. رقم ١٩.
(٥) البقرة آية ٢٥.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾[١].

ولباس أهل الجنة من حرير وسندس واستبرق، وقد ورد في الحديث أن أهل الجنة حين يريدون الثياب يقطفون الثمرة من شجرة طوبى ويفتحونها وإذا فيها من الثياب ما يرغبون في لونه وشكله[٢]، ولا تبلى هذه الثياب كما لا تفنى أعمارهم ففي الحديث: «فمن يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[٣].

وأما شهوة الجاه: فأهل الجنة في حال كمال في أبدانهم فهم بطول آدم ستون ذراعاً في السماء بعرض سبعة أذرع[٤]، والذراع قريباً من نصف متر، وجمالهم بجمال يوسف عليه الصلاة والسلام[٥] وهم بأخلاق محمد ﷺ[٦]، لا يحملون غلاً ولا حقداً ولا حسداً ولا كراهية وإنما هم على قلب رجل واحد كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٧].

وأما شهوة الجنس: فإن الله تعالى جعل لأهل الجنة الحور العين، وهن نساء تحار العين في إدراك مكامن الجمال فيهن، وقد وصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾[٨] وقوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[٩] وبقوله: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ

---

(١) محمد آية ١٥.

(٢) فقد سئل رسول الله ﷺ عن ثياب أهل الجنة فقال ﷺ (تنشق عنها ثمار الجنة) رواه البزار ورجاله ثقات كما قال الهيثمي ورواه في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد. انظر مجمع الزوائد ح ١٠ ص ٥.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ج٢ ص ٢٨٢ كتاب صفة الجنة باب دوام نعيم أهل الجنة، رقم الحديث ١٩٦٤.

(٤) رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي من رواية علي بن زيد بن جدعان. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٠١. كتاب الترغيب في الجنة رقم الحديث ١١.

(٥) رواه البيهقي بإسناد حسن عن المقداد مرفوعاً بلفظ (من كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب أيوب) انظر نفس المرجع. رقم الحديث ١٢.

(٦) الذي قال الله تعالى فيه (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم آية ٤.

(٧) الحجر آية ٤٧.

(٨) الصافات آية ٤٩.

(٩) الرحمن آية ٧٢.

﴿ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾[١] أي يقصرن نظرهن على أزواجهن، ووصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾[٢]، والحوراء تغنّي زوجها يوم القيامة بصوت هو من أفضل نعيم أهل الجنة[٣].

وقد أعد الله عز وجل ذلك كله لأهل الجنة بسبب إيمانهم بالله تعالى ورسله وطاعتهم لما أمرهم به واجتنابهم لما نهاهم كما قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[٤]، وطريق الجنة محفوفة بالمخاطر والمصائب والمتاعب كما قال ﷺ: «حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره»[٥]، وهي أقرب إلى المرء من شراك نعله، لأنه بمجرد أن تغادر روحه بدنه يصير إلى الجنة إن كان من أهلها أو إلى النار إن كان من أهلها لقوله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»[٦]، وفي الحديث أيضاً: «القبر أول مراحل الآخرة فإما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار»[٧].

ثانياً: ـ النار وجحيمها: ـ تفيد النصوص الواردة بشأن نار جهنم التي هي محلّ عقوبة الكافرين والفاسقين يوم القيامة بأن مكانها في عالم الفلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[٨]، وعالم الفلك هو فضاء السماء الأولى ولكننا لا ندري على وجه التحديد على ظهر أي جرم من الأجرام الفلكية سيكون أهل النار.

---

(١) الرحمن آية ٥٦.
(٢) الرحمن آية ٥٨.
(٣) روى الطبراني في الصغير والأوسط عن ابن عمر مرفوعاً (إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط) ورواته رواة الصحيح. الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٣٨. الترغيب في الجنة. رقم ١٠٥.
(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر صحيح البخاري ح ٩ ص ١١٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ.
(٥) رواه مسلم عن أنس مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٢ كتاب صفة الجنة. باب حفت الجنة بالمكاره. رقم الحديث ١٩٦٩.
(٦) رواه البخاري ح ٨ ص ١٢٧. كتاب الرقاق باب الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله.
(٧) سبق تخريجه في ص ٢٠٣.
(٨) الأعراف آية ٤٠.

ونار جهنم ضيقة على أهلها مؤصدة عليهم أبوابها، محيطة بهم أسوارها كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾[1]، ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[2]، ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾[3]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[4].

ولنار جهنم دركات باتجاه الأسفل، وفي كل دركة منها من العذاب ما ليس في غيرها، وقد ورد أن أهون هذه الدركات عذاباً أن يوضع تحت أخمص قدمي أهل النار فيها جمرتان يغلي منهما الدماغ، كما ورد في الحديث: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع تحت أخمص قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه»[5]، يحسب أنه أشد الناس عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً، وأما أشد الدركات عذاباً فهي دركة المنافقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[6].

وليس لأهل النار مراكب ينتقلون بها من مكان لآخر، لأن المراكب إنما هي للزينة والراحة كما قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[7]، ولأن النار محل للعقوبة وبالتالي فليس لهم وسائل نقل فيها.

ويحرم أهل النار على صعيد المال والجنس والجاه بكل أنواع الحرمان:

فعلى صعيد المال: ويشمل الطعام والشراب واللباس والعقار والأرض، فإن أهل النار طعامهم من شجر الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ

---

(١) البلد آية ٢٠٣.
(٢) الكهف آية ٢٩.
(٣) الفرقان آية ١٣.
(٤) المائدة آية ٣٧.
(٥) رواه مسلم. انظر شرح مسلم للنووي ح ٣ ص ٨٦ كتاب الإيمان. باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه.
(٦) النساء آية ١٤٥.
(٧) النحل آية ٨.

﴿صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[1]، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾[2]، والضريع: نوع من الثمر يكثر فيه الشوك فإذا أكل منه أهل النار أصابهم غصة في حلقومهم فلا يقدرون على إزدرادها ولا يقدرون على إخراجها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾[3]، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[4]، ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾[5].

ويلبس أهل النار ثياباً شديدة الحرارة تلتهب على أبدانهم كما قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[6].

وأما عقارهم فإن أرض جهنم شديدة الحرارة كثيرة النتوءات فيها الجبال وفيها الوديان وكلها تشتعل ناراً على من فيها، وتختلف جبال النار في ارتفاعاتها فمنها ما يبلغ أربعين سنة، ومنها سبعين سنة ومنها مائة سنة، كما ورد الحديث بذلك، فقد كان النبي ﷺ ذات مرة مع أصحابه فسمعوا وجبة ـ أي ضجّة ـ فقال أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (إنه حجر ألقي في نار جهنم منذ سبعين خريفاً فهو الآن يهوى في قعرها)[7].

ويجبر الكافر في النار على صعود الجبل فيها، حتى إذا وصل أعلاه دفعته الملائكة من قفاه ليهوي في قعر الجبل كما قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾[8]، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾[9]، والدعُّ: مضعّف العين معناه الدفع من

---

(١) الدخان آية ٤٣.
(٢) الغاشية آية ٦ـ ٧.
(٣) المزمل آية ١٣.
(٤) الكهف آية ٢٩.
(٥) إبراهيم آية ١٦.
(٦) الحج آية ١٩.
(٧) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٥ كتاب صفة النار. باب في بعد قعر جهنم. رقم ١٩٧٧.
(٨) المدثر آية ١٧.
(٩) الطور آية ١٣.

القفا، ولأهل النار بيوت وقصور ولكنها تلتهب عليهم ناراً، يقذف بأحدهم من أعلاها حتى يستقر بأسفلها[١]، ولا يطمع أهل النار أن يملكوا من الأرض ولا من العقار شيئاً لما هي عليه من ضرر وخطر.

وعلى صعيد الجنس: يحرم أهل النار منه حرماناً تاماً وكاملاً لأن الشهوة الجنسية لا تثور في الإنسان إلا بعد الأمن والشبع كما قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاءٌ»[٢]، وأهل النار في حالة خوف وفي حالة جوع وبؤس وحزن، فهم في شغل بما هم فيه عن تلك الشهوة.

وعلى صعيد الجاه: فإن أهل النار يحرمون منه في جانبه المادي وفي جانبه المعنوي، أما في جانبه المادي فإن أجسامهم مشوهة في أحجامها فمنهم من يتضاءل حتى يصبح في حجم النمل كما قال ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يغشاهم الذل من كل مكان»[٣].

ومنهم من يَعظُم في بدنه حتى يصبح ضرس أحدهم كجبل أُحد[٤] وحتى يكون ما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام[٥] ـ أي ما يعادل مائة كيلومتر ـ وسماكة جلد

---

(١) فقد روى شفى بن ماتع رضي الله عنه (أن في جهنم قصراً يقال له: هوى، يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله) وقد اختلف في صحبة شفى بن ماتع، وإذا صح أنه صحابي فالحديث هنا له حكم الرفع. انظره في الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٧٠ كتاب صفة الجنة والنار، فصل في أودية جهنم وجبالها. رقم ٣٩ وقد رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً.

(٢) رواه مسلم والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٥٧٠ كتاب النكاح. باب الحث على النكاح والخطبة. رقم ٤٠٨٢.

(٣) رواه النسائي والترمذي وحسنه، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٩٨ رقم ٨٠٨٠ باب الكبر والرياء والكبائر. ونص العراقي أيضاً على تحسينه. انظر إحياء علوم الدين ح ٣ ص ٤١٨.

(٤) رواه مسلم وأحمد واللفظ. له عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٨٣ كتاب صفة الجنة والنار. فصل في عظم أهل النار وقبحهم. رقم الحديث ٧٠.

(٥) رواه البخاري ومسلم. عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر، رقم الحديث ٦٩.

أحدهم اثنان وأربعون ذراعاً[1]، وألوانهم زرقاء، ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾[2] فقد تغيرت ألوانهم وعيونهم من شدة ما نزل بهم من الأهوال، ووجوههم شاحبة: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾[3]. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾[4].

كما أن أهل النار مشوهون من الناحية المعنوية فأخلاقهم يائسة وقلوبهم بائسة، يكره بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[5]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[6].

وأيضاً فإنه زيادة في تبكيتهم وتحقيرهم يتبرأ منهم حتى الشيطان الذي أضلّهم: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[7].

كما أنهم يخاصم بعضهم بعضاً ويوبخ بعضهم بعضاً: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[8]

---

(١) رواه الترمذي وصححه، ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر. رقم الحديث ٧١.
(٢) طه آية ١٠٢.
(٣) المعارج آية ١٦.
(٤) عبس آية ٤٢.
(٥) البقرة آية ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٦) الفرقان آية ٢٧.
(٧) إبراهيم آية ٢٢.
(٨) فصلت آية ٢٩.

ويوجه إليهم المؤمنون توبيخاً ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾[1].

كما توجه لهم الملائكة توبيخاً فيقولون لهم ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[2]. كما يوبخهم الله تعالى أيضاً ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾[3].

ثم إن أهل النار مخلدون فيها بصورة دائمة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[4]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[5].

---

(١) الحديد آية ١٤.
(٢) غافر آية ٥٠.
(٣) إبراهيم آية ٤٤.
(٤) النساء آية ١٤.
(٥) البقرة آية ٣٩.

الدرس العشرون

الإيمان بالقضاء والقدر



الإيمان بالقضاء والقدر

ورد الإيمان به في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[١]، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[٢]، وفي السنة في قوله ﷺ: «أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب؟ قال: وما أكتب، قال: أكتب مقادير كل شيء، إلى يوم القيامة»[٣]، وفي جوابه ﷺ لجبريل عليه السلام عن الإيمان: «قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[٤]، وقد أجمع أهل السنة على مشروعية الإيمان بالقضاء والقدر بما وردت به النصوص.

والقضاء والقدر يتعلق بصفة العلم الإلهي المطلق وشموله للغيب وهو ما لم يخلق بعد، والشهادة وهو ما تم خلقه، وبالتالي فإن الإيمان به من الإيمان بكمال علم الله تعالى فيكون القضاء بمثابة خطة الخلق والقدر بمثابة تنفيذ هذه الخطة.

تعريف القضاء والقدر: ـ

القضاء لغة: ـ هو إتمام الشيء قولاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٥]، ويطلق على إتمام الشيء فعلاً: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[٦]، كما يطلق على إرادة الشيء: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٧].

القدر لغة: ـ القدر بتسكين الدال المهملة أي غير المنقوطة معناه المنزلة ومنه

---

(١) القمر آية ٤٩.
(٢) الحديد آية ٢٢.
(٣) رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت مرفوعاً، وسكت عنه المنذري في تخريج السنن. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٢٩ كتاب القدر، رقم الحديث ٧٦٣١.
(٤) رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة عن عمر بن الخطاب. انظر نفس المصدر ح ١ ص ١١ كتاب الإيمان باب تعريف الإيمان والإسلام.
(٥) الإسراء آية ٢٣.
(٦) فصلت آية ١٢.
(٧) آل عمران آية ٤٧.

ليلة القدر، سميت بذلك لما فيها من عظيم المنزلة لمن يدركها: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾[1]، وبالتحريك في الدال بالفتحة معناه المساواة، تقول: فلان بقَدَرِ فلان أي مساوٍ له في القدر والحجم، والهيئة.

القضاء اصطلاحاً: ـ هو علم الله تعالى الأزلي السابق.

القدر اصطلاحاً: ـ هو مجيء المعلومات على وفق ذلك العلم الأزلي، عند جمهور علماء التوحيد، وذهب أبو منصور الماتريدي إلى عكس[2] ذلك، ولا إشكال فيما ذهب إليه لأن منتهى الرأيين واحد، وقد اختلفت المذاهب الإسلامية في قضية القضاء والقدر نفياً وإثباتاً:

فذهب المعتزلة: إلى نفي القدر خوف الوقوع في الجبر فقالوا: إن الإنسان يأتي ما يفعله بمعزل عن علم الله تعالى[3]، حتى اشتهرت عنهم عبارة: لا قدر والأمر أُنف، تغليباً لصفة العدل الإلهي على صفة العلم الإلهي.

وذهب الجهمية الجبرية: إلى أن الإنسان مسلوب الإرادة، فهو يفعل ما قدره الله تعالى عليه، غير قادر على المخالفة لأنه مجبر على ذلك، فهو كالريشة في الهواء[4]، فغلبوا صفة القدرة الإلهية على صفة العدل الإلهي.

وذهب أهل السنة: إلى أن الإنسان مخير في سلوك الطريق الذي يريد، لأن الله تعالى زوده بالعقل وبالأجهزة التنفيذية التي ينفذ بها ما يختاره ليكون نتيجة ذلك أن يحاسب على عمله: «إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»[5].

وللرد على الجبرية والقدرية قال أهل السنة: إن لله تعالى إرادتين: إرادة كونية وإرادة شرعية[6].

---

(١) القدر آية ٣.

(٢) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٧٢٩.

(٣) انظر شرح الفقه الأكبر للقاري ص ٣٥. شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٣٩.

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٣٩.

(٥) رواه مسلم عن ابن ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى. انظر مختصر مسلم للمنذري ج٢، ص ٢٤٣ كتاب الظلم، باب تحريم الظلم، رقم الحديث ١٨٢٨.

(٦) وانظر الرد على القدرية والجبرية شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٤٠ وما بعدها

فالإرادة الكونية صادرة عن علم الله تعالى ومتحققة بقدرة الله تعالى، ولذلك فإنها لا تتخلف بحال من الأحوال، لأن الله تعالى على كل شيء قدير: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

والإرادة الشرعية صادرة عن علم الله تعالى أيضاً ولكنها تتحقق بقدرة البشر وإرادتهم، فمنهم من يختار الاستجابة لها ومنهم من لا يفعل ذلك، فتتخلف فيه هذه الإرادة الشرعية، ومن هنا كان في الناس مؤمنون وكافرون، ولو تعلقت صفة القدرة الإلهية بالإرادة الشرعية لصار الناس جميعاً مؤمنين: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[2]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[3].

فالإرادة الكونية لا تتخلف لتعلُّق صفة القدرة الإلهية بها، وأما الإرادة الشرعية فقد تتخلف لعدم تعلق هذه القدرة الإلهية بها وإنما تتحقق بإرادة العبد وقدرته، وبالتالي فإن المعتزلة والجهمية خلطوا بين الإرادتين فحصل في رأيهم ذلك الخطأ.

وتنقسم الأفعال البشرية إلى ثلاثة أنواع: -

فعل في الإنسان: - وهذا لا يسأل عنه، كحركة نبض القلب والرئتين والمعدة، لأنها حركات لا إرادية.

وفعل على الإنسان: كسقوط حجر عليه مثلاً، فإنه لا مسؤولية عليه في ذلك ما لم يقصر، لأن التقصير من فعله فيكون مسؤولاً عنه.

وفعل من الإنسان: وهذا هو الذي عليه مدار التكليف لأنها حركات إرادية، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[4]، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[5]، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[6] وفي الحديث القدسي: (يا عبادي

---

(١) النحل آية ٤٠.
(٢) السجدة آية ١٣.
(٣) هود آية ١١٨.
(٤) فصلت آية ٤٦.
(٥) البقرة آية ٢٨٦.
(٦) المدثر آية ٣٨.

إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاّ نفسه)[1].

ويكون النوع الأول والثاني داخلاً ضمن إطار تدبير الله تعالى للكون والحياة، فيطلب من الإنسان الصبر عليه بكل حال، كما قال ﷺ (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن إصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[2].

ومن هنا فإن الإيمان بالقدر يورث النفس السكينة ويوفر لها الطمأنينة ويعطيها الأمن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[3].

---

(١) رواه مسلم عن أبي ذر مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٤٣ كتاب الظلم، باب تحريم الظلم والأمر بالاستغفار والتوبة. رقم الحديث ١٨٢٨.

(٢) رواه مسلم عن صهيب مرفوعاً. انظر نفس المصدر ح ٢ ص ٣١٦ كتاب الزهد والرقائق. باب المؤمن أمره كله خير. رقم الحديث ٢٠٩٢.

(٣) الأنعام آية ٨٢.

الدرس الحادي والعشرون

التكفير والمكفرات



التكفير والمكفرات

أولاً: التكفير:

التكفير: هو في اللغة تفعيل من الكفر، وهو التغطية والستر، ومنه سمى الزارع كافراً في اللغة، لأنه يغطي البذور بالتراب[1].

وفي الاصطلاح: التكفير هو سلب وصف الإيمان عمن اتصف به حقيقة أو حكماً، وسمى الكافر كافراً في الشرع لأنه يغطي الفطرة التي خلقه الله تعالى عليها، وهي الإيمان، بما يناقضها من الأقوال والأفعال، ففي الحديث (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، حتى تكونون أنتم تجدعونها)[2] والفطرة البشرية منسجمة مع الدين الإلهي، لأن مصدرهما واحد وهو الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3].

ووظيفة الدين في حياة الإنسان: تحقيق الطهارة له وتوفير الحماية لأهله.

أما تحقيق الطهارة: فإن الدين يصحح التصور في القلب ويقوّم السلوك في الجوارح، فهو لها بمنزلة الماء للبدن في توفير الطهارة لكل، كما قال ﷺ: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً)[4].

وأما تحقيق الحماية: فإن الدين يوفر الغطاء الأمني لمنسوبيه على أموالهم وأعراضهم ودمائهم، فهو لهم بمنزلة الدرع للمقاتل في توفير الأمن لكل، كما قال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره بحسب امرىء من

---

(١) انظر: مفردات القرآن للأصفهاني ص ٧١٤، مادة: كفر.
(٢) رواه البخاري ومسلم. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٨٢. رقم الحديث ١٩٩٠.
(٣) الروم آية ٣٠.
(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٩٩ كتاب الترغيب في العلم. رقم الحديث ٢٣.

الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)[1].

فالوظيفة الأولى: الطهارة. والطهارة نوعان: حسية ومعنوية.

النوع الأول: الطهارة الحسية: وهي على نوعين: كبرى وصغرى.

فالطهارة الكبرى: هي الغسل، ومحله البدن، وموجباته: الجنابة والاحتلام، والحيض والنفاس. وتنتقض هذه الطهارة ولو بواحد منها. فيصير فاعل ذلك غير طاهر.

والطهارة الصغرى: هي الوضوء، ومحله: الجوارح، وموجباته: النوم والبول والغائط، والدم على خلاف فيه. وتنتقض هذه الطهارة ولو بواحد منها. فيصير فاعل ذلك غير طاهر.

النوع الثاني: الطهارة المعنوية: وهي على نوعين أيضاً: كبرى وصغرى.

فالطهارة الكبرى: هي الإيمان، ومحله القلب، وللإيمان أركانه التي وردت في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ عنه فقال ﷺ: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)[2] وتنتقض ولو بإنكار واحد منها. فيصير فاعل ذلك مرتداً.

والطهارة الصغرى: هي الإسلام، ومحله الجوارح، وللإسلام أركانه التي وردت في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عنه فقال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)[3] وتنتقض ولو بإنكار واحد منها. فيصير فاعل ذلك مرتداً.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٣٣ كتاب البر والصلة. باب المسلم أخو المسلم. رقم الحديث ١٧٧٥ وقد اختصرناه هنا.

(٢) رواه مسلم وأصحاب السنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ١١ باب تعريف الإيمان والإسلام. رقم الحديث ٣٦.

(٣) نفس المصدر.

الوظيفة الثانية: الحماية، وتشمل: النفس والنسل والعرض والمال والمعتقد، وتسمى بالضروريات الخمسة، وقد جاءت الأديان السماوية جميعاً بحماية هذه الضروريات الخمس في الإنسان[1]، فشرعت من العقوبات ما يمنع من التعدي عليها سواء بالحدود أو القصاص أو التعزير.

خطورة التكفير: ـ

تكمن خطورة التكفير فيما تؤدي إليه من الطعن في الدين، وذلك أنه إذا كان الموصوف بالكفر لا يستحق ذلك الوصف، فإنه يكون المكفّر قد وصف الإسلام في المخاطب بالكفر، وهذا هو عين الكفر لما فيه من الطعن في الدين، ولذلك قال ﷺ: «إذا قال الرجل: يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه»[2].

كما أن التكفير من جهة ثانية يؤدي إلى وقوع حالة نزف في الجسم الإسلامي ونشوء حالة هدم في كيانه، لأن التكفير يؤدي إلى نزع الغطاء الأمني الذي يوفره الإسلام لأبنائه، في قوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[3] فمن كفر المسلم فإنه يستبيح فيه هذه الحرمات.

ومن هنا تعظم خطورة انتشار ظاهرة التكفير في الأمة، لأنها تفكك المجتمع، وتنشر فيه الفوضى، مما يهدد بانهياره لصالح أعدائه.

ثانياً: ـ المكفرات: ـ

يدخل المرء في الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، لحديث معاذ بن جبل الصحيح الذي قال فيه النبي ﷺ حين أرسله إلى اليمن قاضياً

---

(١) انظر الموافقات للشاطبي ح ٢ ص ٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن ابن عمر مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٤٦٣ كتاب الأدب. باب الترهيب من قوله لمسلم: يا كافر. رقم الحديث ١.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٣٣. كتاب البر والصلة. باب: المسلم أخو المسلم. رقم الحديث ١٧٧٥.

وداعيا: «ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ـ أي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في رواية أخرى ـ فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...»[١].

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، والعبادة هي الطاعة المطلقة التي لا يرافقها تردد أو تشكك أو توقف، ولا يصح ذلك إلا لله تعالى، وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، الإقرار بأنه المبلغ عن الله تعالى أوامره ونواهيه، فهو وحده الذي له حق البلاغ والبيان بالقول والفعل والتقرير: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، وبمقتضى الشهادتين يلزم طرح كل أمر ونهي يتعارض مع أمر الله تعالى ونهيه الذي بلغه رسول الله ﷺ. ويخرج المرء من الدين إذا أتى بما ينقض هاتين الشهادتين من الأمور الآتية: ـ

أولها: ـ استحلال الحرام أو تحريم الحلال: ـ

لأن استحلال الحرام أو تحريم الحلال يعني ردّ حكم الله تعالى وبيان رسوله ﷺ له، وقد قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾[٣]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤]، وعندما دخل عدي بن حاتم على النبي ﷺ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[٥]، «قال: والله يا رسول الله ﷺ ما عبدناهم، فقال ﷺ: ألم يحلوا لكم الحرام فتحلوه؟ قال: بلى، قال: ألم يحرموا عليكم الحلال فتحرموه؟ قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم»[٦].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن ابن عباس مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٣٧٥ كتاب الزكاة. رقم الحديث ٢٦٧١.

(٢) النحل آية ٤٤.

(٣) يوسف آية ٤٠.

(٤) المائدة آية ٥٠.

(٥) التوبة آية ٣١.

(٦) رواه أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم. انظر تفسير ابن كثير ح ٢ ص ٣٤٨.

فمن استحل الحرام أو حرم الحلال استجابة لغير الله تعالى فقد عبد غير الله تعالى، وقد قال تعالى على جهة الاستنكار: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[2].

ومحل هذا الحكم: ما إذا كان فاعل ذلك عالماً بالحكم الشرعي وقال بخلافه مستحلاً، وإلا فلا لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[3].

ثانيها: ـ إنكار معلوم من الدين بالضرورة: ـ

وهو الشيء الذي ينتشر معرفة حكمه بين المسلمين كافة، كأركان الإيمان الستة وأركان الإسلام الخمسة الواردة في حديث جبريل عليه السلام وكالأخلاق الكريمة التي قال فيها النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[4]، وكأصول المنهيات كما ورد في الحديث: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله ﷺ؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[5]، وما في معناها من المنهيات المشهورة فإن من أنكرها أو بعضها يكون قد ارتد عن دين الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[7]، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[8].

---

(١) الشورى آية ٢١.
(٢) النحل آية ١١٦.
(٣) الأنعام آية ١٩.
(٤) رواه مالك في الموطأ بلاغاً. قال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٢٤٤. رقم الحديث ٦٣٨.
(٥) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر ح ١ ص ٤٩ رقم الحديث ١٠٨.
(٦) النور آية ٦٣.
(٧) النساء آية ٦٤.
(٨) النور آية ٥٤.

ومحل ذلك: ما لم يكن منكرها غير عالم بحكمها الشرعي، لكونه أسلم حديثاً أو عاش في بيئة ينتشر فيها الجهل.

ثالثاً: ـ سب الله تعالى أو رسوله ﷺ أو الدين: ـ

لما يتضمن السب من التحقير لما عظم الله تعالى وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] وفي الحديث: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: وكيف يلعن الرجل والديه يا رسول الله ﷺ؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»[2]، فإذا كان هذا في حق الأبوين فإ يجوز سبها ولا التسبب في سبّها، فمن باب أولى في حق الله تعالى ورسوله ﷺ ودينه.

ومحل ذلك: ما لم يكن الساب مكرهاً أو مغلقاً في غضبه أو في فرحه:

أما الإكراه: فإن قريشاً عذبت عمار بن ياسر في جملة من عذبتهم من المسلمين في مكة، حتى أوشك على الهلاك مرات عديدة وقالوا له: لا نكف عنك حتى تسب محمداً ﷺ ففعل، فجاء إلى النبي ﷺ وشكا إليه ذلك، فقال له: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، قال: إن عادوا فعد[3]. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾[4] وفي الحديث: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[5].

وأما الغلاق: فقد قال ﷺ: «لا طلاق في غلاق»[6]، والغلاق حالة يشتد فيها الغضب في المرء حتى يغلق فيها عليه فلا يدري ما يقول.

---

(١) الأنعام آية ١٠٨.

(٢) رواه البخاري عن إبن عمر مرفوعاً. انظر صحيح البخاري ح ٨ ص ٣ كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه.

(٣) انظر تفسير القرطبي ح ١٠ ص ١٨٠ المسألة الثانية.

(٤) النحل آية ١٠٦.

(٥) رواه إبن ماجه وإبن حبان عن أبي عباس مرفوعاً. ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٥٢٢. رقم الحديث ١٣٩٣.

(٦) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن عائشة مرفوعاً بلفظ (لا طلاق ولا عتاق في إغلاق) انظر كشف الخفاء ص ٥١٠ رقم الحديث ٣٠٧٧.

وآما الغلاق في الفرح: فقد قال ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم كانت له ناقة عليها طعامه وشرابه فندت ـ شردت ـ منه في فلاة فلما أيس منها أوى إلى شجرة ليموت، فبينما هو كذلك إذ هي قائمة فوق رأسه فأخذ بخطامها وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك»[1]. أخطأ من شدة الفرح.

رابعاً ـ الاستهزاء بشيء من شعائر الله تعالى: ـ

كالصلاة وما فيها من ركوع وسجود، وكالصيام وما فيه من إمساك عن الطعام وإفطار عليه، وكالحج وما فيه من طواف وسعى ووقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة ونحر ورمى للجمار بمنى وكذلك الأذان ونحو ذلك، فمن استهزأ بشيء من الأحكام العقائدية والتشريعية العملية مع العلم بمشروعيتها فإنه يكون قد ارتد عن دين الله تعالى الذي قال: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٦٦﴾[2].

والحكم بالردة وتنفيذ حدها وهو القتل لقوله ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه)[3] إنما يعود للحاكم الذي يولي القضاة للنظر في تحقق ذلك، حتى لا تدب الفوضى فيحكم الناس بعضهم على بعض بالردة، ويقتل بعضهم بعضاً بحجة إقامة الحد، فتقع الفتنة في المجتمع ويضطرب حبل الأمن فيه ويصطاد المغرضون في الماء العكر.

---

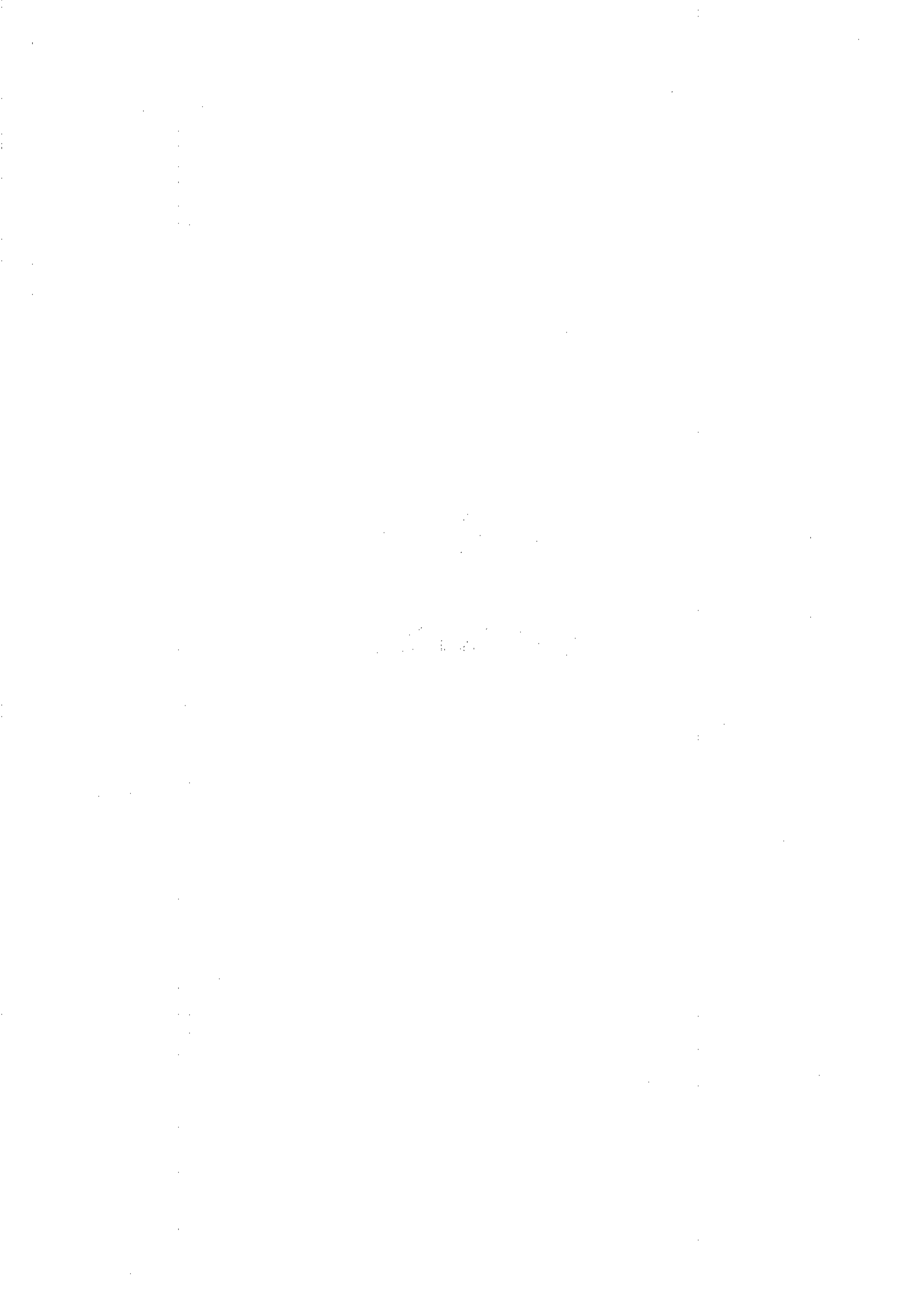
(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس مرفوعاً بألفاظ متقاربة وكذا عن الحارث بن سويد. انظر جمع الفوائد ج ٢ ص ٧٠٥. كتاب التوبة رقم الحديث ٩٧٤٤ ـ ٩٨٤٥.

(٢) التوبة آية ٦٥.

(٣) رواه البخاري ج ٩ ص ١٩ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب حكم المرتد والمرتدة.

القسم الثاني

في التمارين



تمارين الدرس الأول:

تصحيح النية

١ـ ما هي النية وما أثرها في العمل؟

الجواب: النية هي القصد المؤكد، وهي التي بها يتوجه البدن نحو تنفيذ مضمون هذه النية، والنية محلها القلب، وهذه النية يراعيها الشرع ويعتبرها أساساً للعمل، فقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، ويقول أيضاً ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

والنبي ﷺ يبين لنا أهمية النية وتأثيرها في السلوك والعمل فيقول ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، فتعجب الصحابة من ذلك، فقالوا: يا رسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)، فمن حيث الظاهر هناك ظالم ومظلوم، لكن ما في القلب من النية متفق بينهما فكلاهما ظالم، لذلك حاسبهم الله تعالى على هذه النية، وفي الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، قالت عائشة: يا رسول الله يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس منهم؟ فقال: يا عائشة: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»، رواه مسلم.

إذن النية لها شأن في دين الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1]، فكل عمل من أعمال العبادات يحتاج إلى نية، ويجب أن تكون هذه النية خالصة لله تعالى دون شريك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن

(١) البينة آية ٥.

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»، والنية تفرق بين العادة والعبادة، فالذي يتزوج بقصد أن يعفّ نفسه عن الحرام يؤجر عليه ويصبح زواجه عبادة، والذي يتعلم العلم الشرعي لوجه الله تعالى، ليعمل به ويدعو به إلى الله تعالى ويخلص نيته لله تعالى يأجره الله تعالى عليه، كما قال النبي ﷺ: «من يرد به الله خيراً يفقهه في الدين».

---

(١) النساء آية ٤٨.

تمارين الدرس الثاني:

العقيدة: تعريفها وطرق الإدراك فيها

١ـ عرف العقيدة لغة واصطلاحاً وما العلاقة بين التعريفين.

الجواب: العقيدة لغة: على وزن فعيلة بمعنى مفعولة، كقتيلة بمعنى مقتولة والعقد هو الجمع بين طرفي الحبل.

وفي الاصطلاح: هي مجموعة قضايا غيبية مجزوم بها جاءت عن طريق الخبر الثابت، وتعرف أيضاً بأنها: الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشىء عن دليل.

والعلاقة بين التعريفين هي أن القضايا العقائدية ينعقد عليها القلب، فلا تقبل الحل بعد ذلك لا بالشك ولا بالتردد، كالحال في عقدة الحبل. فهي أقوى محل فيه.

٢ـ محور الدين الإسلامي حديث جبريل عليه السلام فما هو؟

حديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وقال: يا محمد ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، قال: صدقت، قال: يا محمد ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: صدقت، قال: يا محمد متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فما أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء

الشاة يتطاولون في البنيان، ثم خرج، فقال النبي ﷺ عليّ بالسائل، فخرجوا يطلبونه فلم يجدوه فقال ﷺ: أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم»، رواه مسلم.

٣ـ ما هي أركان الدين، والإسلام، والإيمان، و ما هو الإحسان؟

الجواب: أركان الدين: هي الإسلام والإيمان والإحسان، وأركان الإسلام: هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً، وأركان الإيمان: هي أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى. والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو الإخلاص في العبادة لله تعالى وحده. سواء في أعمال القلب التي هي الإيمان أو الجوارح التي هي الإسلام.

٤ـ لماذا كان الدين الإسلامي أولى بالاعتبار من اجتهادات البشر؟

الجواب: زود الله تعالى الإنسان بوسائل الإدراك التي يتعرف من خلالها على ما حوله من حقائق وتسمى الحواس الخمس، وأما ما لا يقع تحت الحواس من الحقائق الغيبية فطريق معرفته الخبر الصادق وهو الصادر عن الله تعالى، ولذلك أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه لهذا الإنسان حتى لا يقع في الخطأ في التصوّر والتصرف، لأن الله تعالى هو الذي خلق هذا الإنسان وبالتالي فهو أعلم بما ينفعه وما يضرّه كما قال تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)، إذن فالدين الإلهي أولى بالاعتبار من اجتهادات البشر.

٥ـ ما الفرق بين الإيمان والإسلام، وما أثر كلٍ ومعناه مع الدليل.

الجواب: الإيمان والإسلام لفظان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا بمعنى أنه إذا اجتمع لفظ الإيمان مع الإسلام في سياق واحد كان لكل منهما معنى خاص، فيكون الإيمان مقصوداً به ما يتعلق بأعمال القلب وهو التصديق بكل ما جاء به النبي ﷺ عن الله تعالى من أحكام وأخبار، ويكون الإسلام مقصوداً به ما يتعلق بأعمال الجوارح وهو التطبيق العملي للأحكام التشريعية.

والدليل على التفريق بينهما: قوله تعالى ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾[1].

وإذا افترق لفظ الإيمان عن الإسلام كان لهما معنى واحد فيطلق أحدهما على الآخر، لأنه لازم له، فإن الإسلام انعكاس للإيمان لأنه متى حصل الإيمان في القلب حصلت الاستقامة في الجوارح، فقد قال ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).

والإيمان يحفظ النفس البشرية من الاضطراب والضياع، كما يهيئها لتلقي مختلف التغيرات والتقلبات المادية والمعنوية التي تتعرض لها، ويمنعها من الوقوع باليأس تحت ضغط هذه التقلبات، لتواصل مسيرتها الإيمانية، حتى تستوفي أجلها.

ودليل مشروعيته: حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال ﷺ (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره).

وأما الإسلام فهو الاستسلام التام والخضوع الكامل لله تعالى بانقياد الجوارح والبدن لله تعالى، ليقوم بتطبيق وتنفيذ جميع ما يأمر الله تعالى بفعله وترك جميع ما ينهى عنه من الأقوال والأفعال.

ودليل مشروعيته: حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام، قال ﷺ: (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً) ويدخل فيه كل ما عدا ذلك من التشريعات الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

٦ـ ما هي أهمية دراسة العقيدة الإسلامية في حياة المسلم؟

الجواب: العقيدة تبحث في القضايا الغيبية وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والإنسان زوده الله تعالى بوسائل الإدراك التي يتعرف من خلالها على ما حوله من حقائق وهي الحواس

---

(١) الحجرات آية ١٤.

الخمس، وهذه الحواس في حقيقتها ناقصة لأنها محدودة، وهناك مخلوقات معنا لا ندركها ولا نحس بها لقصور هذه الحواس عن إدراك كل شيء من حولنا، وما فوق إدراك هذه الحواس الخمس يكون غيباً وتكون معرفته بالخبر الصادق وهو من عند الله تعالى.

إذن أهمية دراسة العقيدة الإسلامية في حياة المسلم أنها تقوده إلى معرفة هذه القضايا الغيبية، وهي أركان الإيمان التي ورد الخبر الصادق بها من الله تعالى على وجه الحقيقة، وبالتالي تصبح هذه القضايا الغيبية ثابتة ومسلم بها ولا تقبل الشك ولا تقبل الرد. ويكون لها أثرها في حياته العملية.

٧ـ هل يجب الاستدلال على وجود الله تعالى، ولماذا، وما أقوال أهل العلم في ذلك، وما هو محل الخلاف والوفاق، مع بيان أدلة كل واحد منها؟ وما هو طريق إثبات وجود الله تعالى.

الجواب: اختلف العلماء في هذه المسألة على رأيين: **الأول**: ـ لا يجب الاستدلال على وجود الله تعالى، ويقول به جمهور المحدثين وكثير من الفقهاء، ودليلهم أن الإيمان بالله تعالى فطري مركوز في النفس البشرية، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾(١)، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾(٢)، وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونون أنتم تجدعونها». **الثاني**: ـ يقول يجب الاستدلال على وجود الله تعالى، ولكن اختلف القائلون به في زمن الاستدلال على رأيين: ـ **أحدهما**: ـ يجب الاستدلال على وجود الله تعالى عند سن التمييز وهو سن السابعة، وبه يقول الإمام الطبري، لأن سن التمييز أول مراحل الإدراك والفهم، فيجب أن يكون أول ما يدركه ويفهمه الولد هو وجود الله تعالى عن طريق الولي وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة» ويقول المثل: [العلم في الصغر كالنقش في الحجر]

---

(١) الأعراف آية ١٧٢.
(٢) الروم آية ٣٠.

وثانيهما: ـ يجب الاستدلال على وجود الله تعالى عند سن البلوغ وهو قول الأشاعرة لأن البلوغ أول مراحل التكليف لقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث: عن الصبى حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق»، وما قبل ذلك ليس عليه إثم ولا يجري عليه القلم.

ومحل هذا الخلاف: هو ما لم يكن عند المرء شك في هذه القضية وإلا فيجب بلا خلاف وذلك تحصيناً للإيمان من سهام الشك والتشكيك.

وفي أيامنا هذه التي نعيشها يجب الاستدلال على وجود الله تعالى، لأنه كثر الهجوم على العقيدة الإسلامية بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية وخاصة عندما ظهرت الشيوعية، التي تقول: لا إله والحياة مادة، وهذا فكر إلحادي، وقد دخل الشيوعيون على العالم العربي والإسلامي وراحوا يعرضون على المسلمين ما عندهم من مبادىء حتى شككوا الكثير من المسلمين بدينهم لأنه لا حصانة لديهم.

وإثبات وجود الله تعالى يعتمد على طريقتين: طريق الفطرة وطريق العقل.

٨ـ الطريق الثاني في إثبات وجود الله تعالى طريق العقل، فما معنى العقل لغة واصطلاحاً، وكيف يكون العقل دليلاً على إثبات وجود الله تعالى مع ذكر الدليل النقلي والعقلي لما تقول؟

الجواب: العقل لغة: ـ مصدر مشتق من الفعل عقل الشيء يعقله عقلاً إذا ضبطه وربطه.

اصطلاحاً: ـ هو الجزء الذي تتم به المعرفة وتحليل المعلومات الواردة إليه ومحله الدماغ، وقيل القلب، وقيل بينهما صلة وعلاقة وهذا أقرب الأقوال إلى الصواب.

والعقل قدر مشترك بين جميع البشر إلا أنهم يتفاوتون فيه بحسب خبرة وعلم كل منهم، ويمكن حصر الأدلة العقلية على وجود الله تعالى بخمسة أدلة وهي: دليل الإلزام، دليل الإمكان، دليل التغير، دليل السببية ودليل الإتقان.

وهذه الأدلة تدل على وجود خالق لهذا الكون من جهة وتدل على أنه واحد

من جهة أخرى إذ لو تعدد الأرباب لأدى ذلك إلى تضارب إرادتهم وتعارضها، مما يوجد ظاهرة الاضطراب والفساد في الكون، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]، وقال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]، ومن هنا كان الإيمان بوجود الله تعالى مغروزاً في النفس البشرية بحكم الفطرة وبحكم العقل على حد سواء لكن طرأ على الإيمان الفطري ما شوّهه وأفسد حقيقته، وجاء الشرع ليذكر بهذه الحقيقة تذكيراً وليس تعليماً كما بين الله تعالى جواب المشركين لدى سؤالهم عن خلق السموات والأرض والشمس والقمر ومن خلق البشر حيث كان جوابهم إنه الله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[3]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾[4].

٩ـ تنقسم الأحكام إلى عادية وعقلية فما معنى كل وما مستند هذا التقسيم؟

الجواب: الأحكام العادية سميت أحكاماً عادية لأن مردّ الحكم فيها إلى العادة يعني إلى المشاهدة، وهي ما اعتاد الناس رؤيته ومشاهدته فإنه يسمى حكماً عادياً، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: ممكن عادي وواجب عادي ومستحيل عادي.

والأحكام العقلية سميت بذلك لأن مردّ الحكم فيها إلى العقل، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: ممكن عقلاً وواجب عقلاً ومستحيل عقلاً.

ومستند هذا التقسيم: التتبع والاستقراء حيث تبين به أن الأحكام بصورة عامة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أحكام عادية لأن مردها إلى العادة، أحكام عقلية لأن مردها إلى العقل، أحكام شرعية لأن مردها إلى الوحي.

١٠ـ تنقسم الأحكام العادية إلى ثلاثة أنواع ممكن وواجب ومستحيل فما معنى كل مع التمثيل؟

---

(١) الأنبياء آية ٢٢.

(٢) المؤمنون آية ٩١.

(٣) العنكبوت آية ٦١.

(٤) الزخرف آية ٨٧.

الجواب: الممكن العادي هو ما اعتاد الناس رؤيته ومشاهدته مثل البرد في الشتاء، يكون الشتاء بارداً في العادة لكن يمكن أن يكون الشتاء ولا يكون مصحوباً بالبرد. الواجب العادي مثل الجاذبية، إذا أخذت ورقة وقذفتها في الهواء تهوي إلى الأرض عادة، والنبات ينبت الساق والأوراق فيه عادة فوق الأرض والجذور تحت سطح الأرض.

المستحيل العادي مثل برودة النار وحرارة الثلج وعودة الحياة إلى شيء من الأحياء بعد مفارقتها لأبدانها.

١١ـ تنقسم الأحكام العقلية إلى ثلاثة أنواع ممكن وواجب ومستحيل فما معنى كل مع التمثيل؟

الجواب: الممكن العقلي هو ما يقبل العقل وجوده وعدمه، مثال ذلك: أن تعود الروح إلى البدن بعد مفارقته، وممكن عقلاً أن يطوف الإنسان حول العالم بومضة بصر. لكن إذا وجدت القوة التي تمكنه من ذلك.

الواجب العقلي: هو ما لا يقبل العقل عدمه، مثل: وجود خالق لهذا الكون، لا يقبل العقل عدمه، لأن العقل يقول: لا بد لكل حادث من محدث.

المستحيل العقلي: هو ما لا يقبل العقل وجوده، مثل: الجزء أكبر من الكل، إجتماع النقيضين كقولنا: زيد هو حي ميت.

١٢ـ الأحكام الشرعية تحت أي قسم يمكن تصنيفها من الأحكام العادية والعقلية وما الدليل؟

الجواب: الأحكام الشرعية هي من الممكنات العقلية والمستحيلات العادية، لأن الأحكام الشرعية لا يستطيع الإنسان ولا الجان أن يأتي بمثلها يقول الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[١].

(١) الإسراء آية ٨٨.

١٣ـ ما هي الطرق الموصلة للمعتقدات إلى القلوب؟

الجواب: هناك ثلاثة طرق موصلة للمعتقدات إلى القلوب وهي: طريق منطقي سليم يسلك بصاحبه مسلك اليقين، طريق منطقي مقبول يسلك بصاحبه مسلك الظن، وطريق مرفوض يسلك بصاحبه مسلك الشك والوهم.

١٤ـ للطريق المنطقي السليم الموصل للمعتقدات أربع شعب فما هي وما أثر ذلك على السلوك؟

الجواب: الشعبة الأولى إدراك حسي فعلم يقيني فاعتقاد راسخ.

الشعبة الثانية إستنتاج حسي فعلم يقيني فاعتقاد راسخ.

الشعبة الثالثة الخبر الصادق فالعلم اليقيني فالاعتقاد الراسخ.

الشعبة الرابعة الإضاءة الفطرية فعلم يقيني فاعتقاد راسخ.

ويجب أن يكون السلوك متناسباً مع مقتضى الاعتقاد الراسخ في كل ذلك.

١٥ـ للطريق المنطقي المقبول الموصل للمعتقدات أربع شعب فما هي وما أثر ذلك على السلوك؟

الجواب: الشعبة الأولى إدراك حسي فعلم غالب فاعتقاد راجح.

الشعبة الثانية إستنتاج حسي فعلم غالب فاعتقاد راجح.

الشعبة الثالثة الخبر الصادق فعلم غالب فاعتقاد راجح.

الشعبة الرابعة الإضاءة الفطرية فعلم غالب فاعتقاد راجح.

ويجب أن يكون السلوك متناسباً مع مقتضى الاعتقاد الراجح من كل ذلك.

١٦ـ للطريق المرفوض الموصل للمعتقدات أربع شعب فما هي وما أثر ذلك على السلوك؟

الجواب: الشعبة الأولى إدراك حسي فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الثانية إستنتاج حسي فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الثالثة الخبر الخاطىء فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الرابعة الإضاءة الفطرية الخاطئة فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

ويجب أن يكون السلوك متناسباً مع مقتضى هذا العلم الخاطىء في كل ذلك.

١٧ـ من القواعد العقلية المسلَّم بها لدى جميع البشر قاعدة تقول: الدور باطل، فما معناه مع التمثيل؟

الجواب: الدور هو توقف وجود الشيء على وجوده نفسه، مثاله: لن تدخل الجنة حتى تؤمن ولن تؤمن حتى تدخل الجنة.

١٨ـ من القواعد العقلية المسلَّم بها لدى جميع البشر قاعدة تقول: التسلسل باطل، فما معناه مع التمثيل؟

الجواب: التسلسل: هو توقف حصول الشيء على حصول غيره إلى ما لا نهاية، فهو عبارة عن حلقات متصلة ببعضها البعض، إلى ما لا نهاية فهذا باطل، مثاله: العنصر البشري يأتي على جهة التسلسل: الإبن ـ الأب ـ الجد ـ أبو الجد جد الجد. . . حتى تصل إلى آدم عليه السلام، وما يقال عن البشر يقال عن غيرهم من المخلوقات. فلا بدّ من الوصول بها إلى نهاية. ولا يمكن تصور غير ذلك.

١٩ـ من القواعد المسلَّم بها لدى البشر: النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، فما معناه مع التمثيل؟

الجواب: النقيضان أي المتعاكسان، لا يجتمعان ولا يرتفعان إذا وجد أحدهما انتفى الآخر، مثل الطول والقصر، مثاله: زيد حي ميت أو: لا هو حي ولا هو ميت.

٢٠ـ من القواعد المسلَّم بها لدى البشر: لا ترجيح بلا مرجح، فما معناه مع التمثيل؟

الجواب: لا ترجيح بلا مرجح، أي لا تقديم لشيء على غيره بدون مؤثر، فإذا تكافأ أمران وتساويا وتماثلا فلا يمكن أن ترجح أحدهما على الآخر إلا بموجب وسبب، كالحال في الميزان عندما يكون سليماً، تجد الكفتين متساويتين

فلا تثقل إحداهما على الأخرى إلا بما يوضع فيها، وإذا ترجحت إحداهما على الآخرى بلا موجب دل ذلك على أن الميزان غير سليم.

٢٠ـ من القواعد المسلّم بها لدى البشر: لا بد لكل حادث من محدث، فما معناه مع التمثيل؟

الجواب: معناه: لا بد لكل فعل من فاعل أي لا يمكن أن يوجد فعل في هذه الحياة إلا وله فاعل، فإن الطفل الصغير عندما تضربه بدون أن يراك يلتفت ليعرف الذي ضربه، لأنه يدرك بفطرته أنه لا بدّ لهذا الضرب من ضارب.

٢٢ـ من القواعد المسلّم بها لدى البشر: لا بد لكل حادث من بداية ونهاية، فما معناه مع التمثيل؟

الجواب: معناه: لا بدّ له من وقت ظهر فيه إلى الوجود ولا بدّ له من وقت ينتهي فيه من الوجود، وكونه له بداية يعني أنه مسبوق بالعدم، وما دام له بداية فلا بدّ له من نهاية ينتهي إليها.

٢٣ـ من القواعد المسلّم بها لدى البشر: الخبر المتواتر يفيد العلم اليقيني، فما معناه مع التمثيل؟

الجواب: الخبر المتواتر هو ما نقله جمع عن جمع تحيل العادة تواطئهم على الكذب ويكون منتهاه الحس، مثاله: أن يأتي رجل ويقول: في المكان الفلاني رأيت حادثاً مات فيه عشرة أشخاص وبعد قليل يأتي آخر ويقول نفس الكلام السابق، ثم ثالث ورابع وخامس، وآخرون فإن ذلك يوجب تصديق خبرهم، لأن الجمع الكثير تحيل العادة تواطئهم على الكذب.

٢٤ـ ما هي موانع التسليم بمقتضى القواعد العقلية العامة مع التمثيل؟

الجواب: هناك أناس يخرجون عن مقتضى هذه القواعد العقلية العامة وذلك لأربعة أسباب هي: إتباع الهوى، التقليد، التعصب، واتباع الشهوات، وهذه الأسباب إذا وجدت مجتمعة، أو منفردة فإنها تجعل هذه القواعد العقلية المسلّم بها مختلفاً عليها.

تمارين الدرس الثالث:

توحيد الربوبية: الأدلة العقلية

١ـ للتوحيد أهميته في الدنيا وفي الآخرة، فما هو أثره في كل مع الدليل.

الجواب: أما أثر التوحيد في الدنيا فيظهر على الفرد والمجتمع والبيئة.

فأثر التوحيد على الفرد: أنه يورثه الأمن والطمأنينة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(١).

وأثر التوحيد على المجتمع: أنه يوحد جهة التلقي في الناس فيه، فلا يقع بينهم تنازع أو تصارع مهما كثرت أفرادهم وجماعاتهم، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾(٢).

وأثر التوحيد على البيئة: أنه متى وجد التوحيد في الناس فإنه يتحقق به الإنسجام بين كلمة الله تعالى الكونية وكلمته الشرعية فيهم، فيكون العطاء الرباني، ومتى فقد التوحيد في الناس تخلفت فيهم كلمة الله تعالى الشرعية فيقع التصادم بين الكون وسلوك الإنسان فينشأ عن ذلك التصادم خراب الكون، وهو ما سيكون عليه حال الناس عند قيام الساعة (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله) وفي رواية (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق).

فكلمة الله تعالى الشرعية للكون بمنزلة الروح للبدن، متى فارقته فسد الكون وتهدم، كما يتفسّخ الجثة بعد خروج الروح منه ويتحلل.

٢ـ ما معنى التوحيد لغة واصطلاحاً، وما هي أنواعه الثلاثة مع تعريف كل نوع، ولماذا جرى تقسيمه إلى ثلاثة الأنواع هذه.

الجواب: التوحيد: تفعيل من الوحدة، وهي جعل الشيء واحداً.

---

(١) الأنعام آية ٨٢.

(٢) الزمر آية ٢٩.

واصطلاحاً: اعتقاد أن الله تعالى واحد في ذاته وفعله وصفاته. لا يشبهه فيها أحد من خلقه.

أنواعه ثلاثة: توحيد الربوبية ومعناه: تفريد الله تعالى في الخلق والإيجاد. وتوحيد الألوهية. ومعناه: تفريد الله تعالى في الأمر والنهي. وتوحيد الأسماء والصفات، معناه: تفريد الله تعالى في صفات الكمال إثباتاً ونفياً.

وجرى تقسيمه إلى الأنواع الثلاثة: ليكون ذلك أسهل على الدارس، كتقسيم الفقه إلى عبادات ومعاملات وجنايات وأحوال شخصية، مع أن أحكامها كلها عبادة لله تعالى.

٣ـ لإثبات وجود الله تعالى ووحدانيته من الناحية العقلية خمسة أدلة، فما هي؟

الجواب: الأدلة الخمسة هي: دليل الإلزام العقلي، ودليل الإمكان العقلي، ودليل التغيّر، ودليل السببية، ودليل الإتقان.

٤ـ من الأدلة العقلية في توحيد الربوبية: دليل الإلزام، فما معناه وكيف يكون دليلاً على ذلك.

الجواب: دليل الإلزام، يعتمد على القاعدة العقلية القائلة: النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، إذا ثبت أحدهما انتفى الآخر. كالوجود والعدم.

ويكون دليلاً على توحيد الربوبية بأن نفرض أن الأصل في ذات ما يخطر في البال ـ خالق ومخلوق ـ هو العدم، ثم نقول: لكن العدم حالة سلبية، لا تؤثر في غيرها إيجاداً أو إعداماً، ونحن نرى في هذا الكون كل شيء محكماً ومتقناً فكيف تحولت هذه الأشياء من العدم إلى الوجود. والقاعدة تقول: لا بدّ لكل حادث من محدث، فبطل أن يكون العدم هو الأصل، وثبت نقيضه وهو أن الأصل هو الوجود، وهو الله تعالى، ثم نشأ عنه هذا الكون.

٥ـ من الأدلة العقلية على توحيد الربوبية: دليل الإمكان، فكيف يكون دليلاً على ذلك مع التمثيل؟

الجواب: دليل الإمكان العقلي، المقصود به إيراد احتمالات عديدة عقلية على الحال القائمة ثم التساؤل لماذا خص هذا الاحتمال القائم منها دون غيره، وسيكون الجواب: لأن الحكمة اقتضت ذلك، ونقول: الحكمة صفة تحتاج إلى موصوف تقوم به وهو الله تعالى.

مثاله أن يقال: لماذا كان عالم الفلك مكوناً من نجوم وكواكب، مع أنه كان يمكن عقلاً أن يكون كله نجوماً، أو يكون كله كواكب. وهكذا يقال في غيره.

٦ـ من الأدلة العقلية على توحيد الربوبية: دليل التغير، فما معناه وكيف يكون دليلاً على ذلك؟

الجواب: التغير هو التحول من حال إلى آخر، وأحياناً يكون مرئياً كانتقال الأشياء والأشخاص، وأحياناً يكون غير مرئي، كدوران الاليكترونات في الذرة حول النيوترون فيها، وكتفاعل السيتوبلازم داخل الخلية الحية.

ويكون ذلك دليلاً على وجود الله تعالى لأن حاجة المخلوقات إلى التغير دليل نقص فيها، فهي محتاجة إلى غيرها الذي لا يحتاج إلى غيره وهو الله تعالى حتى لا يؤدي ذلك إلى الدور والتسلسل وهو باطل. ولذلك قيل: العالم متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث.

٧ـ من الأدلة العقلية على توحيد الربوبية: دليل السببية، فما معناه وكيف يكون دليلاً على ذلك؟

الجواب: السبب هو الشيء الموصل إلى غيره، كالحبل سبب لوصول الدلو إلى البئر للحصول على الماء، والكون يتألف من عوالم لا حصر لها وهي مرتبطة بعضها ببعض وتنتهي إلى من لا يحتاج إلى غيره، لئلا يؤدي ذلك إلى الدور والتسلسل وهو باطل، فعالم الفلك مرتبط في توفير الحياة والحركة فيه للنبات والحيوان والإنسان بعالم السموات المرتبط بعالم الكرسي المرتبط بعالم العرش المرتبط بخالق الكون.

تمارين الدرس الرابع:

دليل الإتقان

١ـ من الأدلة العقلية على توحيد الربوبية: دليل الإتقان، فما معناه، وكيف يكون دليلاً على ذلك.

الجواب: الإتقان مصدر مشتق من الفعل الرباعي أتقن يتقن إتقاناً إذا أحكم الشيء وجاء به على وجه الكمال والتمام.

ويكون الإتقان دليلاً على وحدانية الله تعالى في الخلق من جهة أنه لو لم يكن ثمة خالق لاستحال وجود هذا الكون، لأن العقل يوجب أنه لا بد لكل حادث من محدث، ولو كان ثمة خالق آخر معه لما استقام حال الكون على ما هو عليه من الانسجام التام بين كل عوالمه على الإطلاق، لأن وجود أكثر من إله يفضي إلى تنازع الآلهة لينفذ الأقوى منها إرادته على سواه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[2] ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[3].

٢ـ من مظاهر الإتقان في الكون: التطابق القائم بين أصغر وحداته وهي الذرة وأكبر وحداته في عالم الفلك، فكيف يكون ذلك دليلاً عليه.

الجواب: تتركب الذرة من فضاء ذري ونواة في وسطه يسمى نيوترون، وتدور حوله اليكترونات بسرعات هائلة بعكس عقارب الساعة، ينشأ عن ذلك فيها قوة تماسك وترابط، ويتداخل فضاء الذرات وتتشابك الاليكترونات في دورانها دون أن تتصادم فتنشد الذرات بعضها إلى بعض ليتألف منها عناصر مختلفة.

وهذا النظام في الذرة يتطابق مع نظام عالم الفلك، فإن للفلك فضاء فلكياً

---

(١) الأنبياء آية ٢٢.

(٢) الإسراء آية ٤٢.

(٣) المؤمنون آية ٩١.

يشتمل على أعداد لا حصر لها من النجوم والكواكب، وهي موزعة على مجموعات فلكية تدور كل مجموعة منها حول محورها بسرعات هائلة ومتفاوتة بعكس عقارب الساعة، فتنشد المجموعة بعضها إلى بعض، وتتداخل هذه المجموعات في أفرادها دون أن تتصادم وينشأ عن هذا التداخل قوة التجاذب والتماسك في عالم الفلك. حتى يصبح عالم الفلك وكأنه ذرة كبرى.

إن هذا التطابق بين أصغر الوحدات في عالم الجماد وأكبر الوحدات في عالم الفلك يدل على وحدة مصدر وجوده وهو الله تعالى.

٣ـ من مظاهر الإتقان في الكون: المجموعة الشمسية، فكيف يكون ذلك دليلاً عليه.

الجواب: المجموعة الشمسية تتألف من الشمس وتتبعها تسعة كواكب هي: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانس وبلوتو، والشمس هي أكبرها وهي مصدر الحرارة والطاقة لجميعها، وتتفاوت هذه الكواكب في أحجامها كما تتفاوت في أبعادها وفي سرعاتها، وينشأ عن هذه الأحجام وتلك السرعات والأبعاد عنصر الاستقرار على ظهر الأرض والحياة فيها، فلو اختل شيء من ذلك، لأدى إلى فقدان الحياة على الأرض.

٤ـ من مظاهر الإتقان في الكون: الكرة الأرضية، فكيف يكون ذلك دليلاً عليه.

الجواب: الأرض واحد من الأجرام التابعة للمجموعة الشمسية في عالم الفلك وعليها تستقر حياة الإنسان والحيوان والنبات، بسبب ما هي عليه من تركيبة خاصة بها، وأبرز ذلك أنها محاطة بغلاف غازي يتألف من ستة أنواع من الغازات، أهمها: الأكسجين بنسبة ٢١ ٪ والنتروجين ٧٨ ٪ والباقي وهو ١ ٪ يتوزع على سائر هذه الغازات في الغلاف بنسب معينة، وينشأ عن هذه النسب فيها توفير أسباب الحياة على الأرض من الضغط الجوي والتنفس ونقل المياه من المحيطات إلى اليابسة عبر السحب لنمو النبات الذي هو غذاء الإنسان والحيوان.

٥ـ من مظاهر الإتقان في الكون: القشرة الأرضية، فكيف يكون ذلك دليلاً عليه.

الجواب: القشرة الأرضية هي تلك التي تحيط بمحتوى الكرة الأرضية من كل جهة، وتبلغ سماكتها خمسين كيلومتراً يستقر عليها أعداد كبيرة من الجبال بأوزانها الضخمة التي توفر عنصر التوازن في القشرة الأرضية لمنع ارتجاج الكرة الأرضية أثناء دورانها لئلا تضطرب بمن عليها ويتعذر الاستقرار لأهلها فيها، كما أن هذه القشرة تتألف من مائة وثلاثة عناصر بنسب معينة، ينشأ عن تلك النسب فيها تماسك هذه القشرة وقوتها التي تمنع ما بداخلها من غازات مضغوطة أن تتسرب إلى الخارج إلا بالقدر الذي يحتاج إليه استمرار بقائها من خلال براكين هي أشبه بصمام أمان للكرة الأرضية من الإنفجار بسبب ذلك الضغط الهائل في باطنها.

٦ـ من مظاهر الإتقان في الكون: الوحدات الأساسية الأربع في الأرض، فما هي، وما وجه الإتقان فيها حتى صارت دليلاً على وجود الله تعالى ووحدانيته.

الجواب: الوحدات الأربع هي: الجماد، النبات، الحيوان والإنسان.

أشرف هذه الوحدات الأربع هو الإنسان، لأنه يتمتع دونها بالعقل وحرية الإرادة والاختيار، ولذلك سخر الله تعالى له كل شيء في هذا الوجود، وحتى يستمر هذا الإنسان في الحياة، لا بدّ له من الحصول على أسباب الطاقة التي تمده بالحياة والحركة، وهي الغذاء، من أجل أن يستخلف به ما يتهدم من خلايا بدنه بسبب استهلاكه الناشىء عن إمداد الجسم بالطاقة، وهذا الغذاء المطلوب الحصول عليه مبثوث في الأطعمة المختلفة من النبات والحيوان.

وللحصول على هذه الأطعمة وتحويلها إلى خلايا بديلة عما استهلك منها في الجسم زوّد الله تعالى الجسم البشري بجهاز خاص لصناعتها، وهو الجهاز الهضمي، ويبدأ باليدين ثم الفم ثم المعدة، فاليدان تجمع الطعام من الحقول والأشجار وتذبح الطير والحيوان، وتهيىء ذلك للطبخ ثم توصله بالأكل إلى الفم الذي يقوم بعملية هضم الطعام وهرسه بالأضراس بعد تقطيعه بالأسنان، ويقلبه اللسان ثم يدفع به إلى أقصى الحلق لينزلق إلى المعدة، التي تقوم بافراز مادة

حمضية هاضمة تزيد في تفتيت الطعام لتحويله إلى مادة لبنية سائلة تسبح فيها الخلايا الجديدة بأنواعها الكثيرة، ثم تدفعه إلى القلب ليقوم بضخ السائل الذي يتحول إلى دم أحمر حين يصل إليه الأوكسجين هناك، فيتوزع إلى كل أنحاء الجسم عبر شبكة من الشرايين التي توصل الخلايا الجديدة إلى كل جزء وكل جهاز وكل عضو في البدن، والأوردة التي تعود بالخلايا المستهلكة ليتخلص منها الجسم عبر العرق والبول والغائط.

وهكذا تستمر هذه العملية التعويضية في البدن طيلة حياته، إلى أن يستوفي الإنسان أجله، فتتوقف هذه الأجهزة عن العمل ليتهدم كيان البدن ويتحلل إلى ما كان عليه قبل الخلق تراباً في الأرض ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[١].

إن هذا الإعداد والترابط فيما بين الأرض وقشرتها وغلافها الغازي المحيط بها والمياه التي تصل إلى الياسبة فيها على هيئة أمطار، ينمو بها النبات ويقتات عليه الحيوان والإنسان لتستمر الحياة في هذا وذاك، دون أن يكون في هذا النظام إختلال أو يقع فيه إضطراب، لدليل قاطع على وجود خالق لهذا الكون أوجده بعلمه وحكمته وقدرته، وان هذا الاتفاق دليل قاطع على أن هذا الخالق واحد لا شريك له في الخلق والإيجاد.

---

(١) طه آية ٥٥.

تمارين الدرس الخامس:

توحيد الألوهية: عوامل بناء كيان الفرد والجماعة

١ـ ما معنى توحيد الألوهية لغة واصطلاحاً وما دليل مشروعيته من الكتاب والسنة؟

الجواب: الألوهية لغة: ـ الإله هو المألوه أي المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم، والعبادة في اللغة: هي الانقياد والتذلل والخضوع.

إصطلاحاً: ـ هي تفريد الله تعالى بالعبادة أي بالطاعة المطلقة التي لا يرافقها تردد أو تشكك، أو توقف، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1]، ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[2]، وهذه الطاعة المطلقة تسمى عبادة، والعبادة لا تصرف إلا لله تعالى وحده، أما ما عدا الله تعالى فإن طاعته تكون مقيدة بما إذا لم تخالف طاعة الله تعالى كما قال ﷺ: «لا طاعة، لمخلوق في معصية الخالق». وبالتالي فإن الطاعة المقيدة لاتسمى عبادة.

٢ـ ما تعليل تفريد الله تعالى بالعبادة دون غيره مع الدليل؟

الجواب: الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وله جانبان: الأول: مادي وهو هذا الجسد، المحسوس، والجسد مصدره الأرض، لأن النطفة هي خلاصة الدماء، والدماء هي خلاصة الغذاء، والغذاء إما أن يكون نباتاً أو حيواناً، والنبات والحيوان أصله وأساسه من الأرض وبالتالي فإن الجسد إذا مرض يمكن للإنسان أن يعالجه، والجانب الثاني: معنوي وهو تلك الروح في هذا الجسد، والروح لا تُرى ولا تُحسُّ، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[3]، فلا نستطيع إدراكها ولا نعرف خواصها، وبالتالي إذا مرضت هذه الروح بالانحراف عن فطرتها

(١) الإسراء آية ٢٣.
(٢) النساء آية ٣٦.
(٣) الإسراء آية ٨٥.

فإننا لا نستطيع علاجها، وإنما يعالجها الله تعالى وحده الذي يعلم حقيقتها، وقد عالجها بالقرآن، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ولما كان الله تعالى هو الخالق لهذا الإنسان، استحق أن يكون وحده هو الآمر، لعلمه بما خلق على وجه الحقيقة والتمام، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[3]. لذلك استحق الله تعالى تفريده بالعبادة لأنه أعرف بحقيقة هذا الإنسان، فهو حين يأمر أو ينهى إنما يفعل ذلك لتحقيق مصلحة هذا الإنسان ومعالجة ما يطرأ عليه من خلل نفسي أو روحي انطلاقاً من علمه الشامل بما جُبل عليه هذا الإنسان من طبائع. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٣ـ الصراع بين الإنسان والشيطان قديم، فما هي مراحله ونتائجه، وكيف يمكن إحراز النصر فيه للإنسان مدللاً لما تقول بالنقل والعقل؟

الجواب: خلق الله تعالى الإنسان، وتعظيماً لشأنه أمر الملائكة بالسجود له، كما قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[4]، وعندما رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام طرده الله تعالى من رحمته، ثم أكرم الله تعالى آدم عليه السلام فأدخله الجنة، ونهاه عن الأكل من شجرة معينة فيها، فاستغلّ الشيطان حالة النسيان في الإنسان فعمد إلى آدم عليه السلام ووسوس إليه وأغراه فأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[5]، ولكن آدم عليه السلام تذكّر فعاد وتاب إلى الله تعالى فتاب عليه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[6]: فأهبط آدم عليه السلام وحواء وإبليس إلى الأرض كما قال تعالى:

---

(١) الإسراء آية ٨٢.
(٢) الملك آية ١٤.
(٣) الأعراف آية ٥٤.
(٤) البقرة آية ٣٤.
(٥) طه آية ١١٥.
(٦) البقرة آية ٣٧.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1]، وأصبحت هذه الأرض ميدان صراع بين آدم عليه السلام وذريته وإبليس وذريته كما قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[2]، ومن هنا وبحكم العداء بين الإنسان والشيطان، يسعى الشيطان لإيقاع بني آدم في المخالفة لتلك الشرائع ليكونوا شركاء له في عقوبته كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[3].

فطاعة الله تعالى تكون بالالتزام بهذه الشرائع لما تشتمل عليه من إغلاق أبواب الشيطان في الدخول على الإنسان، وتحفظه من الانحراف إلى طريق الخسارة في الدنيا والآخرة، فلا يجوز أن يطاع غير الله تعالى فيما يخالف هذه الشرائع.

٤ـ ما هي مهمة الشرائع السماوية مع الدليل؟

الجواب: أنزل الله تعالى الشرائع السماوية لبناء كيان الإنسان بصفته الفردية وبصفته الجماعية ليوجد بذلك المجتمع المنسجم المترابط فيما بين أفراده وجماعاته. ليضرب به الباطل في الأرض ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[4].

٤ـ كيف بنى الإسلام كيان الفرد المسلم مع الدليل؟

الجواب: بناء شخصية الفرد المسلم الداخلية يتم عبر إصلاح قلبه بأركان الإيمان وبناء شخصيته الخارجية يتم عبر إصلاح جوارحه بأركان الإسلام كما ورد في الحديث عندما سأل جبريل عليه السلام الرسول ﷺ: «يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ثم سأله ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا آله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى

(١) البقرة آية ٣٨.
(٢) الكهف آية ٥٠.
(٣) فاطر آية ٦.
(٤) التوبة آية ٣٣.

الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً».

٦ـ كيف بنى الإسلام كيان الأسرة مع الدليل؟

الجواب: شرع الإسلام أحكاماً لضبط علاقة الرجل بالمرأة، وذلك بأن يختار عند تكوين الأسرة المرأة ذات الدين كما قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»، وأمر ولّي المرأة بمثل ذلك فقال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»، والمقصود بصاحب الدين من توفر فيه أركانه وهي: الإيمان والإسلام والإحسان أي الإخلاص فيهما، وأعطى الشرع الرجال حق القوامة على النساء كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾(الرجال قوامون على النساء)[1].

وأيضاً هناك حقوق للمرأة على الرجل يجب عليه أن يراعيها، بأن يكرمها ويكسوها ويطعمها ويوفر لها المسكن المريح ولا يأمرها بمعصية أو بما فيه مشقة عليها كما قال ﷺ: (استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم» وشرع الإسلام لمعالجة ماقد يقع بينهما من خلاف أحكاماً: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ﴾[2]، وإن لم ينفع ذلك فليتدخل أهل الزوج والزوجة للبحث عن حل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ﴾[3]، وإذا لم يتم الحل فالعلاج الأخير هو الفراق: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ﴾[4].

وشرع الإسلام أحكاماً لتحديد علاقة الآباء بالأبناء فقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا

(١) النساء آية ٣٤.
(٢) النساء آية ٣٤.
(٣) النساء آية ٣٥.
(٤) النساء آية ١٣٠.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[1]، وأوجب على الوالدين الإحسان والتربية للأبناء: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾[2] وفي الحديث: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والأب راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها».

٧ـ كيف بنى الإسلام كيان الجوار مع الدليل؟

الجواب: شرع الإسلام أحكاماً لضبط العلاقة مع الجوار، وذلك بكف الأذى ومنع الظلم عنه كما قال ﷺ «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»، وأكد الإسلام على حسن الجوار حتى قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وقال تعالى موصياً بالجار: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3] واعتبر النبي ﷺ حسن الجوار من الإيمان فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»، وسئل الرسول ﷺ عن امرأة كانت كثيرة الصلاة والصيام والصدقة غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال: «هي في النار».

٨ـ كيف بنى الإسلام كيان ذوي الأرحام؟

الجواب: المقصود بذوي الأرحام ذووا القرابة من النسب لكل إنسان سواء من جهة الأب أو من جهة الأم. وقد ارتفع الشرع بهذه الصلة فأمر بمراعاتها في الإسلام إلا إذا كان النسيب مجاهراً بعدائه للإسلام ومحارباً له ولأهله فعندئذ تقدّم رابطة الدين على رابطة النسب وتقطعها، حتى قال الله تعالى مادحاً أصحاب رسول الله ﷺ حين حاربوا من حارب الله ورسوله من أهليهم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ

---

(١) الإسراء آية ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) النساء آية ١١.

(٣) النسا آية ٣٦.

أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾[1]، وفي حال عدم المحاربة من ذوي الأرحام تكون صلتهم بالإحسان إليهم بالكلمة الطيبة والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٞ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفٗاۖ﴾[2]، وحذر النبي ﷺ من قطع صلة الأرحام: «لا يدخل الجنة قاطع» يعنى قاطع رحم، لأن ذلك يؤدي إلى الفساد في الأرض حيث تظهر الأحقاد والكراهية، ومن ثم يتمكن أعداء الدين من استغلال الأقرباء ضد بعضهم البعض لتحقيق مآربهم، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ٢٢﴾[3] وقد نهى الله تعالى عن الفساد في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[4].

٩- كيف ضبط الشرع علاقة الإخوة في الدين؟

الجواب: حدد الإسلام علاقة المسلمين بعضهم مع بعض، فالإسلام رحم بين أهله في كل مكان وفي كل زمان، كما النسب رحم بين المشتركين فيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٞ﴾[5]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۚ﴾[6] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[7]، وما دام المسلمين إخوة يجب أن يتعاملوا بالمودة والاحترام وعدم التقاطع والتحاقد والتحاسد والتباغض والتدابر، كما قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، «لا تناجشوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تحاقدوا وكونوا عباد الله إخواناً»، ولا بد للجماعة من قيادة تجلب لها النفع وتدفع عنها الضرر، وفي

---

(١) المجادلة آية ٢٢.
(٢) لقمان آية ١٥.
(٣) محمد آية ٢٢.
(٤) الأعراف آية ٥٦.
(٥) الحجرات آية ١٠.
(٦) التوبة آية ٧١.
(٧) المائدة آية ٥٥.

الحديث: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، والشرع قد حرم تعددية القيادة لأنها تمزق الجسد الإسلامي وتضعف الأمة «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»، والطاعة للحاكم تكون مقيدة بأن لا تكون في معصية: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف»، وهذه الأحكام الشرعية الهدف منها إيجاد المجتمع المسلم المترابط قمة وقاعدة ليحافظ على وجوده ويدافع عن حقوقه.

تمارين الدرس السادس:

توحيد الألوهية: عوامل صيانة كيان الفرد والمجتمع.

١ـ تنقسم عوامل صيانة كيان الفرد والمجتمع إلى نوعين: داخلية وخارجية. فما هي في كل.

الجواب: عوامل صيانة كيان الفرد والمجتمع الداخلية هي:

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: العقوبات الشرعية: حدود قصاص تعزيزات.

وعوامل صيانة كيان الفرد والمجتمع الخارجية هي:

أولاً: الدعوة إلى الله تعالى.

ثانياً: الجهاد في سبيل الله تعالى.

٢ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عوامل صيانة المجتمع الداخلية فما معناه وما الدليل على مشروعيته وما هي مراتبه؟

الجواب: المعروف هو كل ما أمر الله تعالى به، والمنكر هو كل ما نهى الله تعالى عنه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحفظ المجتمع المسلم من التفكُّك والتصدُّع كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1]، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستوجب غضب الله تعالى فيرسل العذاب والانتقام عقوبة للأمة كلها حتى يتسلط عليها أعداؤها كما قال ﷺ، «والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم»، وقال تعالى مبيناً أثر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المستوجب للطرد من رحمة الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا

---

(١) آل عمران آية ١١٠.

عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

ومراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي كما في الحديث: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وأعلى هذه المراتب التغيير باليد وذلك لمن كان له سلطة كالحاكم ورب البيت ومدير المؤسسة وهكذا، والدرجة الثانية الإنكار باللسان من الداعية والعالم والإنسان العادي ولكن إذا ترتب على هذا الإنكار مفسدة أكبر وفتنة أعظم ينبغي أن يتوقف عن الإنكار باللسان درءاً للمفسدة وجلباً للمصلحة العامة، وأخيراً الإنكار بالقلب وذلك في حال خوف الفتنة أو عدم القدرة على البيان والإقناع والهدف من الإنكار بالقلب أن يبقى الإنسان متحسساً لهذا المنكر فلا يندمج معه، لأنه إذا لم يهتم بإنكاره بقلبه فسوف يأتي عليه يوم يصبح فيه هذا المنكر معروفاً في نفسه، وفي الحديث: «من كثر سواد قوم فهو منهم» أي إذا رضى بهذا المنكر وسكت عليه. وفي الحديث أيضاً: «كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف» لأن بالسكوت عن المنكر يصبح هذا المنكر هو المعروف بمرور الزمن بين الناس، فينكرون على من ينكره، بل ويدعون الناس إليه.

٣ـ العقوبات الشرعية من عوامل صيانة المجتمع الداخلية فما هي أنواعها وما الدليل على مشروعيتها؟

الجواب: العقوبات تنقسم إلى ثلاثة أنواع: حدود وقصاص وتعزيرات، والعقوبة لا بد منها، لينكف الإنسان عن العدوان على حق الله تعالى، وعلى حق الناس، فما كان من الإعتداءات متعلقاً بحق الله تعالى فإن هذه العقوبة تسمى حدوداً وهي الحق العام، وإذا كان العدوان على حق الناس فإن العقوبة تسمى قصاصاً، فيما إذا كان هناك تقدير من جهة الشارع لهذه العقوبة كعقوبة الردة والقتل والزنا والسرقة، وأما إذا لم يكن هناك تقدير من الشارع لهذه العقوبة كأكل الربا

---

(١) المائدة آية ٧٨ ـ ٧٩.

والغش والكذب فإن للقاضي أن يقدر هذه العقوبة بحسب اجتهاده، وتختلف باختلاف الأشخاص من خلال المواقع والأحوال وتسمى تعزيراً.

والحدود عديدة منها: السرقة: وهي أخذ المال من حرز مثله خفية، وإذا توفرت فيها الشروط تستوجب عقوبة الحد وهي القطع كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]. ومنها الزنا: وهو علاقة غير شرعية بين المرأة والرجل خارج نطاق الزواج وقد حرمه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[2]، فالزاني إذا كان غير متزوج يجلد مائة جلدة بين الناس وأما إذا كان محصناً فإنه يرجم حتى الموت: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وفي الحديث (البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)، القذف: وهو أن يتهم المرء في عرضه، من قبل رجل أو امرأة، بأن يرمى بالزنا صراحة أو كناية، وحد القذف ثمانون جلدة وتكون بصورة علنية حتى يكون فيها زجر وردع للناس.

قطع الطريق: وذلك بالتعرض للناس في طرقاتهم بالسلاح داخل المدن أو خارجها بقصد سلب أموالهم أو العدوان على أعراضهم أو على دمائهم، وعقوبته كما تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾[4]. شرب الخمر: وعقوبة شارب الخمر أربعون جلدة كما فعل النبي ﷺ فيمن شرب الخمر كما هو ثابت في الصحيحين.

وأما القصاص: وهو إنزال مثل ما أنزله الجاني في المجني عليه من العدوان، وهو نوعان: **أولهما**: القصاص في النفس: وذلك فيما إذا أتى على

(١) المائدة آية ٣٨.
(٢) الإسراء آية ٣٢.
(٣) النور آية ٢.
(٤) المائدة آية ٣٣.

النفس بالقتل فيقتل به كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[1] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾[2]، ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3]. **ثانيهما**: القصاص فيما دون النفس: كالعدوان على الأطراف كقطع اليد أو الرجل أو الأصابع أو فقء العين أو قطع الأذن أو جدع الأنف ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

وأما التعزيرات: كأكل الربا وهو من الكبائر ولم يرد في الشرع تحديد لعقوبته وإنما ترك شأن تحديدها إلى الحاكم، وكالكذب وإيذاء الجار والغش في البيع والشراء ونحو ذلك.

فكانت العقوبات روادع وزواجر لصيانة المجتمع عن مثل هذه التعديات، ليبقى المجتمع متماسكاً في بنائه ومترابطاً فيما بين أفراده كما قال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه».

٤ـ الدعوة إلى الله تعالى من عوامل صيانة المجتمع الخارجية، فما معناها، وما دليل مشروعيتها، وما هو الأسلوب الواجب اتباعه فيها، وكيف تكون عاملاً في صيانة المجتمع من الخارج.

الجواب: الدعوة إلى الله تعالى تعني عرض الإسلام على الآخرين، وتعريفهم به. وأما الدعوة في وسط المسلمين فتسمى أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، لأن المقصود به تذكيرهم بما يعرفون. وقد يطلق أحدهما على الآخر.

والدليل على مشروعية الدعوة إلى الله تعالى، قوله عز وجل ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[5] وقوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ

---

(١) المائدة آية ٣٣.
(٢) البقرة آية ١٧٨.
(٣) البقرة آية ١٧٩.
(٤) المائدة آية ٤٥.
(٥) النحل آية ١٢٥.

﴿صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾[1] وفي الحديث (بلغوا عني ولو آية) وفيه أيضاً (نضَّرَ الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها).

والأسلوب الواجب اتباعه في الدعوة إلى الله تعالى هو الحكمة والموعظة الحسنة، فإن لكل مقام مقال يناسبه، ولكل مدعو طريقة يمكن الدخول إليه من خلالها، فيجب على الداعية أن يقدر ذلك ويراعيه كي لا يكون سبباً في نفور الآخرين مما يدعو إليه وإن كان حقاً في ذاته، قال تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] وقال ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[3].

وتكون الدعوة عامل صيانة خارجي في المجتمع المسلم، لأنها تواجه الآخرين فيما يحملون من أفكار قبل أن يدخلوا بها على المجتمع المسلم، ومن طبيعة الحياة أن من لا يدعو غيره إلى ما عنده، يدعوه الآخرون إلى ما عندهم. وقد قيل: الهجوم خير وسيلة للدفاع.

٥ـ الجهاد في سبيل الله تعالى من عوامل صيانة المجتمع الخارجية فما معناه وما دليل مشروعيته، وما هي مراتبه؟

الجواب: الجهاد لغة: مصدر مشتق من الجهد وهو بذل الوسع والطاقة، في طلب الشيء.

اصطلاحاً: بذل الوسع والطاقة في مواجهة الكفار لنشر دين الله تعالى.

والمقصود من مواجهة الكفار محاربتهم بالمال واللسان والسنان، والجهاد مشروع بالكتاب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١﴾[4]، ومشروع بالسنة في قوله ﷺ: «رأس هذا الأمر الإسلام وعموده

---

(١) فصلت آية ٣٣.
(٢) النحل آية ١٢٥.
(٣) آل عمران آية ١٥٩.
(٤) الصف آية ١٠ ـ ١١.

الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله تعالى». والله تعالى قد حذر من ترك الجهاد في سبيل الله تعالى لأن الجهاد يحمي المجتمع المسلم من الأعداء فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾(1) ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾(2).

والمسلمون حين يعدون العدة الكاملة للجهاد شرعاً فإن الله تعالى يؤيدهم وينصرهم كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(3) ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(4).

مراتب الجهاد في سبيل الله تعالى نوعين: مواجهة فكرية ومواجهة عسكرية. **فالمواجهة الفكرية** تكون ممن أتم دراسة الشريعة الإسلامية ومعرفة الأحكام العقائدية والأحكام التشريعية، ثم العمل على عرض ونقل هذه الأحكام إلى الآخرين بالصورة الصحيحة، ويجب عرض الإسلام بلسان المسلمين من أهل العلم والمعرفة، ولا يجوز الاعتماد في عرض الإسلام على المستشرقين لأنهم لا يعتقدون بصحة الإسلام وعندما يعرضونه يجعلونه في صورة مشوهة لتنفير الآخرين، ولذلك يجب أن يكون عند الداعية حسن التصور للشريعة والعقيدة، فالخطوة الأولى هي العرض والدعوة للإسلام، ثم رد الشبهات عنه، ولا يكره الناس على الإسلام في هذه الحالة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾(5). ولكن من دخل في الإسلام باختياره يمنع من الخروج منه بإقامة حدّ الردة عليه.

وعندما يمنع الكفار المسلم من الدعوة إلى الإسلام تكون الخطوة الثانية **بالمواجهة العسكرية**، ولذلك كان النبي ﷺ عندما يرسل الجيوش إلى الجزيرة العربية والمناطق الأخرى كان يوصيهم بعرض الإسلام أولاً، وعندما تكون هناك مقاومة من أئمة الكفر تكون المجابهة بالقوة العسكرية كما قال ﷺ لعلي بن أبي

---

(1) التوبة آية ٣٦.
(2) التوبة آية ٣٩.
(3) الأنفال آية ٦٠.
(4) محمد آية ٧.
(5) البقرة آية ٢٥٦.

طالب ومعاذ بن جبل عندما أرسلهما إلى اليمن: «ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة وإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى فرض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

تمارين الدرس السابع:

توحيد الأسماء والصفات: والانقسام فيه إلى ست فئات

١ـ ما معنى توحيد الأسماء والصفات مع الدليل.

الجواب: توحيد الأسماء والصفات يعني تفريد الله تعالى بصفات الكمال وأسماء الجلال، بحيث لا يشاركه تعالى فيها غيره على نحو ما هي ثابتة له.

والاسم: ما دل على الذات غير مقترن بزمان، والصفة: ما دل على بعض أحوال الذات.

والدليل على توحيد الأسماء والصفات قول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[2]. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[3] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4].

٢ـ الصفات الإلهية هل هي محصورة أم لا، وما الدليل.

الجواب: اختلف العلماء في ذلك، فقيل هي محصورة، وقيل: لا، وقيل: غير محصورة ولكن الذي عرفناه منها تسعة وتسعون، وهو الصحيح.

والدليل على ذلك: قوله ﷺ (اللهم أسألك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي) وفي الحديث (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة).

٣ـ صفات الله تعالى هل هي توقيفية أو توفيقية، مع الدليل.

الجواب: اختلف العلماء في ذلك، فقيل: توقيفية أي يعتمد إثباتها على

---

(١) الأعراف آية ١٨٠.

(٢) طه آية ٨.

(٣) الحشر آية ٢٤.

(٤) الشورى آية ١١.

النص، وبه يقول الجمهور. وقيل: هي توفيقية أي قياسية وبه يقول الكرامية.

والصحيح قول الجمهور، فإن الصفات فرع عن الذات، والذات غيبية فالصفات غيبية، وما كان كذلك يجب أن يعتمد على النص وحده.

٤ـ ما هو القانون العام في صفات الله تعالى مع الدليل.

الجواب: القاعدة في صفات الله تعالى هي أننا نثبت لله تعالى جميع ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ إثباتاً بلا تجسيم، وننفي عن الله تعالى جميع ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ نفياً بلا تعطيل.

والدليل على ذلك: قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[2] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[3].

٥ـ تنقسم صفات الله تعالى إلى ذاتية وفعلية، فما معنى كل مع التمثيل.

الجواب: صفات الله تعالى على نوعين:

النوع الأول: صفات ذاتية، وهي التي لم يزل الله تعالى متصفاً بها، وهي على نوعين: معنوية: وهي التي لا يمكن أن يتصف بضدها. كالعلم والحياة والقدرة. والحكمة. وثانيهما: خبرية، كالوجه والعين واليد ونحو ذلك.

النوع الثاني: صفات فعلية، وهي ما يجوز أن يوصف الله تعالى بضدها كالرضا وضدها السخط كقوله تعالى في المؤمنين ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ﴾[4] وكقوله تعالى: في الكافرين والمنافقين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾[5]، وكالرحمة وضدها العذاب ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾[6].

---

(١) الشورى آية ١١.
(٢) مريم آية ٦٥.
(٣) الإخلاص آية ٤.
(٤) المائدة آية ١١٩.
(٥) محمد آية ٢٨.
(٦) العنكبوت آية ٢١.

٦ـ انقسم العلماء في كيفية فهم صفات الله تعالى إلى ست فئات، فما هي؟

الجواب: الفئات الست هي: الكرامية المشبهة، والجهمية المعطلة، والمعتزلة، والأشعرية الكلابية، والمفوضة، وأهل السنة والجماعة.

٧ـ ما هو قول الكرامية في صفات الله تعالى، وما دليلهم، وبماذا ترد عليهم.

الجواب: ذهب الكرامية إلى إثبات صفات الله تعالى على نحو ما هي ثابتة للمخلوقين، ودليلهم على ذلك: أن القرآن نزل باللغة العربية، ولألفاظ اللغة مدلولات معينة، فلا يجوز صرفها عن مدلولها في اللغة العربية، لأن القرآن يصبح بذلك معجماً غير مفهوم، والله تعالى يقول فيه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴿١٩٥﴾﴾[(1)] والعرب إنما تطلق الوجه والعين واليد ونحو ذلك على هذه الأجزاء المعروفة من البدن فيجب حملها على ذلك في حق الله تعالى أيضاً.

والرد عليهم: أن القرآن يجب أن يفسر بالقرآن، وقد أخبر القرآن أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[(2)] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[(3)] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴿٤﴾﴾[(4)] فلا يجوز حمل هذه الصفات إذن على ظاهرها في حق الله تعالى لأن ذلك يتعارض مع ما أثبته القرآن، والقرآن إنما يفسر بالقرآن أولاً ثم بالسنة ثم بمقتضى اللغة العربية. فالصفات منقولة عن معناها اللغوي إلى هذا المعنى الشرعي، كما نقلت الصلاة والصيام والزكاة والحج عن معناها اللغوي إلى معناها الشرعي، فيكون هو المقصود منها عند الإطلاق.

٨ـ ما هو قول الجهمية في صفات الله تعالى، وما دليلهم، وبماذا ترد عليهم.

الجواب: ذهب الجهمية إلى نفي صفات الله تعالى وأسمائه. ودليلهم على ذلك هو أن إثباتها لله تعالى يفضي إلى التجسيم، لأن الأسماء والصفات من أحوال

---

(١) الشعراء آية ١٩٥.
(٢) الشورى آية ١١.
(٣) مريم آية ٦٥.
(٤) الإخلاص آية ٤.

الأجسام والأشياء، فهي أعراض، والأعراض تقوم بالأجسام، وأما ورودها في القرآن فإنها فيه على جهة المجاز، بمعنى أن الله تعالى خلق هذه الصفات في الخلق، ولكنها نسبت إليه تعالى مجازاً كما يقال فتح الأمير المدينة والمقصود جيشه، فإنه لما كان هو الآمر بذلك، نسب الفعل إليه. وقالوا أيضاً: لو أثبتنا الصفات لما كانت تخلو من أحد أمرين: إما أن تكون قديمة أو حادثة، فإذا كانت قديمة فإنه يلزم منه تعدد القديم، فلم يعد الله تعالى واحداً، وإذا كانت حادثة فإنه يلزم منه ثبوت النقص لله تعالى لأنه احتاج إليها فخلقها في نفسه. فحلّ الحادث في القديم.

والرد عليهم: إن الله تعالى أعلم بنفسه من خلقه، وقد أخبر عن صفات نفسه، وقرنها بما ينفي مشابهتها لصفات الخلق، فلا يلزم من إثباتها لله تعالى تجسيم ولا يلزم منه نقص، ولا يجوز مصادمة النقل بالعقل، لأن للعقل حدوداً لا يجوز له تجاوزها، والغيبيات ليست من مجال عمله، فلا يصح له الخوض فيها لا إثباتاً ولا نفياً بدون نص.

٩ـ ما هو قول المعتزلة في صفات الله تعالى، وما دليلهم، وبماذا ترد عليهم.

الجواب: المعتزلة كمثل الجهمية من جهة أنهم نفوا صفات الله تعالى، ولكنهم أثبتوا له الأسماء، ودليلهم في ذلك: أن إثبات الصفات يلزم منه التجسيم وأما الأسماء فإن منتهاها إلى مسمى واحد، فيصح إثباتها لله تعالى.

والرد عليهم: بمثل الرد على الجهمية، وأيضاً فإن ما يقال في ذات الله تعالى يقال في صفاته، فكما أن الجهمية والمعتزلة يؤمنون بوجود ذات الله تعالى لكنها ليست كذات المخلوقين، كذلك يجب أن يقولوا إن لله تعالى صفات ليست كصفات المخلوقين، فكما أنه لا يلزم من إثبات الذات لله تعالى تجسيم، كذلك لا يلزم من إثبات الصفات لله تعالى تجسيم أيضاً.

١٠ـ ما هو قول الأشعرية الكلابية في الصفات، وما دليلهم، وبماذا ترد عليهم.

الجواب: ذهب الأشعرية الكلابية إلى إثبات عشرين صفة لله تعالى، وتأويل ما عداها خوف التجسيم، والعشرون صفة هي: واحدة نفسية وهي صفة الوجود، وخمس سلبية، وهي البقاء والقدم والقيام بالنفس ومخالفة الحوادث والوحدانية، وسبعة معاني، وهي: السمع والبصر والعلم والكلام والحياة والقدرة والإرادة. ثم سبعة معنوية، وهي: اشتقاق إسم الفاعل لكل واحدة من الصفات المعاني: سميع بصير، عليم متكلم حيّ قدير مريد.

ودليلهم على ذلك: أن هذه الصفات يقتضيها مقام الربوبية، وما عداها يوهم التجسيم، فيؤول بما يتفق مع مقتضى هذه الصفات العشرين، وقالوا:

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوضه ورم تنزيها

فقالوا في اليد معناها القدرة، وفي العين الحفظ، وفي الوجه الذات، والعلو بمعنى المكانة، وهكذا.

والرد عليهم: إن صفات الله تعالى يجب سحبها على قاعدة واحدة، لأن مصدر ثبوتها واحد وهو الوحي وليس العقل، والقاعدة الواردة في كيفية إثباتها في القرآن واحدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] فلا يصح التفريق بين الصفات في الإثبات والنفي، لأنها متماثلة فيما ذكرنا من وحدة المصدر والقاعدة. فكما أنه لا خوف من التجسيم في إثبات الصفات العشرين لله تعالى، كذلك لا خوف من التجسيم في إثبات سائرها.

١١ـ ما هو قول المفوضة، وما دليلهم، وبماذا ترد عليهم، وما الفرق بينهم وبين أهل السنة والجماعة.

الجواب: ذهب المفوضة إلى القول بالتوقف في شأن صفات الله تعالى لا إثباتاً ولا نفياً، وقالوا: إن إثبات هذه الصفات يؤدي إلى التجسيم، ونفيها يؤدي إلى التعطيل وحتى لا يقعوا في هذا وذاك توقفوا وفوضوا الأمر فيها إلى الله تعالى.

---

(١) الشورى آية ١١.

والرد عليهم: أن التعامل مع الصفات حين يكون من واقع القرآن الكريم والسنة النبوية لا يقع ذلك الخوف من التجسيم ولا الخوف من التعطيل، وبالتالي فإن استخدام العقل في مقابل النقل في هذه القضية الغيبية هو الذي أوقعهم في تلك الحيرة التي أفضت بهم إلى التوقف وتفويض الأمر فيها إلى الله تعالى، لأنها أشكلت عليهم.

والفرق بين المفوضة وأهل السنة: أن أهل السنة فوضوا كيفية الصفات إلى الله تعالى، لأن الصفات فرع عن الذات، والذات غيب فالصفات غيب، ولا يجوز الخوض في الغيبيات بالعقول البشرية لأنها قاصرة، وأما المفوضة فقد فوضوا إثبات هذه الصفات وكيفياتها إلى الله تعالى، فقالوا: لا ندري إن كان لهذه الصفات حقائق وكيفيات أوليس لها ذلك. في حين أن أهل السنة قالوا: إن لهذه الصفات حقائق وكيفيات ولكننا نحن لا نعرف كيفياتها لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[2].

١٢ـ ماهو قول أهل السنة في صفات الله تعالى وأسمائه، وما دليلهم على ذلك، وما هي القاعدة التي اعتمدوا عليها في الرد على المخالفين لهم.

الجواب: ذهب أهل السنة والجماعة إلى إثبات جميع أسماء الله تعالى وصفاته الواردة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من غير تجسيم، وتنزيه الله تعالى عن كل ما نزهه عنه الكتاب والسنة من غير تعطيل، وسلموا في ذلك للنص الشرعي، لأنه لا دخل للعقل مع النقل ولا اختيار له في إثبات شيء من الصفات أو نفيها، لأن هذه قضية غيبية لا يقوى العقل على الخوض فيها بعيداً عن النص ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[3].

والقاعدة التي اعتمد عليها أهل السنة في الرد على المخالفين ذات شقين، وهما:

---

(١) الشورى آية ١١.

(٢) طه آية ١١٠.

(٣) الأحزاب آية ٣٦.

الشق الأول: القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أن الجميع يثبتون لله تعالى ذاتاً ويقولون إنها لا تشبه ذات غيره، كذلك كان عليهم أن يثبتوا صفات الله تعالى كلها على هذا الأساس، فيقولوا بأن صفات الله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين، لأن الصفات فرع عن الذات، وبهذا الشق من هذه القاعدة يردون على المجسمة والجهمية والمعتزلة والمفوضة.

الشق الثاني: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، لأنها كلها صفات لموصوف واحد وردت عن مصدر واحد وهو الله تعالى، فلا يصح التفريق بينها، وما يقال في بعضها يقال في سائرها، وقد ردوا بهذا الشق من القاعدة على الأشعرية الكلابية الذين أثبتوا بعض الصفات وهي العشرين ونفوا سائرها بالتأويل، لأنه لا فرق بين ما أثبتوه وما نفوه منها، لا سيما ومصدرها واحد.

تمارين الدرس الثامن:

تعليل الانقسام في توحيد الصفات

١ـ ما سبب الاختلاف الذي نشب بين المسلمين في شأن صفات الله تعالى، مع أن القرآن واحد والنبي واحد.

الجواب: سبب اختلاف المسلمين حول صفات الله تعالى وانقسامهم فيها إلى فئات متعددة متنازعة ومتصارعة **هو استخدامهم العقل البشري في قضية غيبية** ليس في قدرة العقل البشري الخوص فيها، لأنها ليست من ميدان عمله، فإن ميدان عمله هو المحسوسات التي تقع تحت حواسه مباشرة أو بعد تطويرها باستخدام الأجهزة المقربة للبعيد منها، والمكبرة للصغير منها، وما عدا المحسوسات فإن العلم بها إنما يعتمد على الخبر الصحيح، وذات الله تعالى غيب مطلق ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[٢] فالاعتماد في معرفة صفات الله تعالى إثباتاً ونفياً إنما يجب أن يكون على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأي خروج عنهما في ذلك يؤدي إلى وقوع خلاف بين المسلمين لأن العقول فيهم متفاوتة، ولمّا كانت الصفات قضية عقائدية تتعلق بالإيمان بالله تعالى فإنه سيترتب على الخلاف فيها أن يكفر المسلمون بعضهم بعضاً، وذاك يفضي إلى أن يستحل بعضهم دماء بعض وقد قال ﷺ (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض).

في حين أن التسليم للنص الشرعي في ذلك يجمع الصفوف، ويمنع الخلاف بين المسلمين ويغلق باب الفتنة عليهم، ويمنع يد العدو الخفية أوالعلنية أن تمتد إليهم باستغلال هذا الخلاف وتوجيهه ضد وجودهم وحقوقهم.

٢ـ ما هو دور القرآن الكريم في تحقيق الوحدة الإسلامية، حلل ودلل.

الجواب: القرآن الكريم جعله الله تعالى دستور هذه الأمة، ترجع إليه عند الاختلاف فتستمد منه التوجيه والأحكام، التي يجب على المسلمين العمل بها

---

(١) الأنعام آية ١٠٣.
(٢) طه آية ١١٠.

بمقتضى إيمانهم بالله تعالى ورسوله ﷺ، فيرشدهم إلى الطريق الصحيح، فلا يبقى معه مجال للإختلاف في الأمر حين يكون ثمة نص صريح في القرآن، وأما النصوص غير الصريحة فيه، فيجوز لهم الاختلاف فيها، ولكن يحرم عليهم أن يتصارعوا بسببها، لأن حكمة الله تعالى اقتضت أن تكون هذه النصوص في القرآن، لتحقيق مصالح الأمة عبر الزمن، فأوجب الله تعالى الرجوع إلى القرآن، وعلق صحة الإيمان به على القبول بحكمه والتسليم له فقال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[1] وحرم النزاع والصراع بين الأمة فقال ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

فصار القرآن بذلك سبب جمع العرب بعد تفرقهم، وسبب ألفتهم بعد تباغضهم وسبب قوتهم بعد ضعفهم، حيث وحّد مصدر التلقي عندهم بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، ووحّد مصدر الأمر والنهي عندهم، فحسم الخلاف بينهم في الأمور ذات الشأن في حياتهم كي لا يعصف اختلافهم عليها بوحدة صفهم.

٣ـ ما هي القاعدة الشرعية في آيات الصفات، وكيف يكون التعامل مع من يخرج عن هذه القاعدة من المسلمين. مع بيان الأدلة في ذلك.

الجواب: القاعدة الشرعية في صفات الله تعالى هي الإيمان بها وعدم الخوض في كيفياتها، لأن كيفياتها لا يمكن إدراكها ومعرفتها لكونها من الغيبيات، فهي بالتالي من المتشابهات، وإن من يخوض في الكلام عن كيفياتها يكون صاحب فتنة في الأمة يجب مقاطعته، إذا كان يخوض فيها بعد علمه بتحريم ذلك، فقد قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾[3].

---

(١) النساء آية ٦٥.

(٢) الأنفال آية ٤٦.

(٣) آل عمران آية ٧.

وعندما قرأ النبي ﷺ هذه الآية قال: (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله (فاحذروهم) يعني المنافقين، بدليل قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[1] وزاد في رواية أُخرى (ولا تجالسوهم) وفي رواية ثالثة (أولئك الخوارج).

فالواجب تجاه من يخرج عن مقتضى القاعدة في صفات الله تعالى ـ وهو الإيمان بها وعدم الخوض في كيفياتها، لأن كيفياتها من المتشابهات ـ هو أن يقاطع كي لا ينتقل ما في قلبه من زيغ إلى غيره من الناس فتنتشر فتنته في الأمة ويعظم ضرره فيها.

٤ـ كيف تعامل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون مع من راح يخوض في كيفيات صفات الله تعالى، ولماذا.

الجواب: عندما دسّ اليهود رجلاً يدعى صُبيع بن عسل إلى المدينة المنورة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليثير الكلام في صفات الله تعالى، كي يجرّ الناس إلى الصراع والنزاع وتكفير بعضهم بعضاً بسببها لأنها من القضايا الإيمانية فيترتب على الاختلاف فيها تكفير المختلفين بعضهم بعضاً، لا سيما وأن المكان الذي اختاروه وهو المدينة المنورة التي هي عاصمة الخلافة الراشدة، فهي بمنزلة القلب من الجسد، إذا دب النزاع فيها ترك ذلك أثره السلبي على سائر المناطق الإسلامية في البلاد الأخرى، استدعاه عمر بعد أن أعدّ له ثلاثة عراجين ودعا كبار أصحاب رسول الله ﷺ وسأله عن اسمه فراح يختبىء وراء اسم محبّب للمسلمين فقال: عبد الله ضبيع، فقال له عمر: وأنا عبد الله عمر، وشتان ما بين العبدين، فعمر عبد صادق لأنه يعمل بما أمره الله تعالى به، وضبيع عبد كاذب لأنه لم يعمل بما أمره الله تعالى به في آيات الصفات فراح يخوض في كيفياتها، ثم قال له عمر: جئت تسأل عن المتشابهات وقد نهاك الله عنها، ثم تناول عرجوناً من العراجين الثلاثة وجعل يضربه على رأسه حتى دمّاه، فقال: كفى يا أمير المؤمنين

---

(١) المنافقون آية ٤.

قد والله ذهب عني الذي كنت أجد في رأسي، أي من الفتنة. ثم أعاده إلى حيث جاء من البصرة وأمر والي البصرة بفرض الحَجْر الصحي عليه، كي لا ينتقل مرضه هذا إلى غيره.

ومثل ذلك فعل التابعون، فحين سأل رجل في حلقة الإمام مالك في المسجد عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] قائلاً: كيف استوى، أمر الإمام مالك به أن يخرج من المسجد بعد أن قال له: الإستواء معلوم أي في اللغة، والكيف مجهول أي في العقل، والإيمان به واجب أي في الشرع، لأنه ورد الأمر به في القرآن، والسؤال عنه بدعة أي في الدين، لأنه ورد النهي عنه فيه.

وهكذا استطاع الصحابة والتابعون أن يغلقوا الباب على أصحاب الفتن في الأمة، من خلال الالتزام بما أمرهم به النبي ﷺ في قوله (فاحذروهم) (ولا تجالسوهم) (أولئك الخوارج).

٥ـ كيف دب الصراع في الأمة حول آيات الصفات، ومن الذي فتح بابه، وتحت أي شعار، ومتى كان ذلك.

الجواب: دب الصراع حول آيات الصفات في الأمة عندما فتح الباب في الخوض فيها في أول الأمر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي، حين راح **الجعد بن درهم** يدسّ الخوض في آيات الصفات اعتماداً على العقل، حتى أدخل الشك في قلوب بعض الناس ممن جعل يستمع إليه، وتلقفها عنه بعض المغرضين من المشبوهين **كالجهم بن صفوان**، فلما أحسّ الخليفة بذلك وأدرك الخطر المترتب على هذه الخطة، أمر بإلقاء القبض على الجعد بن درهم ومحاكمته وتنفيذ الحكم فيه، فألقى عليه القبض خالد بن عبد الله القسري والي خراسان، وأعدمه يوم عيد الأضحى، بينما ألقى سالم بن أحوز والي مدينة مرو القبض على الجهم بن صفوان وأعدمه أيضاً، لإراحة الأمة من شرّهما وللقضاء على ما أثاراه من فتنة.

---

(١) طه آية ٥.

وكان الشعار الذي اعتمد عليه الجعد والجهم في الخوض في آيات الصفات هو العمل على تنزيه الله تعالى، بحجة أن إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم، والتجسيم كفر، فلا بدّ من نفيها بالتأويل طلباً للتنزيه، وقد كانا معروفين بالزندقة.

٦ـ ما هو دور المعتزلة في تدمير الصف الإسلامي من الداخل، وضح مراحله وأساليبه.

الجواب: عندما توسعت دولة الخلافة العباسية وأصبحت قوة عالمية وحضارية، فتحت الأبواب للأمم والشعوب والديانات الأخرى كي تتعايش في عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد، وراح المشبوهون من تلك الأمم اليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها يستغلون ظاهرة التسامح الديني في بغداد، فراحوا يدسون في المسلمين الدسائس بغية تدمير هذه الأمة من داخلها، وفي العاصمة التي هي بمنزلة القلب منها، حيث اتخذ بعضهم من الانتساب إلى الإسلام ستاراً له، بينما استغل البعض الآخر عقد الذمة وسيلة للعيش بأمان، فراح بعض كبار هؤلاء يتقربون إلى الخليفة العباسي لكسب ثقته من خلال بذل بعض الخدمات وطرح بعض الآراء والاستشارات لتوسيع نشاط الأمة وتطوير قدراتها، فراح بعضهم **ومنهم بشر المريسي** يغري الخليفة هارون الرشيد بترجمة كتب الفلسفة الاغريقية والمنطق اليوناني من أجل الاطلاع على ما عند أولئك الأمم وتلك الحضارات للاستفادة منها، ففعل الرشيد حتى ترجم الكثير من تلك الكتب، وجعل آخرون منهم يحرضون على دراستها وتعظيمها، حتى صار لها منزلة في قلوب الكثير من المسسلمين تضاهي منزلة القرآن والسنة، بل إن بعضهم جعلها أصلاً يقاس عليه، ويبقى القرآن والسنة للبركة.

ولما شعر هارون الرشيد بالأمر وأدرك المؤامرة طلب بشر المريسي لمحاكمته ومعاقبته، وهو أحد كبار المعتزلة المحرضين على الترجمة والخوض في الصفات تحت شعار التنزيه، ففرّ المريسي واختفى، لعلمه بالمصير الذي ينتظره لو ظفر به الخليفة الذي أراد أن يلحقه بالجعد بن درهم والجهم بن صفوان، حيث أقسم الرشيد أنه لو ظفر به ليقتلنه، واستمر المريسي الذي روج فكرة القول بخلق القرآن متخفياً حتى توفي الرشيد.

ولما تولى المأمون وهو ابن الرشيد الخلافة ظهر المريسي ثانية وتقرب إليه ولا زال يتصنع الغيرة وحب الدين وتنزيه رب العالمين عند المأمون حتى قربه منه، فراح يزين له عقائد المعتزلة حتى تبناها، ودخل مع المريسي في ذلك أحمد بن أبي داؤد وثمامة بن الأشرس وغيرهم، فراح المأمون الذي زين له هؤلاء الثلاثة فرض مبادىء المعتزلة على علماء الأمة وقضاتها وأمرائها وقادتها يجبر الناس على ذلك، فنشب صراع كبير وخطير بين أهل السنة ودولة الخلافة العباسية التي صارت طرفاً في الصراع حيث تبنت رأي المعتزلة، وأصيب العلماء بنكبة كبيرة هناك حتى اضطر بعضهم للهجرة خارج بغداد، وساير البعض الآخر التيار، بينما قرر البعض الثالث المواجهة، فاعتقل بعضهم وعذبوا حتى الموت كيوسف البويطي صاحب الشافعي وكأحمد بن نصر الخزاعي وغيرهما. وكان من جملة من تعرضوا للتعذيب الإمام أحمد بن حنبل، حتى أشرف على الموت مرات عديدة في عهد المأمون ثم المعتصم بالله الذي تابع المسيرة بوصية من المأمون ثم تابعها الواثق بالله من بعده، وكل ذلك كان بتحريض من المعتزلة الذين كانوا حاشية للخلفاء.

وعندما تولى المتوكل الخلافة وتمكن بعض العلماء من الوصول إليه وعرض الحقيقة بين يديه وعرفها قرر ملاحقة المعتزلة، فنكبهم وقلب الأمر عليهم، فاعتقل بعضهم وعذبوا وأعدم البعض الآخر وفرّ البعض الثالث خارج إطار سيطرة الدولة العباسية، وانكشفت الغمة عن الأمة حتى قيل: أبو بكر يوم الردة، والمتوكل يوم خلق القرآن.

وانكشفت الحقائق بعد أن زال سلطان المعتزلة الذين سلطوا الدولة على خصومهم، وكان من أبرز هؤلاء الذين سقط القناع عنهم **ابن الراوندي اليهودي** الأديب المشهور الذي تظاهر بالإسلام وراح يلاحق علماء أهل السنة ويغري الدولة بهم، بحجة تنزيه الله تعالى عن التجسيم الذي يتهم به أهل السنة، فألف كتاباً عقب فراره من بغداد سماه (الدافع للقرآن) وآخر نفى فيه نبوة محمد ﷺ وسماه التاج وألّف كتاباً ثالثاً فضل فيه اليهودية على الإسلام، وسماه الزمرّدة، ومنهم أيضاً أبو **عيسى الوراق وأحمد بن حابط**.

٧ـ كيف انكشفت مؤامرة المعتزلة على الأمة وما هي سلسلة القول بخلق القرآن، وما أثرها في الأمة بعد ذلك.

الجواب: انكشفت مؤامرة المعتزلة عندما خفت سيطرتهم على الخليفة العباسي المتوكل، وتمكن بعض العلماء الذين ثبتوا على معارضة مذهب المعتزلة لا سيما قولهم بخلق القرآن، كالإمام أحمد بن حنبل من حمل الخليفة وبعض كبار المسؤولين في الدولة، على إعادة النظر في موقف الدولة منهم، واتضحت الصورة وظهر الحق، واندحر الباطل.

وعند ذلك أمكن للناس أن يبحثوا عن حقيقة هؤلاء المعتزلة، وأن يتعرفوا على أصولهم بعد أن رأوا من تصرفاتهم الماضية ومبادئهم المشبوهة، **ما أثار الشك** فيهم وحمل على إظهار حقيقة أمرهم، فقد تبين أن سلسلة القول بخلق القرآن تبدأ بعبد الله بن سبأ اليهودي الذي أخذها عنه لبيد بن الأعصم اليهودي الذي أخذها عنه طالوت بن أخت لبيد، الذي أخذها عنه بيان ويقال أبان بن سمعان، الذي أخذها عنه الجعد بن درهم الذي أخذها عنه الجهم بن صفوان الذي أخذها عنه بشر المريسي وثمامة بن الأشرس وأحمد بن أبي دؤاد، وجميع هؤلاء بين يهودي وزنديق، كانوا مع آخرين على شاكلتهم كالأفاعي، يهدفون إلى تسميم عقائد الأمة وتقويض دعائم الخلافة الإسلامية العباسية، تحت غطاء التوحيد والتنزيه من خلال القول بخلق القرآن ونفي صفات الرحمن.

وقد أدى ذلك الصراع الداخلي الذي افتعله المعتزلة إلى ضعف الدولة والمجتمع، ومع الأيام تجرأ عليها المغول والتتار، فغزو أراضي الدولة العباسية، ووصلوا إلى بغداد وقتلوا الخليفة ومئات الألوف من أهلها ودمروا معالم الحضارة والعمران، وفعلوا من الفظائع وأنزلوا من المصائب في الأمة ما لا يتصوره عقل ولا يقبل به ضمير.

٨ـ الموازين ثلاثة: تجاري وعقلي وشرعي، فما وسيلة كل، وما أثر الميزان في حياة الإنسان.

الجواب: الميزان التجاري وسيلة الوزن والكيل، والميزان العقلي آلته الحواس الخمس، والميزان الشرعي آلته الكتاب والسنة.

وأثر الميزان في حياة الإنسان أنه إذا رجع الناس إلى كل ميزان منها فيما يخصه انفض النزاع بينهم، فإذا اختلف المتبايعان في قدر المبيع ورجعا إلى الميزان التجاري انحسم الخلاف بينهما، وإذا اختلفا في المبيع على الوصف، ورجعا إلى حاسة السمع أو البصر وغيرها انحسم الخلاف، وإذا اختلف المرء مع غيره في حكم قضية شرعية ورجعا إلى الكتاب والسنة انحسم الخلاف.

وقضية صفات الله تعالى قضية شرعية فيجب الرجوع فيها إلى الميزان الشرعي دون سواه، لأن الرجوع بها إلى الميزان العقلي يخرج بها عن إطارها، ويدخل المختلفين عليها في متاهات النزاع وويلات الصراع.

٩ـ ما الدليل على أن تنزيه الله تعالى عبادة، وهل يعتمد فيها ميزان العقل أم ميزان الشرع ولماذا.

الجواب: الدليل على أن تنزيه الله تعالى عبادة قوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾[1] فهو أمر، والأمر يقتضي الوجوب، والتسبيح هو التنزيه لله تعالى عن كل نقص أو عيب، فهو الكامل كمالاً مطلقاً في ذاته وأفعاله وصفاته.

ولا يجوز اعتماد ميزان العقل في تنزيه الله تعالى لأن العقول متفاوتة فتختلف في كيفيته وما يجوز فيه وما لا يجوز، وإنما يعتمد في ذلك على ميزان الشرع، لأن التنزيه من القضايا الغيبية. فتجتمع عليه العقول عند التسليم للنص الشرعي فيه.

١٠ـ لماذا لم يقع نزاع بين أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من صفات الله تعالى، مع أهميتها في الدين.

الجواب: لم يقع بين أصحاب رسول الله ﷺ في صفات الله تعالى نزاع لأنهم عرفوا أنها قضية غيبية يجب الاستسلام فيها للنص، وأن النص قد أثبت لله

---

(١) الأعلى آية ١.

تعالى صفات ووضع القاعدة في فهمها فقال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فأيما صفة لله تعالى ترد في القرآن أو في السنة فإنه يقرن معها بعد إثباتها قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[2] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[3] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[4].

١١- البحث عن المجهول من طبائع العقول، فما أثر الوصول فيها إلى النتيجة على النفس وما أثر عدمه عليها أيضاً، وهل يمكن تطبيق ذلك على قضية الصفات الإلهية.

الجواب: أثر الوصول إلى معرفة المجهول على النفس أنه يورثها راحة واطمئناناً، في حين أن عدم الوصول إلى معرفته يورثها اضطراباً وشقاء، وينطبق ذلك على قضية صفات الله تعالى، فإن الله تعالى غيب مطلق وصفاته تعالى فرع عن ذاته فهي غيب كذلك، والخوض فيها بالتالي لمعرفة كيفياتها إثباتاً أو نفياً يؤدي إلى الاضطراب والشقاء، لأنها لا يمكن للعقل البشري أن يصل فيها إلى شيء لقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ﴾[5] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[6] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[7] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[8].

١٢- ما أثر الخوض في الصفات الإلهية على ضوء القواعد العقلية المنطقية في بعض كبار أهل العلم، مع ذكر أمثلة على ذلك.

الجواب: كان من أثر خوض بعض كبار أهل العلم في صفات الله باعتماد

---

(١) الشورى آية ١١.
(٢) الشورى آية ١١.
(٣) مريم آية ٦٥.
(٤) الإخلاص آية ٤.
(٥) الأنعام آية ١٠٣.
(٦) طه آية ١١٠.
(٧) الشورى آية ١١.
(٨) مريم ٦٥.

العقل فيها أنهم وقعوا في الحيرة والشك والشقاء النفسي، لأنهم ابتعدوا في التعامل معها عن النص الشرعي ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1].

من أمثلة هؤلاء العلماء الكبار: الإمام الأشعري المتوفى سنة ٣٣٤هـ والجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ والغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ والرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

وقد رجع هؤلاء جميعاً إلى القاعدة الشرعية في الصفات ودعوا الناس إلى ذلك، كي لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الحيرة عندما خرجوا عنها.

---

(١) طه آية ١٢٢.

تمارين الدرس التاسع:

الشرك الأكبر وأنواعه

١ـ عرف الشرك لغة واصطلاحاً. وما حكمه مع الدليل.

الجواب: الشرك مصدر مشتق من الفعل أشرك يشرك إشراكاً، فهو مشرك وشريك. ومعناه الجمع والضم.

وفي الاصطلاح: إضافة غير الله تعالى إليه في الربوبية خلقاً وإيجاداً، وفي الألوهية طاعة وانقياداً، وفي الأسماء والصفات تنزيها وإثباتاً.

وحكمه: أنه حرام في الدين، ومن مات عليه فإن الله تعالى لا يغفره له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[١].

٢ـ ما هو خطر الشرك على الفرد في الدنيا والآخرة مع الدليل.

الجواب: خطر الشرك على الفرد في الدنيا: أنه يبطل به إيمانه ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٢] فهو يفسد العمل كما يفسد السمّ الدسم، ويورث صاحبه الاضطراب النفسي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٣]. ومفهوم الآية أن من خلط إيمانه بالشرك فلا أمن له وهو ضال.

وأما أثره على الفرد في الآخرة: فإنه يحرم بسببه من دخول الجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[٤].

٣ـ ما هو خطر الشرك على المجتمع مع الدليل.

الجواب: أن المجتمع هو مجموعة الأفراد والجماعات، وهي تعتمد الحياة في بقعة واحدة، ولما كانت الطبائع البشرية مختلفة بين الناس، فإنه ينشأ عن

---

(١) النساء آية ٤٨.
(٢) الزمر آية ٦٥.
(٣) الأنعام آية ٨٢.
(٤) المائدة آية ٧٢.

تعاملهم فيما بينهم خلاف ونزاع، فإذا كان ثمة شرع واحد يرجع إليه الجميع فإن ذلك يوحد تصورهم ويجمع رأيهم في القضية، بسبب وحدة مصدر التلقي فيهم، فإذا تعدد مصدر التلقي تفاوتوا في تصورهم وتنازعوا في تعاملهم، فيورثهم ذلك شقاء في حياتهم وفساداً في مجتمعهم، ولهذا أمر الله تعالى بتوحيده في العبادة وهي الطاعة والانقياد فقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴿٩٢﴾﴾[1] وحذر من الشرك فيها لأنه يفرق الأمة فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[2].

٤ـ ما هو خطر الشرك على البيئة مع الدليل، ولماذا نجد بعض المجتمعات الكافرة تتمتع بسعة الرزق وكثرة العطاء. حلل ودلل.

الجواب: يشكل الشرك خطراً على البيئة من جهة أنه يتسبب في نفور البيئة من الإنسان بسبب شركه بالله تعالى، فيقع الإضطراب في الكون والحياة، كما سيكون ذلك في آخر الزمان حيث يقل الإيمان حتى يكاد ينعدم فتكثر الزلازل والبراكين والجفاف والقحط، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴿١١٢﴾﴾[3] وعندما ينعدم الإيمان تقوم الساعة، كما في الحديث (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله).

وأما تمتع بعض المجتمعات بسعة الرزق وكثرة العطاء فذلك استدراج من الله تعالى لهم ليأخذهم بضربة قاصمة ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٤٥﴾﴾[4].

٥ـ ينقسم الشرك إلى أكبر وأصغر، فما معنى كل وما الفرق بينهما، مع الأدلة.

---

(١) الأنبياء آية ٩٢.
(٢) الأنعام آية ١٥٩.
(٣) النحل آية ١١٢.
(٤) الأنعام آية ٤٤ ـ ٤٥.

الجواب: الشرك الأكبر: هو ضم غير الله تعالى إليه في الربوبية بالخلق والإيجاد، وفي الألوهية في الأمر والنهي، وفي الأسماء والصفات في التنزيه والإثبات. من اعتقد بشيء من ذلك فقد وقع في الشرك الأكبر.

والشرك الأصغر: طرو إرادة وجه غير الله تعالى فيما يراد به وجه الله تعالى من الأقوال والأعمال.

والفرق بينهما: أن الشرك الأكبر يحبط الإيمان والعمل، وصاحبه يستوجب النار إذا مات ولم يتب منه، وأما الأصغر فيفسد العبادة التي رافقها، وقيل يبطل أجرها فقط، وإذا مات صاحبه دون أن يتوب فأمره إلى الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه عليه، وإذا عوقب عليه بالنار فإنه يخرج منها بعد ذلك كالكبائر لأن المؤمن إ يخلّد في النار.

والأدلة: قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(1) وفي الحديث (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان).

٦ـ الشرك في الربوبية، ما هو، وما أنواعه. مع الدليل والأمثلة.

الجواب: الشرك في الربوبية: هو ضم غير الله تعالى إليه في الخلق والإيجاد، والحال أنه لا خالق إلا الله تعالى ولا رازق إلا الله تعالى ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾(2) ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾(3).

وهو على نوعين: سلبي وإيجابي.

النوع الأول: الشرك السلبي: وهو نفي وجود الله تعالى أصلاً، كشرك الشيوعية.

النوع الثاني: الشرك الإيجابي: وهو إضافة غير الله تعالى إليه في الخلق والإيجاد، كشرك المجوس ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾(4).

---

(١) النساء آية ٤٨.
(٢) فاطر آية ٣.
(٣) الزمر آية ٦٢.
(٤) النحل آية ٥١.

٧ـ الشرك في الألوهية، ما هو، وما هي أنواعه، مع الدليل والتمثيل.

الجواب: الشرك في الألوهية: هو ضم غير الله تعالى إليه في الأمر والنهي. والحال أنه لا مشرع إلا الله تعالى ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾(١).

وهو على نوعين: سلبي وإيجابي.

النوع الأول: الشرك السلبي: وله صورتان:

الصورة الأولى: سلبي كلي. كشرك الدهرية. يقرون بوجود الله وينكرون عبادته مطلقاً.

الصورة الثانية: سلبي جزئي. كشرك من يقر بالعبادات كالصلاة والصوم وينكر المعاملات في الدين كتحريم الربا كالعلمانية، قال تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾(٢).

النوع الثاني: الشرك الإيجابي: وله صور:

الصورة الأولى: شرك قلبي. ويدخل في الإرادة والمحبة والتوكل والطاعة.

والصورة الثانية: شرك لساني. ويدخل في الدعاء والحلف والنذر.

الصورة الثالثة: شرك جوارحي. ويدخل في القيام والركوع والسجود والذبح لغير الله تعالى، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾(٣).

٨ـ من أنواع الشرك في الألوهية: الشرك السلبي، فما المقصود به، وما هي صوره.

الجواب: الشرك السلبي: هو نفي بعض حقوق الله تعالى.

---

(١) يوسف آية ٤٠.

(٢) البقرة آية ٨٥.

(٣) الأنعام آية ١٦٢ ـ ١٦٣.

صوره: سلبي كلي وسلبي جزئي.

السلبي الكلي: كشرك الدهرية. يؤمنون بوجود الله تعالى وينكرون حقه في العبادة.

السلبي الجزئي: كشرك العلمانية، يؤمنون بحق الله تعالى في التشريع في العبادات. وينكرون حق الله في التشريع في المعاملات. كمن يأخذ العبادات من الإسلام ويأخذ نظام المعاملات من الرأسمالية والشيوعية.

٩- من أنواع الشرك في الألوهية: الشرك الإيجابي. فما معناه مع الدليل والتعليل.

الجواب: هو ضم غير الله تعالى إليه في العبادة والتشريع.

والدليل قوله تعالى ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[(١)].

والتعليل: أن الشرك بالله تعالى في التشريع يتضمن معنى وصف الله تعالى بالعجز عن معرفة ما ينفع البشر ويضبط حركتهم بما يحقق مصلحتهم في هذه الحياة، حتى راح يضم إليه غيره في ذلك.

١٠- للشرك الإيجابي في الألوهية صور ثلاث، فما هي وما تعليل هذا التقسيم.

الجواب: الصور الثلاث هي: شرك قلبي وشرك لساني وشرك جوارحي.

وتعليل هذا التقسيم: هو أن للإنسان ثلاثة أبعاد: القلب واللسان والجوارح، ومطلوب منه أن يخضعها جميعاً لله تعالى، قال تعالى ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾[(٢)] ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾[(٣)]. والاستعصاء في شيء منها في حال الإختيار مع التنكر لمشروعيتها ضرب من الشرك بالله تعالى.

---

(١) النساء آية ٣٦.

(٢) الحج آية ٣٤.

(٣) لقمان آية ٢٢.

١١ـ من صور الشرك الإيجابي في الألوهية: الشرك القلبي. فما هو مع التمثيل، وما المراد بشرك الإرادة أو المحبة أو الطاعة أو التوكل. وضح بالأدلة.

الجواب: الشرك القلبي: هو ميل القلب نحو غير الله تعالى فيما هو من حق الله تعالى مثاله: محبة غير الله تعالى بمثل محبة الله تعالى أو أكثر.

المراد بشرك الإرادة: تقديم إرادة غير الله تعالى على إرادته في حال الإختيار. كاستحلال ما حرم الله أو تحريم ما أحل.

والمراد بشرك المحبة: تقديم محبة غير الله تعالى على محبة الله تعالى أو مساواته فيها.

والمراد بشرك الطاعة: تقديم طاعة غير الله تعالى على طاعة الله تعالى في حال الإختيار.

والمراد بشرك التوكل: تفويض الأمر إلى غير الله تعالى والركون إليه في تحصيل المطالب وتحقيق الغايات.

١٢ـ كيف يدخل الشرك في الإرادة. مع الدليل.

الجواب: يدخل الشرك في الإرادة عندما يقدم المرء ما يريده هو من الأقوال والأفعال في حال الاختيار على ما يريده الله تعالى منها، عالماً بتحريم ذلك، ومستحلاً له.

الدليل: قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟﴾[(١)].

١٣ـ كيف يدخل الشرك في المحبة مع الدليل.

الجواب: يدخل الشرك في المحبة عندما يقدم المرء محبة غير الله تعالى على محبة الله تعالى أو يسوّي بين الله تعالى وغيره في ذلك. ويظهر أثر ذلك في الانقياد والطاعة وقد قيل:

---

(١) الحجرات آية ١.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	عار عليك إذا فعلت فظيع
لو كان الحب منك صادقاً لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

الدليل: قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(١).

١٤ـ كيف يدخل الشرك في التوكل. مع الدليل، وهل يغني توكل القلب عن توكل الجوارح ولماذا.

الجواب: يدخل الشرك في التوكل عندما يفوض المرء أمره إلى غير الله تعالى ويطمئن إليه وإن كان قد أفضى به إلى محظور شرعي.

الدليل: قال تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢).

ولا يغني توكل القلب الذي هو العزم على فعل الشيء والرضى بنتائجه، عن توكل الجوارح الذي هو الأخذ بالأسباب المادية لتحقيق المطلوب، كشراء السلاح والتدريب عليه قبل خوض المعركة. قال تعالى ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾(٣) وقد كان النبي ﷺ إذا عزم على دخول معركة تقلد السيف وتنكب الرمح ولبس الدرع وأعدّ للحرب عدتها، ورضى بنتائجها. قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٤).

١٥ـ كيف يدخل الشرك في الطاعة. مع الدليل.

الجواب: يدخل الشرك في الطاعة عندما يقدم المرء طاعة غير الله تعالى على طاعة الله في حال الاختيار مع العلم بتحريم ذلك. مستحلاً له.

الدليل: قال تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾(٥).

---

(١) البقرة آية ٦٥.
(٢) المائدة آية ٢٣.
(٣) آل عمران آية ١٥٩.
(٤) الأنفال آية ٦٠.
(٥) الأنعام آية ١٢١.

١٦- من صور الشرك الإيجابي في الألوهية: الشرك اللساني. فما معناه مع التمثيل.

الجواب: يدخل الشرك اللساني على المرء عندما يقول بلسانه كلاماً محرماً في الشرع مستحلاً له مع علمه بالتحريم في حال الاختيار.

مثال ذلك: التلفظ بكلمة الكفر، كتحقير ما عظم الله تعالى أو تعظيم ما حقر الله تعالى، كمن سب الله أو رسوله أو دينه، أو عظم المبادىء المنحرفة وأشاد بالضالين.

١٧- كيف يدخل الشرك في الدعاء. مع الدليل، وما هي شروط صحة الدعاء.

الجواب: يدخل الشرك في الدعاء عندما يتوجه المرء بالطلب إلى غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كمن يدعو صاحب قبر ليهبه الولد أو يوسّع عليه في الرزق أو ينزل عليه النصر مثلاً، سواء كان المدعو نبياً أو ولياً أو شهيداً أو غير ذلك.

والدليل: قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾[1].

وشروط صحة الدعاء:

أولاً: إيمان الداعي. قال تعالى ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾[2].

ثانياً: العدل في الدعاء. بأن لا يطلب ما يخالف سنن الحياة، لأن ذلك من العدوان في الدعاء ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[3].

ثالثاً: طيب الكسب: لقوله ﷺ (يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة).

١٨- كيف يدخل الشرك في الحلف. مع الدليل.

الجواب: الحلف هو تأكيد المحلوف عليه بأعظم معظم عند الحالف، ولا شيء أعظم عند المسلم من الله تعالى، فلا يجوز الحلف بغير الله تعالى، ومن فعل ذلك مع العلم بالتحريم فقد أشرك، إذا كان مستحلاً له.

---

(١) الجن آية ٢٠.
(٢) الرعد آية ١٤.
(٣) الأعراف آية ٥٥.

الدليل: قال ﷺ (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).

١٩ـ كيف يدخل الشرك في النذر. مع الدليل. وما حكم النذر في الشرع مع التعليل.

الجواب: النذر هو إلزام المرء نفسه بطاعة لم يوجبها الشرع عليه وتعليق حصوله بنزول نعمة أو زوال نقمة. ويدخل الشرك فيه عندما يلزم المرء نفسه بمعصية، لأنه يكون قد ألزم نفسه بما حرمه الله تعالى وجعله مقدماً على ما ألزمه الله تعالى مما أباحه أو فرضه.

والدليل: قال ﷺ (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه).

وحكم النذر: أنه مكروه في الأصل، لكنه إذا حصل وجب الوفاء به، لأنه يدل على بخل صاحبه إذ لا يفعل الطاعة إلا بمقابل كما قال ﷺ (إنما يستخرج به من البخيل).

٢٠ـ من صور الشرك الإيجابي في الألوهية: الشرك الجوارحي. فما معناه مع التمثيل.

الجواب: الشرك الجوارحي هو ما يصدر عن المرء من فعل مخالف لشرع الله تعالى مع علمه بالتحريم واستحلاله للمخالفة.

الدليل: إن المطلوب من المسلم أن يخضع جوارحه لشرع الله تعالى فإن أخضعها لغيره مع علمه بالتحريم واستحلال المخالفة فقد أشرك ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

٢١ـ كيف يدخل الشرك الجوارحي في القيام، مع الدليل والتمثيل.

الجواب: القيام على جهة التعظيم والتقديس لا يجوز أن يكون إلا لله تعالى: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[2] فمن قام لغير الله تعالى بقصد التعظيم والتقديس كما يقوم لله تعالى فقد أشرك.

---

(١) الأنعام آية ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) البقرة آية ٢٣٨.

الدليل: قوله ﷺ (من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار) لأنه يكون قد جعل نفسه شريكاً لله تعالى في حق التعظيم والتقديس.

مثاله: ما كان يفعله العجم بملوكهم من الوقوف بالقرب من الملك، وعدم الإتيان بحركة مهما كبرتْ أو صغرتْ تعظيماً للملك وتقديساً له من الإنشغال عنه بغيره، كما قال ﷺ حين نهاهم عن القيام له (هذا ما تفعله الأعاجم بملوكها، ولست بملك).

فمن قام لغيره تعظيماً وتقديساً فقد أشرك، ومن قام له ترحيباً واحتراماً فلا حرج، كما يرى ابن حجر والنووي وابن تيمية وغيرهم من أهل العلم.

٢٢ـ كيف يدخل الشرك في الركوع مع الدليل والتمثيل.

الجواب: الركوع هو الانحناء بالجسم على جهة التعظيم، وهو هيئة لا تكون إلا لتعظيم الله تعالى، لأنها عبادة، وقد قال ﷺ (أما الركوع فعظموا فيه الرب) فمن انحنى لغير الله تعالى مع العلم بالتحريم مستحلاً فقد أشرك.

الدليل: قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1].

وما يفعله كثير من الناس من الإنحناء للتحية عند اللقاء وفي المسارح فإنه من الشرك، فيجب اجتنابه.

٢٣ـ كيف يدخل الشرك في السجود. مع الدليل والتمثيل.

الجواب: السجود رمز الخضوع التام والإجلال، ولا يجوز أن يكون ذلك لغير الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾[2] فالسجود عبادة كما الركوع، فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

٢٤ـ كبف يدخل الشرك في الذبح لغير الله تعالى مع الدليل. وما حكم الذبح عند النصب التذكارية والقبور.

الجواب: الذبح إزهاق الروح بقطع الودجين والحلقوم من العنق، ولما كانت

---

(١) الإسراء آية ٢٣.
(٢) الحج آية ٧٧.

الروح قد أودعها الله تعالى في البدن فلا يجوز إزهاقها إلا بإذنه تعالى، وباسم الله عز وجل، فمن سمى غير الله تعالى على الذبيحة فقد أشرك بالله تعالى، إذا علم بالتحريم واستحل ذلك الفعل.

الدليل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[1].

ولا يجوز الذبح عند النصب التذكارية والقبور، لأنه من مظاهر الشرك لما فيه من تعظيم غير الله تعالى.

٢٥ـ ما هي عمدة اعتبار المخالفة الشرعية شركاً أكبر. علل ودلل.

الجواب: العمدة في اعتبار المخالفة الشرعية شركاً أكبر هي ما إذا كان فاعل الشرك عالماً بتحريم ما يفعل، لقوله تعالى ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[2] وكان مستحلاً لما يفعل من الحرام، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[3].

والعلة في اعتبار ذلك شركاً هي أن من استحل ما حرم الله تعالى يكون قد جعل ما يريده هو مقدماً على ما يريده الله تعالى مما شرعه الله تعالى وقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا﴾[4].

٢٦ـ من أنواع الشرك الأكبر: الشرك في الأسماء والصفات، فما هو، وما هي أنواعه.

الجواب: الشرك في الأسماء والصفات هو ضم غير الله تعالى إليه في إثبات صفات الكمال والتنزيه عن صفات النقص.

وهو على نوعين:

---

(١) الأنعام آية ١٢١.
(٢) الأنعام آية ١٩.
(٣) النحل آية ١١٦.
(٤) الحجرات آية ١.

النوع الأول: شرك سلبي. وهو نفي الصفات عن الله تعالى كلياً أو جزئياً.

النوع الثاني: شرك إيجابي، وهو إثبات صفات الله تعالى على نحو ما هي ثابتة للخلق.

٢٧ـ من أنواع الشرك في الأسماء والصفات: الشرك السلبي، فما هو وما هي صوره.

الجواب: الشرك السلبي في الأسماء والصفات هو نفي صفات الجلال والكمال عن الله تعالى بحجة الخوف من التجسيم.

وله صورتان:

الصورة الأولى: سلبي كلي، وهو نفي أسماء الله تعالى وصفاته، كالجهمية.

الصورة الثانية: سلبي جزئي، وهو نفي الصفات دون الأسماء. كالمعتزلة.

٢٨ـ من أنواع الشرك في الأسماء والصفات: الشرك الإيجابي. فما هو، وما هي صوره.

الجواب: الشرك الإيجابي في الأسماء والصفات هو إثبات صفات الله تعالى على نحو ما هي ثابتة للمخلوقين وبالعكس بحجة الاشتراك في اللفظ.

وله صورتان:

الصورة الأولى: إيجابي كلي، وهو إثبات صفات الله تعالى على نحو ما هي ثابتة للمخلوقين وله حالتان: الأولى: تشبيه خالق بمخلوق. كما فعل الكرامية المجسمة. الثانية: تشبيه مخلوق بخالق. كما فعل النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، وكما فعل اليهود في قولهم: عزير ابن الله، وكما فعل بعض العرب في قولهم: الملائكة بنات الله.

الصورة الثانية: إيجابي جزئي. وهو إثبات بعض صفات الله تعالى ونفي البعض الآخر بالتأويل تقديماً للعقل على النقل. كما فعل الأشعرية الكلابية بإثبات عشرين صفة وتأويل ما عداها، والحكم هنا إنما هو على المبدأ لا على الأشخاص والاتباع.

٢٩- هل يجوز وصف الجهمية أو المعتزلة أو الأشعرية أو المفوضة بالشرك، ولماذا وما الدليل على ما تقول.

الجواب: لا يجور وصف هؤلاء بالشرك بأعيانهم، وإنما يوصف القول بذلك دون القائل. لاحتمال أن يكون القائل لديه شبهة، أو لا يكون الدليل قد بلغه، وقد قال تعالى ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[1] وفي الحديث (ادرؤا الحدود بالشبهات) ويدخل معه ما نحن فيه.

والدليل: قوله ﷺ (من قال لأخيه يا كافر، فإن كان كما قال وإلاّ رجعت عليه) وفي الحديث أيضاً (من قال لمسلمٍ يا كافر فهو كقتله).

(١) الأنعام آية ١٩.

تمارين الدرس العاشر:

الشرك الأصغر وأنواعه

١ـ ما معنى الشرك الأصغر وما الدليل على تسميته بذلك، وما هي أنواعه.

الجواب: الشرك الأصغر: هو طروُ إرادة وجه غير الله تعالى فيما يراد به وجه الله تعالى من الأقوال والأفعال.

أنواعه: ثلاثة:

الأول: شرك قلبي. كالرياء.

الثاني: شرك لساني. كالتوسل.

الثالث شرك جوارحي. كالرقية بالطلاسم والرموز.

٢ـ من أنواع الشرك الأصغر: الشرك القلبي. فما المراد به. وما هي أنواعه. مع الدليل.

الجواب: الشرك القلبي: هو فعل العبادة مع مراعاة وجه غير الله تعالى.

أنواعه: رياء أصلي ورياء إضافي.

النوع الأول: الرياء الأصلي، وهو أن يقصد بالعبادة جه الناس ابتداء بحيث لو لم يره الناس ما فعلها.

النوع الثاني: الرياء الإضافي. وهو أن يقصد بالعبادة وجه الله تعالى، ثم حين علم بمراقبة غيره له راح يزينها بحيث أنه يفعل تلك العبادة ولو لم يره الناس.

الدليل: قوله ﷺ (إياكم وشرك السرائر. قالوا: وما شرك السرائر يا رسول الله قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه).

٣ـ من أنواع الشرك الأصغر: الشرك اللساني. فما المراد به مع التمثيل وذكر الدليل والتصويب.

الجواب: الشرك اللساني هو استعمال عبارة توهم قصد الشرك وإرادتهُ على جهة التساهل.

مثاله: أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان. فإن الواو توهم تشريك العبد في مشيئة الله تعالى.

والدليل: أن النبي ﷺ عندما سمع رجلاً يقول: ما شاء الله وشئت يا رسول الله. قال له: ويحك أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده، والصواب: أن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان.

٤ـ ما هي صورة الشرك الأصغر اللساني مع التمثيل والدليل والتصويب.

الجواب: صوره عديدة:

الصورة الأولى: التسوية بين الله تعالى وبين خلقه في العبارة لا في الاعتبار.

مثاله: ما شاء الله وما شاء فلان. لولا الله وفلان لحصل كذا وكذا.

الدليل: قوله ﷺ لمن قال له: ما شاء الله وشئت يا رسول الله: ويحك أجعلتني لله نداً. بل ما شاء الله وحده.

وتصويبه: أن يقول ما شاء الله ثم شئت، ولولا الله ثم فلان.

الصورة الثانية: نسبة النعمة إلى غير الله تعالى.

مثاله: أن يقال نزل المطر بنوء كذا، ومنه ما ينسب إلى الأبراج والنجوم.

الدليل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] وفي الحديث (من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر بالله مؤمن بالكواكب).

والصواب: أن يقول: مطرنا بنعمة الله وفضله.

الصورة الثالثة: التوسل إلى الله تعالى ببعض المخلوقين.

مثاله: أن يقال اللهم أتوسل إليك بفلان أن تغفر لي.

الدليل: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

---

(١) العنكبوت آية ٦٣.

﴿ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1] فلا واسطة بين الله تعالى وبين خلقه. وقوله تعالى ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] والمتوسل به ملكاً كان أو نبياً أو ولياً ليس من عمل المتوسل وإنما هو من عمل الله تعالى، كما أن جاه فلان أو فلان المتوسل به ليس من عمله وإنما هو من تفضل الله تعالى عليه.

والصواب: أن يكون التوسل بالإيمان والعمل الصالح، بأن يقال: أتوسل إليك بإيماني بنبيك أو بمتابعتي لنبيك، فيصح، لأن الإيمان من عمل القلب والمتابعة من عمل الجوارح.

٥ـ من أنواع الشرك الأصغر: الشرك الجوارحي، فما المراد به مع التمثيل والدليل، وما هي صورته.

الجواب: الشرك الجوارحي: هو تعاطي أعمال قولية أو فعلية تحمل معنى الانصراف عن التوكل على الله تعالى.

مثاله: تعليق تميمة من كتابة أو خرز أو خيط ونحو ذلك لدفع شرّ متوقع أو بلاء متوهم.

الدليل: قوله ﷺ (من تعلق تميمة فلا أتم الله له) وفي رواية (من تعلق تميمة وكل إليها).

وفي القرآن ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[3].

صوره: عديدة منها: الرقية والتميمة والتولة والتبرك.

٦ـ من صور الشرك الأصغر الجوارحي: الرقية. فما معناها، ومتى تكون مشروعة ومتى لا تكون، وهل يجوز تعليق الرقية إن كانت كتابة أم لا، ولماذا.

الجواب: الرقية هي أدعية تقرأ أو تكتب لمرض أو حمى أو عين.

---

(١) البقرة آية ١٨٦.

(٢) النحل آية ٣٢.

(٣) يوسف آية ١٠٦.

وتكون مشروعة إذا كانت بآيات قرآنية أو أدعية نبوية أو أذكار مشروعة، ولا تكون كذلك إذا كانت بما ليس مشروعاً منها، مما يتضمن الاستعانة أو الاستغاثة بغير الله تعالى، أو كانت برموز وطلاسم، لأنها تكون من التعامل مع الجن يستعملها المشعوذون والسحرة. كما كان الناس يفعلونه في الجاهلية.

أما تعليق الرقية: فإن كانت غير مشروعة فلا يجوز مطلقاً، وإن كانت مشروعة فاختلف في كتابتها وتعليقها والأكثر على عدم الجواز لئلا تضعف توكل صاحبها على الله تعالى بتعلقه بها لقوله ﷺ: (من تعلق تميمة وكل إليها).

٧ـ من صور الشرك الأصغر الجوارحي: التميمة. فما معناها. وما الدليل على تحريمها، ومتى تكون شركاً أصغر ومتى تتحول بصاحبها إلى الشرك الأكبر.

الجواب: التميمة هي ما يعلق على الأولاد والبهائم والممتلكات من خيط أو عظم أو خرز أو غير ذلك لدفع الحسد عنه.

والدليل على تحريمها: قوله ﷺ (من تعلق تميمة فلا أتم الله له) (من تعلق تميمة وكل إليها).

وتكون شركاً أصغر إذا اعتقد أن الله تعالى هو الذي يدفع الشرّ وهي سبب في ذلك.

وتتحول بصاحبها إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد أنها تدفع عنه الأذى بذاتها، فإن الله تعالى هو النافع الضار.

الدليل: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[١].

٨ـ من صور الشرك الأصغر الجوارحي: التولة، فما معناها، وما الدليل على تحريمها، ولماذا، وما حكم الكهانة، وكيف يدخل الشرك في ذلك مع الدليل.

الجواب: التولة هي ضرب من السحر تفعله المرأة بنفسها أو عبر غيرها من المشعوذين السحرة من أجل أن تحبب زوجها بنفسها أو تبغضه في غيرها كي لا يتزوج عليها، وقد يفعله الرجل بامرأته أيضاً.

---

(١) التوبة آية ٥١.

والدليل على تحريمها: قوله ﷺ (التولة شرك التولة شرك التولة شرك) وذلك لما فيها من التعامل مع الجن، وهم لا يخدمون من يلجأ إليهم إلاّ إذا صرف إليهم نوعاً من أنواع العبادة القولية أو الفعلية، وذاك شرك بالله تعالى.

والكهانة حرام، وهي ادعاء الإخبار عن المغيبات، كالمسروقات ونحوه.

ويدخل من يتعاطاها في الشرك لأنها إنما تتم بالتعاون بين الكاهن والجنى الذي يخبره عنها بعد أن يصرف له الكاهن بعض أنواع العبادة.

والدليل: قوله ﷺ (ليس منا من تكهن أو تكهن له) وقال أيضاً (من أتى عرافاً فسأله وصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ).

٩- من صور الشرك الجوارحي: التبرك، فما معناه، ومتى يكون شركاً أصغر ومتى يتحول بصاحبه إلى شرك أكبر، ثم اذكر بعض صور التبرك، وما دليل التحريم.

الجواب: التبرك هو طلب الزيادة والنماء في الأشياء أو الأحياء ولا تكون البركة إلا من الله تعالى لأنه هو الذي يحيي ويميت، والنماء في النبات والحيوان والإنسان لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فطلبه من غير الله تعالى نوع من الشرك.

يكون التبرك شركاً أصغر إذا اعتقد في الشيء المتبرك به أنه سبب في تحصيل البركة.

ويكون شركاً أكبر إذا اعتقد أنه تحصل به البركة لذاته.

مثال ذلك: أن يتمسح المرء بالقبور أو غيرها طلباً للبركة منها.

الدليل: عندما مرّ النبي ﷺ في الطائف بشجرة للمشركين تدعى ذات أنواط، قال بعض من أسلم حديثاً: يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: قد والله قلتم كما قال أصحاب موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[1].

---

(١) الأعراف آية ١٣٨.

١٠ـ ما قولك فيما قيل من أن الصحابة تبركوا ببعض آثار النبي ﷺ كمبادرتهم إلى وضوئه يوم الحديبية وتسابقهم إلى شعره حين حلق رأسه بعد أن تحلل من إحرامه.

الجواب: إن ذلك من خصائص النبي ﷺ ولا يصح من غيره، فإن للنبي ﷺ خصائص لا يشاركه فيها غيره. كما ذهب إلى ذلك الإمام أحمد وغيره.

والدليل: أنه لم ينقل أن الصحابة تبركوا بأحد من أصحابه بمن فيهم كبارهم وعظماؤهم كالخلفاء الأربعة أو العشرة المبشرين بالجنة.

١١ـ لماذا قطع عمر بن الخطاب شجرة بيعة الرضوان.

الجواب: إن هذه الشجرة هي التي تم تحتها بيعة الرضوان، حيث أخذ فيها النبي ﷺ البيعة على القتال ضد المشركين في الحديبية حين بلغه أن المشركين قتلوا عثمان بن عفان، الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى مكة للتفاوض مع المشركين في دخول النبي ﷺ وأصحابه مكة لأداء مناسك العمرة.

وكان قطعها في عهد عمر بن الخطاب من باب سدّ الذريعة، لأن هناك من جعل يقصدها للتبرك بها.

١٢ـ من صور الشرك الأصغر الجوارحي: التطير والتشاؤم. فما معنى كل، ولماذا نهى عنه الشرع، ومتى يقع فاعله في الشرك الأصغر ومتى يتحول به إلى الشرك الأكبر مع الدليل.

الجواب: التشاؤم: هو ما ينزل بالمرء من الحدس والتخمين عند رؤية أو سماع بعض الأشياء. كما لو رأى إنساناً أو حيواناً مصاباً بعطب، فيمنعه ذلك من مواصلة ما كان يريد فعله من سفر أو زواج أو نحو ذلك.

والتطير: أن يقصد المرء الطير في أوكارها إذا أراد سفراً أو غيره فينفرّها، فإن اتجهت يميناً في طيرانها تفاءل ومضى إلى ما يريد، وإن اتجهت شمالاً تشاءم وتراجع. كما كان العرب في الجاهلية يفعلون.

وقد نهى الشرع عنه لما فيه من اعتقاد النفع أو الضرر في هذه الأشياء التي لا تملك الدلالة على شيء من ذلك.

يقع المتطير أو المتشائم في الشرك الأصغر إذا اعتقد في تلك الأشياء أنها سبب يبعث على توقع الخير أو الشرّ، ويتحول به ذلك إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد أنها بذاتها توقع الخير أو الشرّ.

الدليل: قوله ﷺ (الطيرة شرك) وقال (لا عدوى ولا طيرة).

١٣ـ كيف توفق بين تقرير التشاؤم في حديث (الشؤم في ثلاث: المرأة والدابة والدار) وبين تحريمه في حديث (الطيرة شرك).

الجواب: حديث (الشؤم في ثلاث) المقصود به حكاية ما كان عليه العرب في الجاهلية. ولا يقصد به تقرير ذلك. وحديث (الطيرة شرك) يقصد به تقرير حكم شرعي.

١٤ـ متى يكون التشاؤم محرماً ومتى لا يكون، وما كفارة ذلك لمن وقع فيه، وما الدليل على ذلك.

الجواب: يكون التشاؤم محرماً إذا حمل على ترك ما كان المرء قد عزم على فعله، وإلا بأن لم يرده عن فعل ما عزم عليه فلا تحريم فيه.

الدليل: أن النبي ﷺ كان إذا نزل في الغزو على بلدة سأل عن اسمها فإن كان حسناً أعجبه ذلك وتفاءل، وإلا لم يعجبه وتشاءم دون أن يمنعه ذلك عن فعل ما عزم على فعله لقوله تعالى ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] ولا يصح لمن توكل على الله تعالى أن يتراجع بسبب شيء من أسباب التشاؤم.

وكفارة من وقع في التشاؤم ما ورد في الحديث عندما ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ قال: (أحسنها الفأل الحسن، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيآت إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك).

---

(١) آل عمران آية ١٥٩.

تمارين الدرس الحادي عشر:

الإيمان بالملائكة

١ـ عرف الملائكة لغة واصطلاحاً، وما الدليل على الإيمان بهم من الكتاب والسنة؟

الجواب: الملائكة لغة: جمع مَلَك، وهذا اللفظ مشتق من الألوكة وهي بمعنى الرسالة، ومنه قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾(١).

اصطلاحاً: ـ الملائكة مخلوقات نورانية يسند إليها الله تعالى أمر القيام بمهام مختلفة في هذا الكون.

وقد ورد الإيمان بهم في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾(٢).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره، عندما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ: «قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى».

٢ـ كيف ترد على من ينكر وجود الملائكة من الناحية العقلية؟

الجواب: الإنسان يدرك المحسوسات وليس من حقه أن ينكر ما ليس تحت حواسه، لأن هذه الحواس محدودة، وما دامت محدودة وهناك عوالم كثيرة ومخلوقات لا حصر لها لا تقع تحت حواس الإنسان، فإنه لا يصح إنكار ما لا يقع تحت هذه الحواس من الأشياء، ومنها الملائكة، ما دام أنه قد صح الخبر به.

٣ـ ما هي مادة خلق الملائكة مع الدليل، وما هي أهم طبائعهم مدللاً على ما تقول؟

الجواب: الملائكة خلقت من نور كما في الحديث الذي رواه مسلم

(١) فاطر آية ١.
(٢) البقرة آية ٢٨٥.

وأحمد: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم».

ومن طبائعهم: خلقهم الله تعالى لعبادته فانقادوا لطاعته: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[١]، ومن طبائعهم أنهم لا يتقدمون على أمر الله ولا يتأخرون عنه ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[٢]، ومن طبائعهم أنهم يتشكلون بهيئات مختلفة، جاءوا لإبراهيم عليه السلام على هيئة ضيوف فظنهم بشر، وذهب إلى أهله فجاء بعجل حنيذ مشوي وقدمه إليهم، ولكنهم لم يأكلوا وعرف بعد ذلك أنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾[3].

٤ـ من طبائع الملائكة: القدرة على التشكل بهيئات مختلفة، فما الدليل على ذلك، واذكر جملة من صور تشكل الملائكة؟

الجواب: تشكلت الملائكة على هيئة شباب مرد حسان وزاروا لوطاً عليه السلام، ولما علم بهم قوم لوط عليه السلام وكانوا يفعلون الفاحشة قصدوهم لأجلها، ولكن الله تعالى صرفهم بأن سلط الملائكة عليهم: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾[٤]. وأيضاً تشكل جبريل عليه السلام على هيئة رجل صالح كريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾[٥]، وأيضاً ظهر جبريل عليه السلام على هيئة صورته الملكية ذات مرة في مكة ورآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح

---

(١) الأنبياء آية ١٩ ـ ٢٠.
(٢) الأنبياء آية ٢٦ ـ ٢٧.
(٣) الذاريات الآيات ٢٤ ـ ٢٨.
(٤) العنكبوت آية ٣٣.
(٥) مريم آية ١٦ ـ ١٨.

يسد الأفق من عظمته وضخامته رجلاه في الأرض ورأسه في السماء وأجنحته ما بين الخافقين.

٥ـ ما هي علاقة الملائكة بالله تعالى مع الدليل؟

الجواب: علاقة الملائكة بالله تعالى تسبيح وطاعة وعبادة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]، وهذا التسبيح مستمر ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2] وتلك الطاعة كاملة لأن الله تعالى خلقهم لعبادته: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3]. وتلك العبادة دائمة: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[4].

٦ـ ما هي علاقة الملائكة بالكون مع الدليل؟

الجواب: علاقة الملائكة بالكون مختلفة بحسبهم، فمن الملائكة من هم موكلون بالمطر، ومنهم موكلون بالجبال، ومنهم موكلون بالأرزاق، ومنهم موكلون بالرياح وهكذا: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾[5]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾[6]، وأيضاً فإن الله تعالى قد وصفهم بأنهم جنوده: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[7]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[8] هذا من جهة العلاقة بالكون في الدنيا، وأما علاقتهم بالآخرة: فهناك ملائكة لأهل الجنة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[9]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[10] ﴿وَتَرَى

---

(١) الجمعة آية ١.
(٢) الأنبياء آية ٢٠.
(٣) التحريم آية ٦.
(٤) النساء آية ١٧٢.
(٥) المرسلات آية ١ ـ ٦.
(٦) النازعات آية ١ ـ ٥.
(٧) الفتح آية ٧.
(٨) المدثر آية ٣١.
(٩) الرعد آية ٢٣.
(١٠) الزمر آية ٧٣.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[1]، وأيضاً هناك ملائكة لأهل النار وعلى رأسهم مالك: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[2]، وقد أخبر النبي ﷺ أن البيت المعمور في السماء يدخله ـ وفي رواية: يصلّي فيه ـ كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه إلى قيام الساعة.

٧ـ ما هي علاقة الملائكة بالإنسان مع الدليل؟

الجواب: هناك ملائكة لنفخ الروح في البشر، وهناك ملائكة لقبض الأرواح.

وفي الحديث: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح ويكتب أجله وعمله وشقي أو سعيد»، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾[3]، وهناك ملائكة تحفظ الإنسان بأمر الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[4]، وهناك ملائكة يكتبون الحسنات والسيئات ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[5]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[6]، وهناك ملائكة يبحثون عن مواطن الذكر وفي الحديث: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

الإيمان بوجود الجن

١ـ عرف الجن لغة واصطلاحاً، وما الدليل على وجودهم من الكتاب والسنة؟

الجواب: الجن لغة: لفظ مشتق من الاجتنان ومعناه الاستتار والخفاء: ﴿إِنَّهُۥ

---

(١) الزمر آية ٧٥.
(٢) الزخرف آية ٧٧.
(٣) النازعات آية ١ ـ ٢.
(٤) الرعد آية ١١.
(٥) ق آية ١٨.
(٦) الإنفطار آية ١٠ ـ ١٢.

﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1]، ومنه سميت الجنة جنة لأنها تستر من فيها بما فيها من أشجار ملتفة، ومنه الجنين لأنه مستور عن الأنظار، ومنه الجنون لاستتار العقل.

اصطلاحاً: الجن مخلوقات غيبية مادة خلقها النار أو ألسنة اللهب: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾[2].

والدليل على وجودهم قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾[3]، ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾[4]، ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[5]، وفي الحديث الذي رواه مسلم وأحمد: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم».

٢ـ ما هي مادة خلق الجن مع الدليل وكيف ترد على من ينكر وجودهم بالدليل العقلي؟

الجواب: خلق الجن من النار أو ألسنة اللهب لقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾[6]، وفي الحديث الصحيح: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم».

والإنسان يدرك المحسوسات من حوله وليس من حقه أن ينكر ما ليس تحت حواسه، لأن هذه الحواس محدودة، وهناك عوالم كثيرة ومخلوقات لا حصر لها لا تقع تحت حواس الإنسان، وبالتالي لا يصح إنكار ما لا يقع تحت هذه الحواس من الأشياء، فلا يصح إنكار وجود الجن ما دام أنه قد صح الخبر به.

---

(١) الأعراف آية ٢٧.
(٢) الحجر آية ٢٧.
(٣) الرحمن آية ١٥.
(٤) الحجر آية ٢٧.
(٥) الأعراف آية ٢٧.
(٦) الحجر آية ٢٧.

٣ـ للجن طبائع منها ما يتفق مع الملائكة ومنها ما يختلف اذكر ثلاثاً من كل مع الدليل؟

الجواب: من الطبائع التي تتفق فيها الجن مع الملائكة:

١ـ أنهم مخلوقات غيبية: ففي الجن ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1] وفي الملائكة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١﴾[2] فهم معنا ولكننا لا نراهم.

٢ـ قدراتهم هائلة: ففي الملائكة ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢﴾[3] فقد أرسل الله تعالى ملكاً على مدينة قوم لوط فاقتلعها وجعل عاليها سافلها وأمطرها بالحجارة المذكورة. ومن الجن الذين سخرهم الله تعالى لسليمان ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝٣٩ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾[4] وقد كان سليمان في فلسطين وكان عرش بلقيس باليمن.

٣ـ القدرة على التشكل بهيآت مختلفة، كما تشكل الملائكة على هيئة ضيوف لإبراهيم عليه السلام، وتشكل الشيطان على هيئة سارق من بيت المال لأبي هريرة رضي الله عنه.

ومن الطبائع التي تختلف فيها الجن مع الملائكة:

١ـ الملائكة كلهم طائعون لله تعالى ﴿شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[5] والجن فيهم الطائعون وفيهم العصاة ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ﴾[6].

---

(١) الأعراف آية ٢٧.
(٢) الإنفطار آية ١٠ ـ ١١.
(٣) هود آية ٨٢.
(٤) النمل آية ٣٨ ـ ٤٠.
(٥) التحريم آية ٦.
(٦) الجن آية ١٤.

٢ـ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، فقد امتنعوا عن تناول الطعام الذي قدمه لهم إبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾[1] وأما الجن فإنهم يأكلون ويشربون، فقد قال ﷺ بعد أن نهى عن الاستنجاء بالعظم والروث (إنها من طعام إخواننا من الجن) وأخبر عن الشيطان أنه (يأكل بشماله ويشرب بشماله).

٣ـ الملائكة ليس فيهم ذكورة وأنوثة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾[2] وأما الجن ففيهم ذكور وفيهم إناث ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[3] وما دام فيهم رجال ففيهم إناث، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾[4] وما دام أن للشيطان ذرية فإن فيهم ذكوراً وإناثاً.

٤ـ ما الدليل على أن الجن يتشكلون وأن أشكالهم قبيحة؟

الجواب: تشكل إبليس في عهد النبي ﷺ عندما تآمرت قريش على النبي ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[5]، على هيئة رجل أعرابي وجاء إلى قريش عندما اجتمعوا في دار الندوة للنظر بشأن النبي ﷺ ليشارك برأيه في هذا الموضوع. وتشكل الشيطان على هيئة رجل سارق عندما كان أبو هريرة أمين بيت مال المسلمين في عهد النبي ﷺ، فالجن تتشكل بأشكال مختلفة على هيئة بشر وأحياناً على هيئة بعض المخلوقات مثل: الشجر أو الحجر أو الهر أو الكلب ونحو ذلك لحكمةٍ يريدها الله تعالى. والجن أشكالهم قبيحة كما قال تعالى في شأن شجرة الزقوم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾[6].

---

(١) هود آية ٧٠.
(٢) النجم آية ٢٧ ـ ٢٨.
(٣) الجن آية ٦.
(٤) الكهف آية ٥٠.
(٥) الأنفال آية ٣٠.
(٦) الصافات آية ٦٥.

٥ـ ما الدليل على أن الجن يتناسلون وهل يرد عليهم الموت في هذه الحياة، دلل لما تقول؟

الجواب: الجن يتناسلون كالإنس كما قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾(١) ويرد عليهم الموت لأنهم يأكلون ويشربون، وفي الحديث: «إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»، وفي الحديث أيضاً: «اللهم أنت الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون».

٦ـ تتفاوت قدرات الجن فيما بينهم فما الدليل النقلي على ذلك؟

الجواب: من طبائع الجن أن لهم قدرات هائلة وسرعة خارقة، ومن الأدلة على ذلك قصة سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ، عندما طلب سليمان عليه السلام من الجن أن يأتوه بعرشها كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾(٢)، وكانوا يتخذون من السماء الدنيا مقاعد للسمع، أي أن لهم قدرة خارقة في اجتياز المسافات البعيدة كما قال تعالى عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾(٣).

٧ـ اعقد مقارنة شاملة بين الملائكة والجن؟

الجواب: الملائكة خلقوا من نور والجن خلقوا من نار، الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون، والجن يأكلون ويشربون ويتناسلون، الملائكة لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون، والجن منهم من يعصي الله تعالى ولا يفعلون ما يؤمرون، الملائكة يتشكلون بهيئات مختلفة ولكن بأشكال حسنة، والجن يتشكلون بهيئات مختلفة ولكن بأشكال قبيحة، في بعض الأحيان، والملائكة لهم قدرات

---

(١) الكهف آية ٥٠.

(٢) النمل آية ٣٨ ـ ٤٠.

(٣) الجن آية ٨ ـ ٩.

هائلة وسرعة خارقة، والجن لهم قدرات هائلة وسرعة خارقة، والملائكة علاقتهم بالله تعالى علاقة تسبيح وطاعة وعبادة، والجن علاقة بعضهم بالله تعالى علاقة عصيان واستكبار عن أوامره، والملائكة لهم علاقة بالكون بحسب ما قدر الله تعالى لهم من أعمال مختلفة، والجن لا علاقة لهم في تدبير الكون أصلاً، والملائكة علاقتهم بالإنسان بحسب ما كلّفهم الله تعالى به من أعمال ككتابة أقوال الإنسان وأعماله ونصرة المؤمنين في الحرب، وغير ذلك، والجن علاقتهم بالإنسان علاقة وسوسة وعلاقة عمالة وعلاقة تلبس وتحضير الأرواح.

٨ـ ما علاقة الجن بالله تعالى مع الدليل؟

الجواب: علاقة الجن بالله تعالى علاقة عبادة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[١].

٩ـ ما علاقة الجن بالكون مع الدليل؟

الجواب: لا علاقة للجن بالكون، لأنه لم يرد في ذلك نص لا في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ.

١٠ـ ما علاقة الجن بالإنسان مع الدليل؟

الجواب: علاقة الجن بالإنسان علاقة وسوسة: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾[٢]، وعلاقة عداء: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾[٣] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[٤]، وعلاقة عمالة وذلك حين يتلفظ الإنسي العميل بألفاظ كفرية ويصرف للجني نوعاً من العبادة يتقرب بها إليه فيكون قد كفر بالله تعالى، لأن الله تعالى لا يقبل أن يشرك به كما في الحديث: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»، وعلاقة تلبس وذلك في حالة غفلة الإنسان عن ذكر الله تعالى

(١) الذاريات آية ٥٦.
(٢) الأعراف آية ٢٠.
(٣) الكهف آية ٥٠.
(٤) فاطر آية ٦.

وحال ضعف روحه عن الهيمنة على البدن فيواقع المعاصي ويلبسه الشيطان ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1] وعلاقة تحضير الأرواح، وذلك أنه عندما يموت الإنسان لا تعود الروح إلى الجسد إلى يوم القيامة، وليس لأحد هيمنة أو سلطة على هذه الروح إلا الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[2] وقد قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[3] ولكن الذي يحضر في الحقيقة إنما هو قرين الميت فيوهم الآخرين أن الذي حضر هو روح الميت.

١١- من علاقة الجن بالإنس: الوسوسة، فما الدليل؟

الجواب: أعطى الله تعالى الجن قدرة كبيرة على التمويه والتزوير فيتمكن من إلباس الباطل لباس الحق وإلباس الحق لباس الباطل، فيعكس الحقائق بما عنده من قدرة على الوسوسة، كما قال تعالى في قصة آدم عليه السلام مع الشيطان: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾[4]، (فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواءتهما)، وهذه الوسوسة نابعة من عداوة الشيطان للإنسان، وقد نبه الله تعالى إلى هذا العداء فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[5]، ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾[6].

١٢- من علاقة الجن بالإنس: العمالة، فما دليل حدوث ذلك، وكيف تتم مع الدليل؟

الجواب: الجن ممنوع من الظهور للإنس، والإنس ممنوع من الاتصال

---

(١) البقرة آية ٢٧٥.
(٢) الزمر آية ٤٢.
(٣) فاطر آية ٢.
(٤) الأعراف آية ٢٠.
(٥) فاطر آية ٦.
(٦) يس آية ٦٠.

بالجن، ولا يتصل الإنسي بالجني إلا إذا صرف الإنسي له نوعاً من أنواع العبادة أو تلفظ بألفاظ كفرية، وفي هذه الحالة يصرف الجني للإنسي بعض أنواع من الخدمة في مقابل هذا الكفر والشرك كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[1]، ومن هنا نهى النبي ﷺ عن العرافة، ونهى عن الإتيان إلى العرّاف كما في الحديث: «من أتى عرافاً فسأله لم تقبل صلاته أربعين يوماً»، «من أتى عرافاً فسأله فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

١٣ـ من علاقة الجن بالإنس: التلبس، كيف يتم ذلك وما سببه وبم يعالج؟

الجواب: الإنسان مركب من جسد وروح، والروح عندما تلج في الجسد تهيمن عليه وينشأ عن ذلك حركة في البدن، فالروح هي الطاقة المحركة للبدن، وغذاء الجسد الطعام والشراب، وغذاء الروح الذكر والعبادة، فكلما ذكر الإنسان ربه عز وجل وعبده عبادة صحيحة كلما قويت روحه وتشتد في الهيمنة على هذا الجسد ويتعذر على الشيطان الولوج إليه، وبسبب الغفلة عن ذكر الله تعالى وعبادته يتمكن الشيطان من اختراق هذا البدن ومشاركة الروح في قيادته وعندئذ تظهر الشرور، فقد تظهر على هيئة تخبط، وقد تظهر على هيئة سلوك سلبي في هذه الحياة يؤدي لإحداث العنف والمشاكل والقلاقل بين الناس: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[2]، فالشيطان يتلبس الإنسان في حالة غفلته عن ذكر الله تعالى أي حال ضعف روحه عن الهيمنة على البدن ليجعله في حالة مزرية، ولذلك أمر الله تعالى بكثرة الذكر بالهيئة المشروعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[3]، والذكر غذاء للروح، والصلاة والصيام وكل العبادات غذاء للروح: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[4]، وأحياناً عندما يكون التلبس بالغاً وشديداً يتكلم الشيطان بلسان الملبوس، وأحياناً قد يكون الملبوس امرأة ولكن صوته صوت رجل والعكس،

---

(١) الجن آية ٦.
(٢) البقرة آية ٢٧٥.
(٣) الأعراف آية ٤١.
(٤) الأنعام آية ١٦٢.

وأحياناً يتكلم الشيطان بلغة لا يعرفها الملبوس في حالة سلامته، إذن فالتلبس ينشأ عن ضعف الروح، وسببه هجر ذكر الله تعالى أو ترك العبادات، وعلاجه الإكثار من ذكر الله تعالى بالصورة المشروعة كقراءة القرآن، والصلاة، والصيام، والحج، والعمرة، والزكاة، فكل هذه العبادات غذاء للروح، وعندما تقوى هذه الروح تهيمن على البدن وبالتالي تمنع الشيطان من الهيمنة عليه أو المشاركة في التحكم به.

١٤ـ من علاقة الجن بالإنس: تحضير الأرواح، فما معنى ذلك وهل يحصل ذلك حقيقة أم لا، وما الدليل؟

الجواب: عندما يأوي الإنسان إلى فراشه لينام فإنما يأوي إليه ليموت، ولكنه موت مؤقت، ولذلك فإنه يسمى موتة صغرى، وأما الموتة الكبرى فهي مفارقة الروح للبدن مفارقة كلية: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1]، والنبي ﷺ يقول: «النوم أخو الموت»، ولذلك فإن ما يقال من أن فلاناً يحضر الأرواح كذب وتدجيل على الناس، والحقيقة أنه ليس تحضيراً للأرواح وإنما هو تحضير للجن الذي كان قرين الميت، فيأتي الساحر الذي يتعامل مع الجن ويحضر القرين ويخاطبه والناس لا يرونه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[2]، والقرين يقلد الأصوات فيسمعه الناس وهو يتحدث بصوت فلان، فيظنون أن هذا صوت فلان، فيتوهمون بأنها روحه، وهذا ضرب من السحر، والاتصال بالجن، ولا يتم ذلك ـ كما قلنا ـ إلا بكلمات كفرية وأعمال شركية، عندئذ يخدم هذا الجني عميله من الإنس بحسب مصلحته وقد يتأخر عنه ليزيد تعلقه به: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾[3].

---

(١) الزمر آية ٤٢.
(٢) الأعراف آية ٢٧.
(٣) الجن آية ٦.

تمارين الدرس الثاني عشر:

الإيمان بالكتب

١ـ ما الدليل على مشروعية الإيمان بالكتب السماوية نقلاً وعقلاً؟

الجواب: الدليل على مشروعية الإيمان بالكتب في القرآن الكريم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾[1]، ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾[2]، وفي الحديث الصحيح عندما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ: «قال يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى».

ومن الناحية العقلية: الإنسان مخلوق ضعيف ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[3]، وله عدو كبير وخطير وهو الشيطان الرجيم الذي له من القدرة على التمويه والتزوير ما ليس عند الإنسان قدرة على تفاديه، ومن رحمة الله تعالى بهذا الإنسان أن زوده بأسلحة معنوية يواجه بها كيد الشيطان الرجيم، وذلك بالأحكام الاعتقادية والأحكام التشريعية التي تتضمنها كتب الله تعالى التي أنزلها على أنبيائه ورسله.

٢ـ ما هي أهمية الكتب السماوية للبشرية، وهل يمكن الاستغناء عنها ولماذا؟

الجواب: أنزلت الكتب السماوية لغايات منها: صيانة الإنسان من الشيطان، وحفظ الشرائع التي ينزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله في هذه الكتب، وليحتكم إليها الناس بعد الرسل فتكون هذه الكتب بمثابة قوانين تعالج قضايا الناس من الناحية الفردية ومن الناحية الجماعية على مختلف الصعد، الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري وغيرها.

---

(١) البقرة آية ٢٨٥.
(٢) الشورى آية ١٥.
(٣) النساء آية ٢٨.

ولا يمكن الاستغناء عن هذه الكتب لأن الإنسان مجبول على حب الشهوات: ـ شهوة المال والجاه والجنس ـ والإنسان بطبيعته يسعى لتلبية شهواته، فقد يعتدي ويظلم الآخرين من أجل تحقيق هذه الشهوات، وعندما تكون هناك شرائع سماوية تضبط هذه الشهوات يحقق كل فرد من أفراد المجتمع شهواته هذه بدون أن يعتدي أو يظلم، إذن الشرائع السماوية متمثلة في الكتب التي ينزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله تحفظ هذا الإنسان من الظلم والاعتداء على الآخرين وفي نفس الوقت تضبط فورة شهواته.

٣ـ ما دور الكتب السماوية في حياة الأمم بعد الرسل؟ وما الدليل.

الجواب: تبقى الكتب السماوية بعد الأنبياء الذين أنزلت عليهم بمثابة مراجع للأمة، تعود إليها للوقوف على الأحكام والوصايا والإرشادات الإلهية، للعمل بمقتضاها، كي لا تتعرض تلك الشرائع والأحكام والوصايا للضياع والنسيان بعد الأنبياء.

الدليل: قول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[2]، ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾[3].

ولكن الأمم السابقة حرفت كتبها حتى طمست معالم الحق فيها، فما عادت تدل على الحق ولا تشير إلى الحقيقة، حتى جاء القرآن فنسخ العمل بها وتضمن الأحكام والإرشادات الصحيحة التي اشتملت عليها وأمر الله تعالى بالعمل به، وحفظه بنفسه من التزوير إلى قيام الساعة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[4].

---

(١) المائدة آية ٤٤.
(٢) المائدة آية ٦٦.
(٣) المائدة آية ٤٧.
(٤) الحجر آية ٩.

٤ـ وسيلة وصول الكتب السماوية إلى الأنبياء: الوحي، فما معناه لغة واصطلاحاً، وما هي أنواعه مدللاً لما تقول؟

الجواب: الوحي لغة: هو إعلام سريع في خفاء، وإذا لم يكن سريعاً أو لم يكن في خفاء لا يسمى وحياً، ويطلق الوحي على وحي السماء إلى الأنبياء ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[1] وعلى وحي الشياطين إلى عملائهم من الإنس: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾[2]. واصطلاحاً: هو إخبار الله تعالى نبياً من أنبيائه بحكم شرعي.

ومن أنواعه: يأتي الوحي على هيئة صلصلة جرس قوي، وكان هذا الوحي ثقيلاً جداً على النبي ﷺ حتى كان يتصبب منه عرقاً في اليوم الشديد البرد، وأحياناً يأتي الملك فينفث في روعه ما يريده الله تعالى من الوحي، وأحياناً يأتي الوحي في المنام، وأحياناً يأتي الوحي على هيئة رجل طارىء غريب كما في حديث جبريل عليه السلام، وأحياناً يأتي الوحي على هيئة دحية ابن خليفة الكلبي، كما قال تعالى مشيراً إلى بعض أنواع الوحي: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[3].

٥ـ اذكر نماذج من التحريف في الكتب السماوية السابقة على مستوى الألوهية؟

الجواب: من التحريفات في الكتب السماوية السابقة ما ورد في التوراة مما يتعلق بالألوهية: أن الله تعالى يندم، فقالوا: إن الله تعالى عندما خلق الخلق جعل هؤلاء البشر يتكاثرون ويتناسلون ثم انحرف الكثير منهم عن هدي الله تعالى فأراد الله تعالى أن يعذب هؤلاء المنحرفين، فأرسل إليهم ملائكة لتعذيبهم، فزادوا على المطلوب، فلما وجد أن هذا العذاب أكبر من اللازم ندم الله تعالى على ذلك، حتى وردت بعض العبارات في التوراة، أن الله تعالى عن كفرهم:

---

(١) النجم آية ١٠.
(٢) الأنعام آية ١٢١.
(٣) الشورى آية ٥١.

قال يا ويلي عذبت شعبي. وأيضاً قالوا: إن الله تعالى عن كفرهم يجهل وذلك عندما أكل آدم عليه السلام وزوجته من الشجرة وناداهما الله تعالى فلم يجدهما جعل يبحث عنهما في الجنة، أي أن الله تعالى يجهل مكان آدم عليه السلام في الجنة، وأيضاً يقولون: إن الله تعالى يتعب، فبعد أن خلق السموات والأرض، استلقى على قفاه ليستريح وكان ذلك يوم السبت ولذلك فإن اليهود لا يعملون يوم السبت ويستريحون فيه اقتداء بالله تعالى، ويقولون أيضاً: إن الله تعالى يصارع بعض عباده، فقد ورد في التوراة أن الله تعالى، صارع إسرائيل عليه السلام، وأيضاً قالوا بأن الله تعالى فقير والدليل على ذلك أنه يطلب من عباده الصدقة وأنه سوف يجازيهم على هذه الصدقة: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾[1]، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[2].

٦ـ اذكر نماذج من تحريف أصحاب الكتب السابقة على مستوى النبوة؟

الجواب: من تحريفات اليهود على الأنبياء أنهم قالوا: إن نوحاً عليه السلام كان يشرب الخمر حتى الثمالة حتى يغيب عن وعيه، وقالوا عن داود عليه السلام إنه كان يزني بنساء ضباطه، وقالوا بأن لوطاً عليه السلام كان يزني بابنتيه الكبرى والصغرى، وقالوا عن عزير بأنه ابن الله تعالى، وقالوا عن المسيح عليه السلام بأنه ابن زنا، بينما قالت النصارى بأن المسيح عليه السلام ابن الله تعالى.

٧ـ اذكر نماذج من تحريف أصحاب الكتب السابقة على المستوى الأخلاقي؟ مع التعريف بالتلمود وأثره على اليهود.

الجواب: قال اليهود في التلمود بأن الله تعالى خلق الدنيا كلها لليهود، لأن اليهود هم شعب الله المختار: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[3]، وقالوا ان الله تعالى خلق لهم جميع ما في هذا الكون من خيرات، وخلق الله تعالى لهم أناساً آخرين هم في حقيقتهم كلاب وخنازير ولكنه تعالى خلقهم على هيأة البشر ليخدموا

---

(١) التغابن آية ١٧.
(٢) آل عمران آية ١٨١.
(٣) المائدة آية ١٨.

اليهود، وقالوا ما يمتلكه كل من عدا اليهود من الأرض أو المال أو العقار فإنه لليهود ولكنه مغتصب، فيحق لليهودي أن يسترجع هذا المغصوب بأي طريقة، فالمعتدي والمجرم دائماً من غير اليهود وأما اليهودي فإن كل ما يفعله مع الآخرين حق وإنصاف ولذلك قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾[1].

والتلمود كتاب ذو أطماع وأهداف سياسية وضعه بعض كبار الحاخامات من اليهود وضمنوا هذا الكتاب ما تحمل نفوسهم من حقد على البشرية من عدا اليهود، وهذه التصورات الإجرامية عن البشرية أدت إلى نفور كل الأمم منهم، فحاربهم المصريون والآشوريين والبابليون والرومان، وحديثاً حاربهم الألمان والفرنسيون والإنجليز لعنصريتهم، والنصارى عندهم تصورات قريبة من تصورات اليهود حتى قال بعضهم بأن الله تعالى له زوجة وزوجته مريم، ومن مريم ولد المسيح عليه السلام، حتى قالوا بأن المسيح عليه السلام ابن الله تعالى عن كفرهم، والقرآن أشار إلى هذا المعنى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[2]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[3]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾[4]. ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[5].

٨ـ ما هو سبب التحريف في الكتب السماوية السابقة وما أثره على الأمم والشعوب؟

الجواب: سبب التحريف في الكتب السماوية السابقة ناشىء من علمائها الذين استحفظوا على هذه الكتب، فلم يحفظوها، إما لخوف من الإضطهاد الذي نزل باليهود والنصارى، وإما لشهوة سعوا لتحقيقها، سواء كانت شهوة مالية حيث راحوا للحصول عليها، يزورون أحكام الله تعالى، أو شهوة وجاهية حيث كانوا يرون الناس

---

(١) آل عمران آية ٧٥.
(٢) المائدة آية ٧٣.
(٣) المائدة آية ١٧.
(٤) المائدة آية ١١٦.
(٥) الأنعام آية ١٠١.

على الباطل فيسكتون عنهم لئلا يسخطوا عليهم، فاستحقوا بذلك غضب الله ولعنته ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾[1].

٩ـ ما أثر الاضطهاد الذي تعرض له اليهود والنصارى على كتبهم السماوية.

الجواب: تعرض النصارى للاضطهاد الكبير على أيدي الرومان واليهود في عهود كثيرة أظهرها عهد الإمبراطور نيرون الروماني وكان يضطهد اليهود أيضاً وقد حكم سنة ٥٤م، ثم الإمبراطور تراجان سنة ٩٨م، ثم الإمبراطور دكيوس سنة ٢٤٨م، وآخرهم الإمبراطور دقلديانوس سنة ٤٨٤م، الذي كان يضطهد العلماء وحتى العامة الذين كانوا يلتزمون بالنصرانية، كما أن اليهود أيضاً تعرضوا للاضطهاد على يد الرومان والفرس والمصريين والآشوريين العراقيين البابليين وهذا الاضطهاد والعذاب الذي حل بهم بسبب نفوسهم السيئة وممارساتهم العدوانية تسبب في تحريفهم للكتب السماوية، خوفاً من المضطهدين لهم أو تقرباً إليهم.

١٠ـ كم أنزل الله تعالى من الكتب السماوية والصحف وعلى من أنزلت؟

الجواب: الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله: -

التوراة: أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام لصالح بني إسرائيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾[2].

الإنجيل: أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام فهو مصدق للتوراة ومتمم لها: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[3]، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[4].

---

(١) المائدة آية ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) المائدة آية ٤٤.
(٣) المائدة آية ٤٦.
(٤) آل عمران آية ٥٠.

الزبور: آتاه الله تعالى داود عليه السلام ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[1].

القرآن العظيم: أنزله الله تعالى على محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[2]، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3]، فنسخ الله تعالى به جميع الكتب السابقة، وتكفل بحفظه من عبث العابثين وزيغ المحرفين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[4]، لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة.

وأما الصحف: فهي مائة صحيفة: عشر على آدم، وخمسون على شيث، وثلاثون على ادريس، وعشر على إبراهيم عليه السلام.

١١ـ ما هو الموقف الشرعي من مضمون الكتب السماوية الموجودة في أيدي الناس اليوم؟

الجواب: النصارى عندما اضطهدوا من قبل الرومان كانت النتيجة أن حرفوا الإنجيل وأخفوه ولا أحد يستطيع أن يعرف عن الإنجيل الحقيقي الذي أنزل على عيسى عليه السلام شيئاً، إلا ما ندر، فالأناجيل الموجودة اليوم غير صحيحة ولا يوثق بها ولا يعتمد عليها، وأما اليهود فقد حرفوا التوراة أيضاً خوفاً أو طمعاً كما قال الله تعالى عنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[5].

فالموقف الشرعي من مضمون هذه الكتب هو عدم الاعتداد بها، لأنها محرفة ومزورة من قبل الأحبار والرهبان. فهي غير التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى، وغير الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليهما السلام.

١٢ـ ما الحكم فيمن يؤمن ببعض الكتب السماوية دون بعض مع الدليل؟

الجواب: الكتب السماوية يصدق بعضها بعض ويكمل بعضها بعض،

---

(١) النساء آية ١٦٣.
(٢) البقرة آية ١٨٥.
(٣) المائدة آية ١٨٥.
(٤) الحجر آية ٩.
(٥) النساء آية ٤٦.

فالإيمان ببعضها يستلزم الإيمان بالبعض الآخر، والكفر ببعضها يستلزم الكفر بالبعض الآخر كما قال تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾[2].

---

(١) البقرة آية ٨٥.

(٢) المائدة آية ٨٥.

تمارين الدرس الثالث عشر:

الإيمان بالرسل

١ـ ما الدليل على مشروعية الإيمان بالرسل من الكتاب والسنة؟

الجواب: الإيمان بالرسل مشروع في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ، أما في الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[1]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[2]، وأما في السنة ففي حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما سأل النبي ﷺ: «يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره».

٢ـ ما مدى حاجة البشر للرسل، مع الدليل.

الجواب: حاجة البشر للرسل هي للتعليم والقدوة وإبلاغ رسالة الله تعالى إلى خلقه ليعبدوه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[3]، وهذه العبادة لا تكون إلا بشرع من الله تعالى، والشرع يكون بواسطة الرسول، إذن الرسول مهمته الأولى إبلاغ شرع الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾[4] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[5].

٣ـ عرف الرسول لغة واصطلاحاً وما الفرق بينه وبين النبي ﷺ وكم عدد كل منهم، ومن هم أولوا العزم؟

الجواب: الرسول في اللغة فعول بمعنى مفعول أي بمعنى مرسل، وهو مَنْ جعل واسطة بين المرسل والمرسل إليه.

---

(١) البقرة آية ٢٨٥.
(٢) النساء آية ١٣٦.
(٣) الذاريات آية ٥٦.
(٤) الأحزاب آية ٣٩.
(٥) المائدة آية ٦٧.

وفي الاصطلاح: ـ هو من أوحى إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه، أما النبي فهو من أوحى إليه بتجديد شرع من قبله.

فالفرق بين النبي والرسول: أن الرسول يوحى إليه بشرع جديد ويؤمر بتبليغه وأما النبي فهو مجدد لشريعة من قبله من الرسل، ولذلك فإن عدد الرسل أقل من عدد الأنبياء وقد ورد في الحديث أن الرسل ثلاثمائة وستة عشر، وأن الأنبياء مائة وعشرين ألفاً، ثلثمائة نبي بين موسى وعيسى عليهما السلام وقيل غير ذلك وهؤلاء الأنبياء مجددون لشريعة موسى عليه السلام.

والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن خمسة وعشرون، وأما أولوا العزم فهم خمسة وهم: محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾[1].

٤ـ ما الفرق بين النبي والعبقري وهل يمكن اكتساب النبوّة بالرياضة والتربية الروحية ولماذا؟

الجواب: النبي هو من أوحى إليه بتجديد شرع من قبله من الرسل، والعبقري هو ذلك الإنسان الذي أعطاه الله تعالى موهبة ذهنية يتقدم بها على غيره، فالنبي يوحى إليه من السماء وهذا يعمل بعقله، والنبوة لا تكتسب بالرياضة والتربية لأنها فضل من الله تعالى للأصفياء من خلقه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[2]، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾[3] ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾[4].

٥ـ اذكر صفات الرسل بصورة إجمالية مع التعليل؟

الجواب: يختار الله تعالى النبي أو الرسول على أكمل صفة من الناحية

---

(١) الأحزاب آية ٧.
(٢) الكهف آية ١١٠.
(٣) الحج آية ٧٥.
(٤) الأنعام آية ١٢٤.

الحسية المادية ومن الناحية المعنوية ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]، فينتقي الله تعالى أفضل الناس في عهده ليلقي إليه الله تعالى الوحي ويأمره بتبليغ هذا الوحي للناس وأهم هذه الصفات: الفطانة والعصمة والصدق والتبليغ والسلامة من العيوب والبشرية والذكورية.

٦ـ من صفات الرسل: الفطنة فما معناها وما الدليل على توفرها فيهم؟

الجواب: الفطنة معناها الفهم الدقيق، فالله تعالى يختار النبي أو الرسول وهو يتمتع بقوة فهم وسرعة إدراك وغلبة حجة، ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2]، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[3].

٧ـ من صفات الرسل: العصمة فما معناها وما دليل توفرها فيهم.

الجواب: العصمة هي حفظ أنبياء والرسل من الوقوع في الانحراف العقائدي والأخلاقي والسلوكي، لأن الله تعالى جعلهم محل القدوة في الاعتقاد وفي القول وفي الفعل وفي السلوك والأخلاق، وإذا وقع الرسول في الخطأ الاجتهادي يأتي الوحي ويصحح هذا الخطأ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾[4]، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾[5].

٨ـ من صفات الرسل: الصدق فما معناه وما أهمية توفره فيهم مع الدليل؟

الجواب: الصدق هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه بلا زيادة أو نقصان،

---

(١) الأنعام آية ١٢٤.
(٢) هود آية ٣٢.
(٣) الأنعام آية ٨٣.
(٤) عبس آية ١ ـ ١١.
(٥) الأنفال آية ٦٧ ـ ٦٨.

والله تعالى يختار رسله وهم موصوفون بالصدق لأنهم إنما يخبرون عن شرع الله تعالى، والصدق صفة كمال والكذب صفة نقص كما في الحديث: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور إن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»، وفي القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1].

٩ـ من صفات الرسل: التبليغ، فما المقصود به، وما الدليل على توفره فيهم؟

الجواب: التبليغ هو إيصال رسالة الله تعالى إلى الناس على نحو ما نزلت عليه بدون تقصير، وهذا التبليغ يواجه تحديات وخصومات قد تصل إلى حد القتل ومع ذلك فقد قام الرسل والأنبياء به: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[2]، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[4]، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾[5]، ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[6] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾[7]، ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[8] وقد بلغ رسول الله ﷺ كل ما نزل عليه من الوحي وإن كان مشتملاً على تخطئة له أو عتاب أو وعيد.

---

(١) التوبة آية ١١٩.
(٢) المائدة آية ٦٧.
(٣) البقرة آية ٨٧.
(٤) آل عمران آية ٢١.
(٥) عبس آية ١.
(٦) الأنفال آية ٦٨.
(٧) الحاقة آية ٤٤ ـ ٤٦.
(٨) الأحزاب آية ٣٧.

١٠ـ من صفات الرسل: السلامة من العاهات، ما الدليل عليه وماذا تقول فيما روى عن أيوب ومرضه؟

الجواب: الرسل لا يصابون بالأمراض المعدية والعاهات المنفرة، لأن المطلوب منهم التبليغ، وهذا يحتاج إلى مخالطة الناس ووجود العاهات والأمراض المنفرة تمنع من هذا التبليغ، وما يقال من أن أيوب عليه السلام أُصيب بمرض نفر منه أهله وأسرته حتى تناثر لحمه عن عظمه وسرح الدود في جسمه، فهذه من الإسرائيليات وهي الأكاذيب التي وضعها اليهود على أنبيائهم.

١١ـ من صفات الرسل: البشرية، ما دليل ذلك، ولماذا لا يكون الرسول من الملائكة أو الجن؟

الجواب: الرسل والأنبياء كلهم جعلهم الله تعالى من البشر: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾(١) ولو أرسل الله تعالى ملائكة لقال الناس: الملائكة غير مجبولين على حب الشهوات ـ المال والجاه والجنس ـ فهم لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون، والجن لا نراهم وطبائعهم مختلفة عن طبائع البشر، فكان الرسل من البشر لقطع الحجة على الناس من ناحية التكليف والاقتداء بهم.

١٢ـ من صفات الرسل: الذكورية، فما الدليل وهل يصح أن تكون المرأة رسولة أو نبية ولماذا؟

الجواب: الرسل والأنبياء كلهم ذكور ليس فيهم إناث: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾(٢)، وبعض العلماء قالوا إنه يجوز أن تكون المرأة نبية وليست رسولة، لأن الرسول يقود الأمة ويأتي بشرع جديد يطبقه على الناس وخاصة قيادة الجيوش، والمرأة تحكم تركيبتها النفسية والندنية لا تستطيع قيادة الجيوش، وأما النبي فهو محل القدوة فيمكن أن تكون المرأة قدوة لبني جنسها من النساء، وضربوا مثلاً على ذلك بمريم بنت عمران فقد كانت نبية، ورده الجمهور

---

(١) الكهف آية ١١٠.
(٢) يوسف آية ١٠٩.

من العلماء بهذه الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾[1]، وأما مريم بنت عمران فكانت امرأة صالحة كزوجة فرعون: آسيا بنت مزاحم، وهكذا فالنبوة والرسالة محصورة في الرجال دون الإناث.

١٣ـ اذكر مؤيدات الرسل الإجمالية؟

الجواب: مؤيدات الرسل هي: جوهر الرسالة، شخصية الرسول، إخبار الرسل السابقين به، معجزات الرسل.

١٤ـ من مؤيدات الرسل: جوهر الرسالة، فما المراد به وكيف يكون مؤيداً مع الدليل؟

الجواب: عند النظر في مضمون رسالات الأنبياء السابقين كلهم نجد أنها تدعو الناس لعبادة الله تعالى، لأن الله تعالى هو الذي خلق الناس وهو الذي رزقهم، فهو الأحق أن يكون المعبود المطاع دون سواه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[2]، فمضمون رسالة الأنبياء والرسل منذ آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ تدعو إلى توحيد الله تعالى وعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[3] وما من نبي أو رسول أرسل إلى قومه إلا قال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[4] ولا يطلب الأجر على ذلك إلاّ من الله تعالى، فهو لا ينتفع من الناس من جهة أنه رسول، وإنما من الله تعالى من جهة أنه مبلغ لهذه الرسالة، ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[5]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[6]، ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[7].

---

(١) يوسف آية ١٠٩.
(٢) الملك آية ١٤.
(٣) الذاريات آية ٥٦.
(٤) الأعراف آية ٥٩.
(٥) الأحزاب آية ٣٩.
(٦) المائدة آية ٦٧.
(٧) الشعراء آية ١٠٩.

١٥ـ من مؤيدات الرسل: شخصية الرسول، فكيف يكون الكمال في شخص الرسول مؤيداً على صدقه، وكيف يكون الكمال في شخصية الرسول مؤيداً على ذلك أيضاً؟

الجواب: الله تعالى يختار لحمل رسالته الإنسان المتكامل في هيئته البدنية، فلا نقص ولا عاهة ولا مرض مُعْدٍ ولا مرض منفر للناس أو نحو ذلك، لأن الشكل له أهميته من الناحية النفسية بالنسبة للرسول وبالنسبة للمدعوين، فالله تعالى يختار الرسول الكامل في هيئته، حتى ينعكس هذا الكمال في هيئته كمالاً في نفسه، والكمال في نفسه يعطي الرسول كمالاً في شخصيته، فيظهر منه المودة والمحبة والعطف على الآخرين، ولذلك يقول النبي ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها»، إذن شخصية الرسول لها أثر كبير في تأييد كونه رسول الله تعالى، فخديجة رضي الله عنها عندما كان النبي ﷺ يتحنث في غار حراء وجاءه الوحي ورجع إلى البيت خائفاً وقال: دثروني، دثروني، وبعد أن هدأ قال لخديجة إني أخاف أن يكون قد تبدى لي رئي من الجن، قالت: كلا والله لا يخزيك الله تعالى أبداً فإنك تصل الرحم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر وعندما دعا النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه الى الإسلام صدقه وآمن به لأول وهلة بدون تردد حتى قال ﷺ: «ما من رجل دعوته لهذا الدين إلا كانت له كبوة إلا أبو بكر»، وذلك لما يعلم عن رسول الله ﷺ من الصفات الحميدة، فهذه الصفات الخُلقية والخَلْقية عندما تتوفر في الرسول تكون مؤيداً من المؤيدات ودليلاً على صدق رسالته.

١٦ـ من مؤيدات الرسل: بشارة الرسل السابقين به، ما تعليل ذلك وما الدليل عليه؟

الجواب: مسيرة الرسل يعقب بعضهم بعضاً فيها، وحتى لا يدخل عليهم من ليس منهم من الناس فيدعي النبوة أو الرسالة، فإن الرسل يخبر بعضهم عن بعض حتى يكون هذا الإخبار دليلاً على صدق هذا الرسول القادم فالنبي ﷺ ورد ذكره في التوراة والإنجيل: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

﴿وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]، وعلى لسان عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[2].

١٧- من مؤيدات الرسل: المعجزات، فما معنى المعجزة لغة واصطلاحاً وما الدليل النقلي والعقلي على كونها من مؤيدات الرسل؟

الجواب: لغة: المعجزات جمع معجزة، والمعجزة مشتقة من قولهم: فلان أعجز فلاناً إذا أعياه فلم يتمكن من فعل ما طلب إليه لعجزه عنه.

اصطلاحاً: هي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد النبي ليكون بمنزلة قوله تعالى: صدق عبدي فيما قال أو فيما أخبر.

فالمعجزة تأييد لقول النبي فيجري الله تعالى خرقاً لبعض قوانين الكون على يد هذا النبي، لأن الكون خلقه الله تعالى، وهذه قضية معترف بها بين كل البشر إلا الملحدون الذي يقولون لا إله والحياة مادة، أما المشركون في عهد النبي ﷺ فإنهم يعترفون بذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[4]. والمعجزة عادة تأتي من جنس ما برع به قوم الرسول، لأن الناس المتخصصين بعمل معين يكونون أقدر على إدراك صدق النبي فيما جاء به من المعجزات الدالة على نبوته إذا كانت من جنس ما برعوا فيه.

فمثلاً: قوم عيسى عليه السلام نبغوا في الطب فجاءت معجزته في الطب، وقوم موسى عليه السلام نبغوا في السحر وإظهار قلب الحقائق، فجاءت معجزته من جنس ما يشبه ذلك من حيث الظاهر، ومحمد ﷺ برع قومه باللغة فجاء القرآن الكريم معجزة له من جنس ذلك في فصاحته وبلاغته.

١٨- ما الفرق بين المعجزة والكرامة والشعوذة مع التعليل؟

---

(١) الأعراف آية ١٥٧.
(٢) الصف آية ٦.
(٣) لقمان آية ٢٥.
(٤) الزخرف آية ٨٧.

الجواب: المعجزة تأتي من جهة التحدي والكرامة لا تأتي من جهة التحدي، المعجزة يظهرها النبي، والكرامة لا يظهرها الولي، لأن النبي تكون له دلالة على صدقه كما فعل موسى عليه السلام عندما دعا الناس إلى يوم الزينة حتى ظهرت معجزته، والكرامة تأتي في بعض الأحيان من جنس المعجزة ولكنها ليست مقرونة بالتحدي، أما الشعوذة فمختلفة فهي توهيمات على خرق العادة من أناس منحرفين معروفين بعدم التزامهم بشرع الله تعالى أو على أقل تقدير غير معروفين بالصلاح.

١٩ـ ما هي معجزة نوح وإبراهيم وصالح عليهما السلام مع الدليل؟

الجواب: نوح عليه السلام معجزته كانت صنع السفينة، وصناعة السفينة كانت في مكان بعيد عن البحر وعندما يمر به قومه يسخرون منه: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾(١)، فعندما اكتملت نزل المطر من السماء وتفجرت المياه من الأرض: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾(٢)، ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾(٣) فكانت هذه السفينة من آيات الله تعالى لنوح عليه السلام على قومه.

صالح عليه السلام كانت معجزته خروج الناقة من صخر الجبل، وذلك عندما ضرب الحجر بعصاه خرج من الصخرة ناقة عشراء ـ حامل ـ فهذا خرق للسنة الكونية.

إبراهيم عليه السلام عندما دعا قومه ولم يؤمنوا به كسر الأصنام وحطم آلهتهم، وكانت عقوبته عندهم إحراقه بالنار، فأبطل الله تعالى مفعول الإحراق في النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾(٤) فبطلت هذه السنة الكونية فيها عندما أراد الله تعالى أن ينجي إبراهيم عليه السلام من النار، فكانت هذه معجزة من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام.

---

(١) هود آية ٣٨.
(٢) القمر آية ١٢.
(٣) هود آية ٤٢.
(٤) الأنبياء آية ٦٩.

٢٠- اذكر جملة من معجزات موسى عليه السلام، مع الدليل؟

الجواب: موسى عليه السلام أيده الله تعالى بمعجزات كثيرة منها: أنه حين قتل في عهده رجل وتنازع الناس فيمن قتله أمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة ثم يضربوا بجزء من هذه البقرة ذلك القتيل فتعود إليه حياته كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾[1]، وعندما لاحقه فرعون هو وبني إسرائيل وكان باتجاه فلسطين من مصر ووصل إلى البحر الأحمر: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)﴾[2]، فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب البحر بعصاك: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)﴾[3]، والله تعالى رفع الجبل فوق بني إسرائيل حتى أصبح الجبل كأنه غمامة فوق رؤوسهم: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾[4]، وأيضاً سلط الله تعالى الرجز عليهم، الضفادع والدم والقمل والطوفان والجراد: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣)﴾[5]، وكان موسى عليه السلام يضع يده في جيبه في مدخل القميص ويخرج يده فيراها الناس بيضاء تضيء ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[6]، وأيضاً ذلل الله تعالى الغمام لموسى عليه السلام وقومه حتى يحفظهم من حرارة الشمس عندما كانوا في التيه: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[7].

٢١- ما هي معجزات عيسى بن مريم عليه السلام مع الدليل؟

الجواب: عيسى عليه السلام أيده الله تعالى بمعجزات منها: كان يحيي

---

(١) البقرة آية ٧٢ - ٧٣.
(٢) الشعراء آية ٦١ - ٦٢.
(٣) الشعراء آية ٦٣.
(٤) الأعراف آية ١٧١.
(٥) الأعراف آية ١٣٣.
(٦) النمل آية ١٢.
(٧) البقرة آية ٥٧.

الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص وكان ينبىء الناس بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، وكلمهم في المهد وكهلاً: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[1].

---

(١) المائدة آية ١١٠.

تمارين الدرس الرابع عشر:

معجزات محمد ﷺ الأرضية

١ـ إلى كم قسم تنقسم معجزات محمد ﷺ وما مبرر هذا التقسيم؟

الجواب: معجزات النبي ﷺ كثيرة جداً، أفرد لها ابن كثير جزء خاصاً في كتابه البداية والنهاية في التاريخ وسرد كمية كبيرة من هذه المعجزات وقسمها إلى قسمين: معجزات أرضية ومعجزات سماوية، ومبرر هذا التقسيم هو كثرة هذه المعجزات وتنوعها.

٢ـ إلى كم قسم تنقسم معجزات النبي ﷺ الأرضية ولماذا؟

الجواب: المعجزات الأرضية تنقسم إلى قسمين: معجزات حسية ومعجزات معنوية، فالمعجزات الحسية تكون غالباً لضرورة والناس في ضيق وحاجة، وأما المعجزات المعنوية فتنقسم لنوعين دعاء وأخبار، فالدعاء: منه لأناس ومنه على أناس، والأخبار: منها ماضية ومنها حاضرة ومنها مستقبلة.

٣ـ اذكر جملة من المعجزات الأرضية الحسية؟

الجواب: من المعجزات الحسية الأرضية: تكثير الطعام المعدّ لبضعة أشخاص بين يديه ﷺ في بيت أبي طلحة حتى صار يكفي نيفاً وثمانين رجلاً، وأيضاً في غزوة الخندق عندما دعاه جابر بن عبد الله على غداء هو وعشرة رجال جاء النبي ﷺ ومعه ألف وأربعمائة رجل فأكلوا منه جميعاً، وتكثير ماء بئر قباء عندما صب عليه باقي وضوئه، ومسح على رجل الحارث بن أوس عندما جرح أثناء اغتيال كعب بن الأشرف اليهودي، وأعاد عين قتادة الأنصاري عندما أُصيبت بسهم فيها فعادت أحدَّ عينيه، ومسح على عيني علي بن أبي طالب في معركة خيبر وكان قد أصابه الرمد فعادتا كما كانتا من قبل سليمتين.

٤ـ اذكر جملة من المعجزات الأرضية المعنوية؟

الجواب: المعجزات الأرضية المعنوية تنقسم إلى نوعين: أخبار ودعاء.

فالدعاء: ورد أنه ﷺ دعا لأناس ودعا على أناس، دعا لعلي بن أبي طالب

أن يكون ذا رأي سديد: «اللهم سدد رأيه»، ودعا لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، ودعا لسعد بن أبي وقاص بأن يكون مستجاب الدعوة، ودعا لعبد الرحمن بن عوف بأن يكون مباركاً في تجارته: «اللهم بارك له في تجارته» فتحقق كل ذلك كما دعا ﷺ.

ودعا ﷺ على أناس: دعا على كسرى ملك الفرس عندما مزق رسالته: «مزق الله ملكه»، فتمزق في عهد عمر بن الخطاب. وعندما أكل أعرابي مستكبر مع النبي ﷺ كان يأكل بشماله فقال له كل بيمينك؟ فقال تكبراً لا أستطيع، فقال له: لاستطعت، فما استطاع الرجل أن يرفع يده إلى فيه فشلت، ودعا على عتبة بن أبي لهب: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»، فافترسه سبع أثناء سفره.

والأخبار منها الماضية كقصص الأنبياء والأمم الماضية وما نزل بهم من العذاب أو الهلاك بسبب تكذيبهم لأنبيائهم، والأخبار الحاضرة: عندما أُسر خبيب بن عدي من قبل قريش وعذبوه حتى الموت أخبر النبي ﷺ عن هذه الحادثة في وقتها، وكانت كما أخبر.

ومن الأخبار المستقبلة: أخبر عن عشرة من أصحابه بأنهم من أهل الجنة، وذات مرة صعد على جبل أحد وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان وارتجّ الجبل بهم فضرب النبي ﷺ برجله على الجبل وقال: «أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»، وأخبر عن الحسن فقال: «إن ولدي هذا سيد شباب أهل الجنة وإن الله تعالى سوف يصلح به بين طائفتين عظيمتين من أمتي دعواهما واحدة»، وأخبر أن علي بن أبي طالب سوف يموت قتلاً، وقال عن عمار بن ياسر: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية»، وقد تحقق كل ذلك كما أخبر ﷺ.

تمارين الدرس الخامس عشر:

معجزات محمد ﷺ السماوية

١ـ إلى كم قسم تنقسم معجزات النبي ﷺ السماوية؟

الجواب: تنقسم المعجزات السماوية إلى نوعين: معجزات حسية ومعجزات معنوية، فالمعجزات الحسية السماوية منها انشقاق القمر ومقاعد السمع ووقف الشمس والإسراء والمعراج، وأما المعجزات المعنوية السماوية فهي القرآن الكريم.

٢ـ اذكر جملة من المعجزات السماوية الحسية مع الأدلة؟

الجواب: من هذه المعجزات السماوية الحسية مقاعد السمع: كان الجن يتخذون لأنفسهم مكاناً في السماء الأولى وعندما بعث النبي ﷺ منعوا من أن يصلوا إلى السماء الأولى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾[1]، ومنها انشقاق القمر عندما طلب مشركو قريش ذلك من النبي ﷺ. ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[2]، وكذا توقف الشمس عن المسير في غزوة خيبر لعلي بن أبي طالب ويقال ان هذا كان في غزوة الخندق حيث دعا النبي ﷺ أن يوقف الله تعالى الشمس حتى يصلّي عليٌّ العصر، وهذا الحديث لم يثبت ولم يصح وإنما يتمسك به الرافضة الجعفرية يعني الشيعة، وفي الأحاديث الصحيحة في فضل علي رضي الله عنه ما يغني عن هذا. ومنها أيضاً الإسراء والمعراج، فكان الإسراء من مكة إلى بيت المقدس بواسطة البراق ثم عرج به إلى السموات العلا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[3].

٣ـ من المعجزات السماوية المعنوية القرآن الكريم فما معناه وما الدليل من الكتاب والسنة على إعجازه؟

---

(١) الجن آية ٨ ـ ٩.

(٢) القمر آية ١ ـ ٢.

(٣) الإسراء آية ١.

الجواب: القرآن في اللغة: مشتق من مادة قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، فإذا قلنا إنه مهموز (قرأ) فهو بمعنى الجمع، وإذا قلنا إنه غير مهموز (قرن) فهو بمعنى الضمّ والإضافة. واصطلاحاً هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على محمد ﷺ بلسان عربي مبين المتعبد بتلاوته المنقول إلينا نقلاً متواتراً المبدوء بالحمد لله المختوم بالجنة والناس. والقرآن معجزة مستمرة وباقية ودائمة إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴿٩﴾﴾[1]، فهو محفوظ بحفظ الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأن النبي ﷺ هو آخر الأنبياء والرسل فاقتضى الأمر أن تكون هناك معجزة مستمرة ودائمة ومتحدية لكل البشر عبر التاريخ إلى نهاية هذا الوجود كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴿٨٨﴾﴾[2]، وفي الحديث: «ما من نبي إلا أوتي ما على مثله آمن البشر»، وأيضاً: «أما إني أوتيت القرآن ومثله معه». أي السنة النبوية، فالقرآن معجز باللفظ والمعنى، والسنة معجزة بالمعنى دون اللفظ.

٤ـ من وجوه إعجاز القرآن: الإعجاز اللغوي فما وجه ذلك وما الدليل عليه، عالج الموضوع بالأدلة؟

الجواب: القرآن نزل بلغة العرب وتحداهم بأن يأتوا بمثله من حيث الفصاحة والبلاغة والمطابقة للحال لكن العرب عجزوا عن ذلك، وتحداهم القرآن بأن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، وتحداهم القرآن بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴿٨٨﴾﴾[3]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿٣٨﴾﴾[4]، وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ

---

(١) الحجر آية ٩.
(٢) الإسراء آية ٨٨.
(٣) الإسراء آية ٨٨.
(٤) يونس آية ٣٨.

صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1]، والعرب كانوا في ذلك الوقت أئمة اللغة في الفصاحة والبلاغة فعجزوا، ومع ذلك كفروا بهذا القرآن وتنكروا لنبوة محمد ﷺ مما يدل على أن سبب جحودهم إنما هو الاستكبار والصلف، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2]، ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3].

٥ـ من وجوه إعجاز القرآن: إعجازه على المستوى التاريخي، اذكر صوراً للأخبار الماضية فيه وأخرى حاضرة وثالثة مستقبلة؟

الجواب: القرآن أخبر عن الأمم الماضية وعن أنبيائها وعن موقف هذه الأمم من أنبيائها ثم النتيجة التي حلت بتلك الأمم حسب متابعتها أو معارضتها لها، ومن هذه الأمم من هو موجود في عهد النبي ﷺ وكانوا يسمعون القرآن فلم يحدث قط أن قال أحد منهم إن هذا الخبر ليس بصحيح بالرغم من عدائهم الشديد، مثل الإخبار عن قوم هود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

ومن الأخبار الحاضرة مثل حادثة الفيل، فكثير من الناس عاصروا حادثة الفيل ولم يجرؤ أحد منهم أن يكذب النبي ﷺ عندما أخبر عنها القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾[4].

ومن الأخبار المستقبلة مثل حفظ القرآن حتى قيام الساعة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[5]، وعصمة النبي ﷺ وحمايته من أن يغتاله أحد من الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[6]، وأيضاً موت أبي لهب وامرأته على الكفر ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى

---

(١) البقرة آية ٢٣.
(٢) النمل آية ١٤.
(٣) الأنعام آية ٣٣.
(٤) الفيل آية ١ ـ ٥.
(٥) الحجر آية ٩.
(٦) المائدة آية ٦٧.

لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾﴾[1]. وأيضاً موت الوليد بن المغيرة على الكفر: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[2] فماتوا على ذلك، وأخبر القرآن بأن هذا الدين سوف يظهر على من عداه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3] ففرض وجوده على الساحة منذ ذلك الوقت وحتى اليوم وإلى قيام الساعة.

٦ـ من وجوه إعجاز القرآن: إعجازه على المستوى التشريعي، فما وجه ذلك مع الدليل؟

الجواب: الأحكام التشريعية في القرآن الكريم منسجمة تمام الانسجام مع بعضها البعض بحيث لا تناقض فيها، وأيضاً هذه الأحكام منسجمة مع الفطرة البشرية، لأن الإنسان مخلوق وفيه طبائع وهذه الأحكام منسجمة تماماً مع هذه الطبائع، فالإنسان بطبعه يحب الحياة فجعل الله تعالى عقوبة التعدي على حياة الآخرين أن يقتل هذا المعتدي: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[4]، ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾[5]، وأيضاً جعل الله تعالى عقوبة الاعتداء على ما دون النفس المماثلة فيها بين الجاني والمجني عليه: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ﴾[6]، إذن الأحكام التشريعية منسجمة مع بعضها البعض ولا تناقض فيها: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾[7] ومع الفطرة البشرية ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ

---

(١) المسد آية ١ ـ ٥.
(٢) المدثر آية ٢٦.
(٣) التوبة آية ٣٣.
(٤) البقرة آية ١٧٩.
(٥) المائدة آية ٤٥.
(٦) المائدة آية ٤٥.
(٧) النساء آية ٨٢.

ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1]، وقد حمل هذا الانسجام في تشريعات القرآن والفطرة البشرية كثيراً من المستشرقين على الدخول في هذا الدين، فانقلبوا إلى مدافعين عنه بعد أن كانوا ساعين للطعن فيه، فهذا الكمال في تشريعات القرآن معجزة للقرآن، ولو كان من عند محمد ﷺ أو غيره من الخلق لوجدوا فيه اختلافاً: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾[2].

إذن الانسجام بين الأحكام التشريعية من جهة وانسجام الأحكام التشريعية مع الفطرة البشرية من جهة أخرى جعل من الأحكام التشريعية في القرآن معجزة يخضع لها أهل العلم والإنصاف في كل زمان وفي كل مكان إلى قيام الساعة.

٧- من وجوه إعجاز القرآن: إعجازه على المستوى العلمي، اذكر صوراً من ذلك؟

الجواب: هناك إشارات كونية في القرآن تدل على أن هذا القرآن من عند الله تعالى، ففي الوقت الذي نزل فيه القرآن كان لدى العامة والخاصة مفاهيم فلكية خاطئة، جاء القرآن بخلافها، ثم جاء العلم الحديث ليؤكد ما ورد به القرآن، من ذلك: إن الناس كانوا يعتقدون في الشمس أنها نجم ثابت في السماء تدور الأرض حوله، ثم تبين حديثاً أن الشمس بمجموعتها الشمسية تدور حول محور المجرة الكونية وليست ثابتة، وكان **القرآن قد أشار** إلى أن الشمس جرم فلكي وأنه يدور حول نفسه وأنه يدور في عالم الفلك: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[3]، **والقرآن أشار** إلى أن الأرض تدور حول محورها في إشارة غير مباشرة ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[4] فالجبال ثابتة في الأرض ومقتضى كونها تمر مر السحاب أن الأرض تدور بما عليها من الجبال، **والقرآن أشار** إلى توازن الأرض في دورانها: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[5]، **والقرآن أشار** إلى أن

---

(١) الروم آية ٣٠.
(٢) النساء آية ١٦٦.
(٣) يسٓ آية ٤٠.
(٤) النمل آية ٨٨.
(٥) النحل آية ١٥.

هناك ما يسمى بالضغط الجوي حيث يضيق التنفس بسببه كلما ارتفعنا عن سطح الأرض: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، **والقرآن أشار** إلى أن الزوجية أصل كل شيء سواء في عالم الجماد أو النبات أو الحيوان: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[2]، **والقرآن أشار** إلى أن الماء أصل الحياة والحضارة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، فهذه جملة من صور إعجاز القرآن العلمي.

---

(١) الأنعام آية ١٢٥.
(٢) الذاريات آية ٤٩.
(٣) الأنبياء آية ٣٠.

الإيمان باليوم الآخر

١ـ الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان فما دليل ذلك من الكتاب والسنة والمعقول؟

الجواب: الإيمان باليوم الآخر وردت مشروعيته في الكتاب والسنة، أما الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[1]، وأما في السنة فعندما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ: «يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى».

وأما المعقول فهناك قاعدة عامة تقول: لا بد لكل حادث من بداية ونهاية، والعالم حادث أي مخلوق وما دام حادثاً فله بداية وبما أنه له بداية فإن له نهاية، ونهاية هذا العالم تسمى قيام الساعة وقيام الساعة تعني اليوم الآخر، إذن اليوم الآخر ثبت وقوعه بالمعقول أيضاً.

٢ـ لليوم الآخر علامات تدل عليه وتنبىء عن قرب وقوعه فما الدليل على ذلك؟

الجواب: اليوم هو عنصر الزمن وينقسم إلى ليل ونهار، وإنما يتحقق ذلك في عالم الفلك، وعالم الفلك عبارة عن نجوم وكواكب، تدور هذه النجوم والكواكب دورة محورية حول نفسها، وتدور دورة دائرية حول مركزها في المجموعة التي هي تابعة لها، وينشأ بالتالي الليل والنهار في الكواكب، وعندما يكمل عالم الفلك دورة كاملة حول نفسه تقوم الساعة، وعنصر الزمن ينتهي عندما يستكمل عالم الفلك دورته حول نفسه كما قال ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض». أي أن عالم الفلك قد أوشك على استكمال دورته الفلكية.

---

(١) النساء آية ١٣٦.

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾[1]، ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾[2]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾[3].

هذه الساعة قد جعل الله تعالى لقيامها علامات وإشارات تدل على قرب نهاية الكون وعند حصر هذه العلامات الكثيرة في الكتاب والسنة يمكن تقسيمها إلى علامات صغرى ووسطى وكبرى. قال تعالى ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةًۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾[4] أي علاماتها.

٣ـ اذكر خمساً من العلامات الصغرى على الأقل؟ مع الأدلة.

الجواب: من العلامات الصغرى: بعثة النبي ﷺ قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣﴾[5]، أي أنت من علاماتها، وفي الحديث: «بعثت بين يدي الساعة». «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى.

ومنها ضياع العلم بالله تعالى، أما العلم المادي فإنه يزداد ويتسع، فإننا نرى ونشاهد النهضة الصناعية الحديثة فهذا العلم يزداد ولكن العلم بالله تعالى ينقص.

ومنها أيضاً فشو القلم بانتشار الكتابة والقراءة بين الناس، فنحن نرى حملات محو الأميّة ونشاهد كثرة الكتابة عبر ما يتم طبعه من كتب ومجلات وصحف يومية وأسبوعية وشهرية، ومن هذه العلامات فشو الربا، بانتشار المؤسسات البنيكة الربوية وذلك عبر المعاملات المالية المختلفة بين الناس وفي الحديث: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فإن لم يأكله أصابه من رذاذه».

---

(١) القيامة آية ١ ـ ٢.
(٢) الأحزاب آية ٦٣.
(٣) النازعات الآيات ٤٢ ـ ٤٤.
(٤) محمد آية ١٨.
(٥) النازعات الآيات ٤٢ ـ ٤٣.

ومنها فشو الخمر، حيث ينتشر شرب الخمر بين الناس ويسمونها بغير أسمها لترغيب الناس بها، وفي الحديث: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

٤ـ اذكر خمساً من العلامات الوسطى على الأقل؟ مع الأدلة.

الجواب: من هذه العلامات: تقارب الزمان، ورد في الحديث: «بين يدي الساعة يتقارب الزمان»، أي أن الإنسان يشعر بالزمن الطويل وكأنه قريب أو أنه يتم قطع المسافات البعيدة بالزمن اليسير وفي الحديث: «بين يدي الساعة يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كضرمة النار».

ومنها تجمع الأمم ضد المسلمين كما ورد في الحديث: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل»، وحصل هذا عندما تكالبت جميع الأمم على الدولة العثمانية حتى اسقطوها وبالتالي جعلوا العالم الإسلامي دويلات وجعلوا في كل دولة أحزاباً وجماعات متناحرة.

ومنها قتال اليهود، وفي الحديث (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود).

ومنها أيضاً حرب الخليج وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون»، وحرب الخليج بدأت سنة ١٩٩٠م عندما احتل العراق الكويت ولكن كم جولة سوف تستغرق حتى تحصل تلك المقتلة، الله تعالى أعلم.

ومن هذه العلامات عودة جزيرة العرب مروجاً، وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً»، وهي الآن منطقة صحراوية وسوف تعود في وقت من الأوقات إلى مروج خضراء بسبب تبدلات مناخية تعتري المنطقة. وربما يكون لثقب الأوزون أخيراً علاقة في تحقيق ذلك والله أعلم.

ومنها هدم الكعبة وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يهدم الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة كأني أنظر إليه ينقبها حجراً حجراً».

٥- اذكر العلامات الكبرى العشر؟ مع الدليل.

الجواب: العلامات العشر الكبرى: هي كما ورد في الحديث بأنه لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات يعني عشر علامات وعدها النبي ﷺ وهي: الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر يعني الشام.

تمارين الدرس السابع عشر

أساليب الكتاب والسنة في إثبات اليوم الآخر

١ـ ما هي الأساليب التي اعتمدها الشرع في إثبات اليوم الآخر.

الجواب: الأساليب التي اعتمدها الشرع لإثبات اليوم الآخر ستة وهي: الخبر الصادق، الاستدلال بالنشأة الأولى، الاستدلال بالنوم واليقظة، قياس الأدنى، قياس المطابقة، قياس الأولى.

٢ـ من أساليب إثبات اليوم الآخر: الخبر الصادق، فما أمثلة ذلك مع الأدلة.

الجواب: من أمثلة ذلك قتيل بني إسرائيل، حيث اختلفوا فيمن قتله، ورفعوا الأمر إلى موسى عليه السلام فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يأمرهم بأن يذبحوا بقرة، ويضربوا هذا القتيل بجزء من هذه البقرة، فعادت إليه روحه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾[1].

وهناك ألوف من بني إسرائيل خرجوا من ديارهم خوفاً من الموت مرضاً أو قتلاً فأماتهم الله تعالى جميعاً ثم أعادهم إلى الحياة كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[2] فعاشوا بعد أن ماتوا.

وأيضاً عندما مر عزير ببيت المقدس بعد أن خربها بختنصر تعجب وتساءل كيف يمكن أن تعود إليها الحياة بعدما نزل بها هذا الخراب، فأماته الله تعالى ثم أعاد إليه روحه ليكون عبرة كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾[3] فعادت إليه روحه بعد أن فارقته.

---

(١) البقرة آية ٧٢ ـ ٧٣.
(٢) البقرة آية ٢٤٣.
(٣) البقرة آية ٢٥٩.

هذا في عالم البشر، وفي عالم الحيوان هناك حيوانات خرجت أرواحها ثم عادت إليها في هذه الحياة كما ورد بشأن إبراهيم عليه السلام عندما سأل ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ﴾[1].

٣ـ من أساليب إثبات اليوم الآخر النشأة الأولى فما معناها وما الأدلة على ذلك؟

الجواب: النشأة الأولى تعني أن الإنسان لم يكن ثم وجد، فعندما جاء أمية بن خلف إلى النبي ﷺ بعظم أرم وفتَّهُ أمامه وقال يا محمد ﷺ هل يعيد ربك هذا العظم بعدما أرم. فقال ﷺ: «يعيده الله تعالى ويدخلك النار»، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[2]، وقد استدل الله تعالى في القرآن بالنشأة الأولى على النشأة الثانية كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾[3]، فأصل الإنسان من نطفة، والنطفة هي خلاصة الدماء، والدماء هي خلاصة الغذاء، والغذاء هو خلاصة الحيوان أو النبات، فالذي أوجد هذا الإنسان بعد أن لم يكن، قادر على أن يعيده وهو موزع في هذه الأرض مرة ثـانـيـة: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ﴾[4]، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[5]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾[6]، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾[7]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[8].

---

(١) البقرة آية ٢٦٠.
(٢) يس آية ٧٨ ـ ٧٩.
(٣) الروم آية ٢٧.
(٤) السجدة آية ١٠.
(٥) النجم آية ٤٧.
(٦) البروج آية ١٣.
(٧) الأنبياء آية ١٠٤.
(٨) الأعراف آية ٢٩.

٤ـ من أساليب إثبات اليوم الآخر: النوم واليقظة وضح ذلك بالأدلة.

الجواب: النوم واليقظة سنة من سنن الحياة، والنوم واليقظة هذا شبيه بالموت وبالحياة بعد الموت، فالنوم عبارة عن موت ولكنه موت أصغر كما قال ﷺ: «النوم هو الموتة الصغرى»، أما الموت فهو النومة الكبرى، ولذلك يشبه النبي ﷺ النوم بالموت والبعث باليقظة فكان يقول عند النوم: «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وعندما يستيقظ يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»، فالإنسان يموت كل يوم ويحيى كل يوم، وهذه قضية مشاهدة بين الناس فالذي أوجد هذه السنة في هذه الحياة قادر على أن يوجد هذه السنة في الآخرة ولكن بصورة أكبر، ولذلك استدلّ النبي ﷺ بهذه الظاهرة على إمكانية البعث بعد الموت: «والذي نفسي بيده لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون»، إذن هذا استدلال بالشيء المرئي على الشيء الغيبي كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[2].

٥ـ من أساليب إثبات اليوم الآخر: قياس الأدنى فما معناه وما الأدلة عليه؟

الجواب: قياس الأدنى يعني قياس الأقل، وهو قياس الحياة بعد الموت في الإنسان وهو أفضل المخلوقات في الأرض على حياة النبات بعد موته، فإن الأرض تكون قاحلة جرداء ثم ينزل عليها المطر فتتحرك الأرض وتتفاعل ثم ينبت النبات، ثم هذا النبات يمر بمراحل نباتية يكون بذراً ثم يصبح نبتة ثم تصبح هذه النبتة مثمرة ثم تصير هشيماً ثم تعود فتتحلل في هذه الأرض، فإذا نزل المطر ثانية عاد النبات إلى دورته المذكورة مرة أخرى وهكذا دواليك، إذن هناك دورة نباتية لم تكن ثم وجدت، والإنسان لم يكن ثم وُجد، وبداية الإنسان النطفة وهي خلاصة الغذاء من حيوان أو نبات، ثم بعد أن تصبح هذه النطفة في موضعها من المرأة

---

(١) الزمر آية ٤٢.
(٢) الأنعام آية ٦٠.

بالجماع تمر بمراحلها الجنينية وتكتمل في تسعة أشهر ثم يخرج هذا الجنين إلى الوجود طفلاً، ويمر بمراحل مختلفة، بمرحلة الطفولة ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة ثم الوفاة فيموت الإنسان ويدفن في الأرض ثم يتحلل فيها ويعود عدماً كما كان قبل أن يوجد، فهذه دورة بشرية كالدورة النباتية هذه كهذه، ونحن نشاهد هذه الدورة النباتية ونراها، والقرآن أخذ من هذه الظاهرة التي نراها ونحسها دليلاً على إمكانية البعث بعد الموت كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾(١)، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾(٢)، ولذلك فإنه حين اشترك الإنسان مع النبات في البدء اشترك معه في المآل كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾(٣)، فالإنسان مثل النبات في هذه الظاهرة: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾(٤).

٦ـ من أساليب إثبات اليوم الآخر: قياس المطابقة فما معناه وضح ذلك بالأدلة؟

الجواب: المقصود بقياس المطابقة قياس عودة الكون بعد فنائه على عودة الحياة للإنسان بعد موته، فالكون لم يكن ثم وجد، ثم يأتي يوم يفنى فيه هذا الكون، إذن للكون عمر كما للإنسان عمر، ويسمى نهاية الكون في العرف الشرعي بقيام الساعة، حيث يموت فيها عن ما يستوفي أجله كما يموت الإنسان عندما يستوفي أجل أيضاً، ولذلك ورد في الحديث: «إذا مات ابن آدم قامت قيامته».

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وهناك نظريات حول بداية هذا الكون، من أهمها النظرية السديمية التي تقول: إن أصل الكون سديم أي غبار ذري منتشر في الفضاء، وبانفجار كوني هائل

---

(١) الحج آية ٥ ـ ٦.
(٢) فصلت آية ٣٩.
(٣) نوح آية ١٧ ـ ١٨.
(٤) طه آية ٥٥.

رافقته تيارات هوائية شديدة صهرت الذرات السديمية، ومع الأيام جعلت تبرد شيئاً فشيئاً وتتصلب، وجعلت بفعل تلك التيارات تدور حول نفسها فنشأت الأجرام الفلكية من نجوم وكواكب، وتستمر في دورتها الفلكية بواسطة الحرارة المنبعثة من النجوم التي هي كتل فلكية ملتهبة، حتى إذا انخفضت حرارتها بطل نظامها وانعدم التفاعل الكيميائي في هذه الأجرام، فتتطاير في الهواء بلا ضوابط وتتصادم بعضها مع بعض وينشأ عن ذلك انفجارات كونية هائلة، تعيد هذه الأجرام الفلكية إلى حالتها السديمية ثم تعود بانفجار كوني جديد نجوماً وكواكب كما كانت وهكذا، هذا ما يحدث في تصور علماء الفلك، والإنسان لم يكن ثم وجد ثم يمر في مراحله المختلفة فإذا استوفى أجله عاد إلى العدم وتحلل إلى التراب ثم تعود إليه روحه بعد بناء الجسد مرة ثانية يوم القيامة.

فصح أن بين الكون والإنسان تشابهاً ومطابقة، فقد ورد في القرآن أن هذا الكون سوف يعود بعد أن يتدمر يوم القيامة: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ﴾[1]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[2]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[3]. إذن هذه صورة لمطابقة حالة الكون مع حالة الإنسان لم يكن ثم وجد ثم يفنى ثم يعود مرة ثانية وتسمى قياس المطابقة.

٧ـ من أساليب إثبات اليوم الآخر: قياس الأولى فما معناه وضح ذلك بالأدلة؟

الجواب: مضمون هذا الأسلوب هو إثبات قدرة الله تعالى على الإحياء بعد الإماتة، من خلال النظر في قدرات الإنسان في هذه الحياة التي تمكنه من القيام بعملية رصد للآخرين، فمن باب أولى أن يكون خالق هذا الإنسان قادراً على ذلك، فهناك خالق ومخلوق، فالخالق قدرته مطلقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، والمخلوق

---

(١) الأنبياء آية ١٠٤.
(٢) إبراهيم آية ٤٨.
(٣) الأعراف آية ٢٩.
(٤) البقرة آية ٢٠.

قدرته محدودة: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[١]، وعلمه محدود: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢]، وسنأخذ من حالة الضعف البشري دليلاً على إمكانية البعث بعد الموت، فالإنسان له ثلاثة أبعاد: النية وهي عمل القلب ثم القول وهو عمل اللسان، ثم الفعل وهو عمل الجوارح.

النية: ـ محلها القلب، وما في القلب لا يعلمه إلا الله تعالى، ولكن هناك حالات يطفح فيها ما في القلب على اللسان أو على الجوارح فيمكن للإنسان في هذه الحالة أن يدركه ويعلمه. من هذه الحالات: حالة النوم، لأن النوم عبارة عن فتور في الدماغ الذي يسيطر على الحركات الإرادية في الجسم، وعندما يكون المرء نائماً يفقد السيطرة على لسانه، وبالتالي قد يتكلم بغير إرادة منه فتسمع ما كان ينويه في قلبه وهو يقظ، وأيضاً التنويم المغناطيسي عندما ينوّم الإنسان مغناطيسياً يفقد الدماغ سيطرته على جوارح البدن، وعندما تسأله وهو في هذه الحالة يجيبك من خلال عقله الباطن ويعطيك الجواب الصحيح عما كان يضمره أثناء وعيه، وأيضاً في حالة الإغماء يفقد العقل السيطرة على الجوارح وعندما تسأله يعطيك الجواب الذي كان يضمره أثناء وعيه، وأيضاً حالة الهستيريا وهي حالة تصيب الإنسان لدى اندهاشه لحدث ما، فيتصرف بتصرف هو أشبه بتصرف المجانين، وإذا سألته في هذه الحالة يعطيك الرد مباشرة لأنه فاقد للسيطرة على عقله الواعي وجوارحه، وأيضاً عند استخدام الخوذة الالكترونية، تسلط من خلالها أشعة على الدماغ فيتخدر ويفقد السيطرة على الجوارح وعندئذ تسأله فيجيبك من عقله الباطن، وهذه الطريقة تستعملها الدول المتقدمة لكشف الجرائم والحقائق المخفية، إذن يستطيع الإنسان أن يعرف ما في نوايا غيره من خلال هذه الحالات الطارئة.

القول: ـ يستطيع الإنسان أن يرصد قول الآخرين، وما يتحدثون به في مجالسهم الخاصة أو العامة في وحدتهم أو اجتماعهم، من خلال جهاز تسجيل الصوت، ومثل ذلك جهاز الراديو، والأقمار الصناعية تسجل ما يحدث بالصورة والصوت.

---

(١) النساء آية ٢٨.

(٢) الإسراء آية ٨٥.

العمل: ـ هناك أجهزة اخترعها الإنسان لرصد حركة الإنسان، مثل الكاميرا وأجهزة الفيديو التي ترصد كلام الإنسان وصورته، ومثل ذلك الأقمار الصناعية ترصد حركة الإنسان وفعله بالصوت والصورة، ومثل ذلك التلفاز، وهناك محاولة لمعرفة التاريخ البشري ورصده بالصوت والصورة، وهناك الصندوق الأسود الذي يوضع في الطائرة لرصد حركة الطائرة الميكانيكية ومن فيها أثناء رحلتها الفضائية من مدينة إلى أخرى.

هذا الإنسان الضعيف استطاع أن يرصد حركة الآخرين، رصد النية ورصد القول ورصد العمل، فمن باب أولى أن يكون الله تعالى خالق هذا الإنسان قادراً على رصد هذا الإنسان بجميع تحركاته ويسجل عليه جميع ألفاظه ليحاسبه على ذلك يوم القيامة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾(١).

ففي آخر العمود الفقري في الإنسان هناك عظم سماه الرسول ﷺ عجب الذنب، وهو لا يبلى تحت أي ظرف من الظروف: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه يعاد الخلق» ومقتضى ذلك أن يكون عجب الذنب هو الصندوق الأسود للإنسان، الذي يسجل فيه جميع وقائع رحلته في الدنيا وهو في نهاية العمود الفقري الذي يبدأ بالعنق الذي يعتمد عليه الرأس، حيث يرسل من الدماغ نسخة عن المعلومات الوارد إلى الدماغ عبر الحواس إلى عجب الذنب للاحتفاظ بها فيه ليحاسب على عمله يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾(٢).

---

(١) الإنفطار آية ١٠ ـ ١١.

(٢) الإسراء آية ١٣ ـ ١٤.

تمارين الدرس الثامن عشر:

الحياة بعد الموت

١ـ للإنسان حياتان، حياة في عالم الذر وحياة في عالم الشهادة فما المقصود بكل وما الدليل؟

الجواب: أما الحياة في عالم الذر فتعني عالم الروح، وذلك عندما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح ثم أخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته التي سوف تأتي إلى هذه الحياة وإلى أن تقوم الساعة وأشهدها على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾[1]، وأما عالم الشهادة فتعني الحياة الدنيا التي يمرّ بها الإنسان في خمسة مراحل وهي: عالم الاجتنان، وعالم الفطرة، ومرحلة التمييز، ومرحلة المراهقة ثم مرحلة التكليف.

٢ـ عدد مراحل حياة الإنسان في عالم الشهادة مع الدليل؟

الجواب: مراحل حياة الإنسان في عالم الشهادة هي: عالم الاجتنان، الجنين يبتدىء بالنطفة، فعندما تنتقل هذه النطفة من الرجل إلى المرأة عبر الوقاع بينهما تبدأ عملية الاجتنان، وقد ورد في الحديث: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح ويكتب أجله وعمله وشقى أو سعيد». ثم مرحلة الفطرة من الولادة حتى سن السابعة «كل مولود يولد على الفطرة»، ثم مرحلة التمييز وتبدأ من سن السابعة حتى العاشرة: «علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع»، ثم مرحلة المراهقة من سن العاشرة حتى البلوغ: «علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع». ثم أخيراً مرحلة التكليف وهي من البلوغ حتى الوفاة: «رفع القلم

---

(١) الأعراف آية ١٧٢.

عن ثلاث: عن الصبي حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق».

٣ـ عدد مراحل حياة الإنسان في عالم الآخرة مع الدليل؟

الجواب: مراحل الإنسان في الحياة الآخرة هي: عالم البرزخ وهو الحياة الكائنة في القبر بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ثم النفخة الأولى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[(١)]، ثم المرحلة الثالثة وهي النفخة الثانية: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[(٢)]، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[(٣)]. ثم مرحلة الحساب: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[(٤)] ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[(٥)] ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[(٦)]، ثم مرحلة الجزاء إما جنة وإما نار: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[(٧)].

٤ـ من مراحل عالم الآخرة: البرزخ فما معناه وما الذي يحدث فيه؟

الجواب: البرزخ هو الحاجز بين شيئين متماثلين: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾[(٨)] فالإنسان في الدنيا تشمل حياته: الروح والجسد، ثم في الآخرة تشمل حياته أيضاً الروح والجسد، وبين هاتين الحياتين حاجز وهو ما يسمى بالحياة البرزخية التي هي في القبر، وهذه تشمل الروح فقط، يعني أن النعيم

---

(١) الزمر آية ٦٨.
(٢) الزمر آية ٦٨.
(٣) الأنباء آية ١٠٤.
(٤) الحجرات آية ١٣.
(٥) الصافات آية ٢٤.
(٦) ق آية ١٨.
(٧) النساء آية ١٣ ـ ١٤.
(٨) الرحمن آية ١٩ ـ ٢٠.

والعذاب في القبر ينصب غالباً على الروح دون الجسد، ويدخل الإنسان في الحياة البرزخية بمجرد أن تفارق الروح جسده، وذلك بعد أن يستوفى الإنسان عمره في هذه الحياة، يأتي الملك فينزع الروح من هذا البدن كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾(١)، فتخرج روح المؤمن بسهولة ويُسْر والكافر بالعكس، فتصعد روح المؤمن إلى السماء حتى تصل إلى الجنة ويرى مقعده في الجنة، وأما روح الكافر فلا تفتح لها أبواب السماء فيرمي بها إلى الأرض الأرض، وعندما تعود هذه الروح إلى صاحب الجثة في القبر، يأتيه ملكان أسودان أزرقان يسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ ماذا تعرف عن هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فالمؤمن يقول: ربي الله تعالى، وديني الإسلام، ومحمد ﷺ نبي ورسولي أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، عندئذ يوسع له في قبره حتى يصبح بمدّ بصره، ويملأ عليه قبره نوراً، ويفتح له من قبره ثغرة إلى الجنة يأتيها من روحها ونعيمها ما يجعل عليه قبره روضة من رياض الجنة ويبقى على ذلك حتى تقوم الساعة، وأما الكافر فإنه حين يسأل يقول: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فعندئذ يقال له: لا دريت ولا تليت فيضرب بمرزبة يغوص بها في الأرض سبعين ذراعاً، ويصرخ صرخة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، ثم ينضم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ثم يملأ عليه ظلمة ويفتح له من قبره ثغرة إلى نار جهنم ويرى منزلته فيها ويأتيه من حر جهنم ومن سمومها ما يبقى معه إلى يوم القيامة. وقد قرأ النبي ﷺ بعد أن أخبر عن ذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾(٢)، وقد أخبر الله تعالى عن عذاب القبر في قوم فرعون فقال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾(٣) ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ

---

(١) السجدة آية ١١.

(٢) إبراهيم آية ٢٧.

(٣) غافر آية ٤٦.

بَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾[1] والعطف بالفاء هنا يفيد أن الجنة أو النار ينالها الميت عقب خروج الروح فوراً. وفي الحديث: (القبر أول مراحل الآخرة، فإما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار).

٥ـ من مراحل عالم الآخرة: النفخة الأولى وضّح ذلك؟

الجواب: النفخ في الصور نفختان: الأولى للإماتة، والثانية للإحياء. النفخة الأولى تكون بأمر الله تعالى للملك اسرافيل إيذاناً بقيام الساعة، ولها علامات، ولكن وقت قيامها بالتحديد لا يعلمه إلا الله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[2]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ

وبين النفخة الأولى والنفخة الثانية أربعون فالله أعلم هل هي أربعون يوماً أو شهراً أو سنة، وإن كان قد ورد في بعض الروايات أنها أربعون سنة، لكن في ثبوتها خلاف بين المحدثين.

ويكون ما بين النفختين مطر شديد كثيف، وتكون فيه حبات المطر كمني الرجال، وتشبع الأرض منه، فتنمو الأجسام في القبور كما ينمو النبات، وذلك من عجب الذنب الذي لا يفنى تحت أي ظرف من الظروف، وعندما تكتمل الأجساد تخرج من القبور بعد أن ترسل إليها أرواحها ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1]، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾[2]. ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾[3].

---

(١) الزمر آية ٦٨.
(٢) يس آية ٥١.
(٣) المعارج آية ٤٣.

تمارين الدرس التاسع عشر:

الحساب والجزاء

١ـ من مراحل عالم الآخرة: الحساب فما أساسه وما هي أحوال يوم الحساب؟

الجواب: الحساب له أساس يوم القيامة، وأساسه الإيمان والعمل كما قال تعالى: ﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ﴾[١]، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٢]. وفي الحديث: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، فالقلوب محل الإيمان والعمل محله الجوارح، فالذي عنده إيمان وعمل صالح تنصب له الموازين ليظهر له ما

وعندما ينكر الإنسان أعماله التي فعلها في الدنيا يوم القيامة يختم الله تعالى على فمه وتؤمر جوارحه فتنطق: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴿٦٥﴾﴾[1]، وكذلك تشهد الأرض على الإنسان ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴿٥﴾﴾[2]، وعندما قرأ النبي ﷺ هذه الآية قال: أتدرون ما تحدث أخبارها؟ إنها تشهد على كل إنسان بما كان قد فعل على ظهرها في هذه الحياة. ثم بعد ذلك ينصب الصراط على متن جهنم، ورد في الحديث: «بأنه أحد من السيف وأدق من الشعر»، ويمر الناس عليه بحسب أعمالهم، منهم من يمر عليه بسرعة البرق، ومنهم بسرعة الصوت، ومنهم بسرعة الفرس المضمر، ومنهم من هو أقل وأقل حتى يمر عليها بعضهم وهو يزحف زحفاً، وعلى الصراط كلاليب، ومن الناس من تنالهم وتخطف أرجلهم ثم يسقط تحت الصراط إلى جهنم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴿٧٢﴾﴾[3]، وبعد الصراط هناك القنطرة ولا يعبرها إلا المؤمن ويكون عندها دفع حقوق المؤمنين بعضهم لبعض بالحسنات والسيئات، وفي الحديث: «تعاطوا الحقوق فيما بينكم قبل أن يكون يوم لا دينار فيه ولا درهم»، وعندما يتقاضى الناس يجتاز المؤمنون القنطرة.

ثم هناك ما يسمى في الشرع بالشفاعة، وهي شفاعتان: شفاعة عامة من النبي ﷺ للخلائق جميعاً، بأن يبدأ لهم الحساب، وبعد الحساب يكون الناس قسمين، قسم في الجنة وآخر في النار، وهنا تأتي الشفاعة الخاصة من النبي ﷺ فيشفع شفاعة خاصة للمؤمنين الذين استوجبوا النار بسبب كبائر ارتكبوها، ويشفع للمؤمنين الذين في الجنة لترفع لهم درجاتهم فيها، ويشفع لبعض من في النار بأن يخفف العذاب عنهم كما ورد في أبي طالب بأنه سيكون في ضحضاح من النار وهو أهون طبقات النار عذاباً، والملائكة يشفعون للمؤمنين، والأنبياء يشفعون

---

(١) يس ٥٦.
(٢) الزلزلة آية ١ ـ ٥.
(٣) مريم آية ٧١ ـ ٧٢.

لأقوامهم والشهداء يشفعون والصالحون من الناس يشفعون، ولكن هذه الشفاعة أياً كانت لا تكون إلا بعد أن يأذن الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1]، ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[2].

٢ـ من مراحل عالم الآخرة: الجزاء تحدث عن الجنة وعن النار وما هي أحوال أهليهما مع الأدلة؟

الجواب: الجزاء إما جنة وإما نار، فالجنة جائزة الله تعالى كما في الحديث: «ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»، والجنة مكانها في السموات العلى وهي درجات متفاوتة وفيها من النعيم ما لا يخطر على بال بشر، أعلى مراتب الجنة الفردوس وسقفها عرش الرحمن، وأدنى أهل الجنة منزلة كما ورد في الحديث: «رجل ينظر في ملكه ألفي سنة» وفي بعض الروايات: «لا يقطعها الجواد المضمر السريع بألفي سنة»، والإنسان مجبول بطبيعته على حب الشهوات ـ المال والجاه والجنس ـ ولكن هذه الشهوات تتحقق للإنسان في هذه الأرض بأدنى درجاتها ولذلك تسمى هذه الحياة: بالحياة الدنيا: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3]، ولكنها في الجنة في أعلى درجاتها ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[4]، وفي الجنة غرفات: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[5]، وبناء هذه الغرف لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك، والأنهار في الجنة كما قال تعالى فيها: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[6]، ويخدم أهل الجنة ولدانٌ مخلدون

---

(١) الأنبياء آية ٢٨.

(٢) النجم آية ٢٦.

(٣) التوبة آية ٣٨.

(٤) العنكبوت آية ٦٤.

(٥) سبأ آية ٣٧.

(٦) الرعد آية ١٥.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾[1]، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨﴾[2]، وأهل الجنة لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم كما في الحديث: «من يدخل الجنة لا يفنى شبابه ولا تبلى ثيابه».

وأهل الجنة لهم الكمال الحسي في أبدانهم كما ورد في الحديث بأن أبدانهم طولها ستون ذراعاً وعرضها سبعة أذرع بطول آدم عليه السلام عندما خلقه الله تعالى، ولهم الكمال المعنوي من ناحية جمال الخلقة على هيئة يوسف عليه السلام وبأخلاق محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[3].

وخلق الله تعالى لأهل الجنة الحور العين ووصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾[4]، ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾[5]، ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾[6]، ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾[7]، إذن هي جائزة الله تعالى للمؤمنين.

والطريق إلى الجنة هو الإيمان والعمل الصالح كما في الحديث: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»، لذلك فإن على الإنسان أن يعمل الصالحات ويصبر على هذا العمل حتى يلقى الله تعالى مؤمناً به كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾[8]. ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[9].

وأما النار فجعلها الله تعالى مكاناً لمعاقبة العصاة والفسقة والكفرة من الجن

---

(١) الإنسان آية ١٩.
(٢) الواقعة آية ١٨.
(٣) القلم آية ٤.
(٤) الصافات آية ٤٩.
(٥) الرحمن آية ٧٢.
(٦) الصافات آية ٤٨.
(٧) الرحمن آية ٥٨.
(٨) آل عمران آية ١٠٢.
(٩) الكهف آية ١١٠.

والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(١)، والنار مكانها حسب النصوص الواردة في القرآن ـ والله تعالى أعلم ـ في عالم الفلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾(٢)، والنار ضيقة على أهلها: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾(٣)، ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾(٤)، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾(٥)، وأهل النار من الكثرة ما ورد في الحديث: «يقال لآدم يوم القيامة أخرج بعث النار؟ قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون»، والنار دركات إلى أسفل، أشد هذه الدركات للمنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٦)، وأهون دركاتها كما قال ﷺ: (أن يوضع تحت إخمص قدمي الرجل جمرتان من نار يغلي منهما دماغه)، وطعام أهل النار الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾(٧)، ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾(٨)، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾(٩)، ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾(١٠)، وشرابهم الماء الحار: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(١١)، وثيابهم من نار: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾(١٢)، وأجسام أهل النار مشوهة فمنهم من يتضاءل حتى يصبح في حجم النمل كما ورد في الحديث:

---

(١) الذاريات آية ٥٦.
(٢) الأعراف آية ٤٠.
(٣) الفرقان آية ١٣.
(٤) الكهف آية ٢٩.
(٥) البلد آية ٢٠.
(٦) النساء آية ١٤٥.
(٧) الدخان آية ٤٣.
(٨) الصافات آية ٦٥.
(٩) المزمل آية ١٢ ـ ٣١.
(١٠) الغاشية آية ٦ ـ ٧.
(١١) الكهف آية ٢٩.
(١٢) الحج آية ١٩ ـ ٢٠.

«المتكبرون يحشرون يوم القيامة كأمثال الذر يتوطأهم الناس بأقدامهم»، ومنهم من يعظم في بدنه حتى يصبح ضرس أحدهم كجبل أحد، ومنهم من يكون ما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام ـ ما يعادل مائة كيلومتر ـ وسماكة جلد أحدهم اثنان وأربعون ذراعاً، وألوانهم زرقاء: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[1]، ومنهم من يكبر ويعظم في جسده كما في الحديث: «إن من أمتي من يعظم في النار حتى يكون أحد زواياها»، وأهل النار يوبخ بعضهم بعضاً: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[2]، ويوبخهم المؤمنون: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ﴾[3]، كما توبخهم الملائكة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[4]، ويوبخهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[5]، وفي الحديث: «يؤتى بالعبد ليحاسب فيقول يا رب إني لا أرضى إلا بشاهد من نفسي وأنت أعدل العادلين، فيختم الله على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق جوارحه بما كان منه في الحياة الدنيا، وعندما يخلي بينه وبين النطق يقول تباً لكن عنكن كنت أدافع»، ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[6]، وأخيراً أهل النار مخلدون فيها بصورة دائمة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[7]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[8].

والطريق إلى النار هو الكفر والعمل السيء. فقد قال ﷺ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلاّ من أبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله، قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى).

---

(١) طه آية ١٠٢.
(٢) فصلت آية ٢٩.
(٣) الحديد آية ١٤.
(٤) غافر آية ٥٠.
(٥) إبراهيم آية ٤٤.
(٦) يس آية ٦٥.
(٧) المائدة آية ٣٧.
(٨) هود آية ١٠٧.

٣ـ ما هو أثر الإيمان باليوم الآخر في سلوك الإنسان وأخلاقه؟

الجواب: أثر الإيمان باليوم الآخر في سلوك الإنسان أنه إذا كان الإنسان عالماً باليوم الآخر ومؤمناً به وما فيه من نفخ في الصور والبعث والحساب والجزاء إلى الجنة أو النار، فإن سلوكه سوف يكون متطابقاً مع شرع الله تعالى في علاقته مع الله تعالى وفي معاملاته مع الناس في مختلف أوجه الحياة، يحلل ما حلل الله تعالى ورسوله ﷺ ويحرم ما حرم الله تعالى ورسوله ﷺ، ويقف عند الحدود الشرعية، ولا يساعد على الظلم والعدوان وأكل أموال الناس بغير الحق، بل إنه ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويساعد في أعمال البر والخير والتقوى والدعوة إلى الله تعالى على مقتضى أصول الدعوة الإسلامية، وينعكس هذا الإيمان باليوم الآخر أيضاً على أخلاقه من خلال تصرفاته مع الآخرين، وفي الحديث: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده»، فلا يكون فاحشاً ولا بذيئاً في الكلام، ولا يجالس أهل السوء والفحشاء، كما في الحديث: «ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»، وفي الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[1].

(١) الحجرات آية ١١.

تمارين الدرس العشرين:

الإيمان بالقضاء والقدر

١ـ عرف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً؟

الجواب: القضاء لغة: ـ يطلق على إرادة الشيء: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، ويطلق على إتمام الشيء قولاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[2]، ويطلق على إتمام الشيء فعلاً: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[3].

القدر لغة: ـ يأتي وله معنيان: إذا سكنت الدال المهملة ـ قدْر ـ ففي المعنويات، تقول: فلان عظيم القدر، أي المكانة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾[4] وإذا فتحت الدال يطلق على المساواة في الماديات، تقول: فلان بقدر فلان أي مساوٍ له.

القضاء اصطلاحاً: ـ هو علم الله تعالى الأزلي السابق.

القدر اصطلاحاً: ـ هو مجيء المعلومات على وفق ذلك العلم.

٢ـ ما الدليل من الكتاب والسنة على مشروعية الإيمان بالقضاء والقدر؟

الجواب: الإيمان بالقضاء والقدر مشروع في الكتاب بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[5]، وفي السنة يقول ﷺ: «أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب؟ قال: وما أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة». فصار القضاء بمثابة خطة الخلق، والقدر بمثابة تطبيقها.

٣ـ اختلف العلماء في إثبات القضاء والقدر على ثلاثة آراء، طرفين وواسطة، اذكر الآراء في ذلك مع الأدلة لكل؟

---

(١) آل عمران آية ٤٧.
(٢) الإسراء آية ٢٣.
(٣) فصلت آية ١٢.
(٤) القدر آية ١ ـ ٣.
(٥) القمر آية ٤٩.

الجواب: ذهب المعتزلة القدرية إلى القول: إن الإنسان يعمل عمله بمعزل عن علم الله تعالى، لأننا لو قلنا بأن الإنسان يفعل ما يفعله بعلم الله تعالى لأدى ذلك إلى الإجبار وهذا يؤدي إلى بطلان الشرائع، وسموا بالقدرية لأنهم نفاة القدر، حتى اشتهرت عنهم عبارة: لا قدر والأمر أنف، تغليباً لصفة العدل الإلهي على صفة القدرة الإلهية.

وذهب الجهمية الجبرية إلى القول: إن الله تعالى بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وبالتالي فلا يخرج عن قدرة الله تعالى أو يوجد في هذه المخلوقات شيء بدون إذن الله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1]، ومن جملة هذه الأشياء فعل العبد، فالعبد يفعل ما يفعله بإرادة الله تعالى وبمشيئته، وبالتالي قالوا: إن العبد مجبر على فعله كالريشة في الهواء.

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم قالوا: إن علم الله تعالى شامل فهو يعلم الأشياء قبل أن تكون كيف ستكون، وأيضاً قدرة الله تعالى شاملة فلا يند عن قدرة الله تعالى شيء كما لا يند عن علم الله تعالى شيء، وبالتالي فإن الإنسان يفعل ما يفعل ويقول ما يقول بعلم الله تعالى الذي أعطاه القدرة على ذلك، فزوده بالعقل الذي هو وسيلة الاختيار وزوده بالجوارح التي هي وسائل التنفيذ فما يختاره العقل وتفعله الجوارح بكامل حرية الإنسان واختياره يكون متطابقاً مع علم الله تعالى، فيكون الإيمان بالقضاء والقدر دليلاً على شمول علم الله تعالى بالأشياء قبل أن تكون كيف ستكون ولا يلزم من إثباته أن يكون الإنسان مجبراً على عمله وتصرفاته.

٤ـ اعتمد أهل السنة في بيان الإيمان بالقضاء والقدر على تقسيم الإرادة الإلهية إلى نوعين، فما هما، وكيف يتم لهم الرد بذلك على المخالفين؟

الجواب: قال أهل السنة إن لله تعالى إرادتين، كونية وشرعية، فالكونية صادرة عن علم الله تعالى ومتحققة بقدرة الله تعالى وبالتالي فهي لا تتخلف بحال من الأحوال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[2]، والشرعية

---

(١) الرعد آية ١٦.

(٢) النحل آية ٤٠.

صادرة عن علم الله تعالى وتتحقق بقدرة البشر وإرادتهم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾(١)، فمنهم من يختار الاستجابة فيحمل الأمانة التي هي التكاليف الشرعية ومنهم من لا يفعل ذلك، فتتخلف فيه هذه الإرادة الشرعية، ولذلك يدخل الطائع الجنة بعلم الله تعالى وعدله، ويدخل العاصي النار بعلم الله تعالى وعدله، ومن هنا كان الناس مؤمنين وكافرين، ولو أراد الله تعالى أن يجعل الناس جميعاً بإرادته الكونية مؤمنين لتحقق ذلك قطعاً: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾(٢)، وبالتالي فإن المعتزلة القدرية غلبوا صفة العدل الإلهي على صفة القدرة الإلهية وهذا خطأ، والجهمية الجبرية غلبوا صفة القدرة الإلهية على صفة العدل الإلهي، وهذا خطأ أيضاً، لأن صفات الله تعالى كلها موصوفة بالكمال المطلق ولا يصح أن تكمل صفة على حساب صفة أخرى.

٥ـ أفعال الإنسان تنقسم إلى ثلاثة أنواع: فعل في الإنسان، وفعل على الإنسان، وفعل من الإنسان، فأي هذه الأنواع يدخل في إطار مسؤوليته؟ وما وجه هذا التقسيم في مسألة القضاء والقدر، وضح بالأدلة؟

الجواب: أفعال الإنسان ثلاثة أنواع: فعل في الإنسان، لا يتعلق به تكليف شرعي كحركة نبض القلب فلا مسئولية عليه فيه، وفعل على الإنسان، كسقوط حجر أو قنبلة مثلاً عليه، فلا مسؤولية عليه ما لم يقصّر، وفعل من الإنسان كالضرب والقتل وهذا هو الذي عليه مدار التكليف: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾(٣).

وجه التقسيم: أن الفعل في الإنسان والفعل على الإنسان داخل ضمن إطار تدبير الله تعالى للكون، وهذا الذي يسمى مصائب، فيطلب من الإنسان الصبر عليها بكل حال، وفي الحديث: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن».

---

(١) الأحزاب آية ٧٢.
(٢) السجدة آية ١٣.
(٣) الزلزلة آية ٧ ـ ٨.

٦ـ ما أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المؤمن؟

الجواب: أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المؤمن أنه يورث النفس السكينة والطمأنينة والأمن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾[1]، وفي الحديث (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك).

---

(١) الأنعام آية ٨٢.

تمارين الدرس الحادي والعشرين

التكفير والمكفرات

١ـ ما معنى التكفير في اللغة وفي الاصطلاح؟

الجواب: التكفير لغة: ـ هو التغطية والستر ـ مشتق من الكفر، ومنه يقال للمزارع كافراً لغة لأنه يغطي البذور التي يلقيها على الأرض بالتراب، وسمى الكافر كافراً شرعاً لأنه يغطي في نفسه الفطرة الإيمانية التي خلقه الله تعالى عليها: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١]، فإن الإنسان يخلق على أصل الاستسلام لله تعالى ولكن يطرأ عليه بعد ذلك الكفر كما في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

اصطلاحاً: ـ هو سلب وصف الإيمان عن شخص اتصف به حقيقة أو حكماً.

٢ـ أنزل الله تعالى الدين لتطهير الإنسان حساً ومعنى، فما محل الطهارة الحسية وما محل الطهارة المعنوية في ذلك؟

الجواب: **الطهارة الشرعية** الحسية نوعان: كبرى: ومحلها البدن وهي الغسل، وموجباته: هي الجنابة والاحتلام أو الحيض أو النفاس، وصغرى: وهي الوضوء وهو يتعلق بالجوارح، وموجباته: النوم والبول والغائط والدم على خلاف بين الفقهاء في الدم.

الطهارة الشرعية المعنوية نوعان أيضاً: كبرى: وهي الإيمان ومحلها القلب وهو مركز البدن، وهي ذات أركان، وأركان الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره». وصغرى: وهي الإسلام ومحله الجوارح، وأركان الإسلام كما في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عنه فقال: «أن

---

(١) الروم آية ٣٠.

تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً».

٣ـ أنزل الله تعالى الدين لحماية الإنسان في ضرورياته الخمس: النفس والنسل والعرض والمال والمعتقد، فما هي العقوبات التي شرعها الله تعالى لتحقيق تلك الحماية؟

الجواب: الأديان السماوية كلها جاءت لحماية هذه الضروريات الخمس في الإنسان وهي: حماية النفس من القتل بقتل القاتل، حماية النسل من الزنا بالجلد مائة أو الرجم، حماية المال من السرقة بقطع يد السارق، حماية المعتقد من الردة بقتل المرتد، وحماية العرض من القذف بجلد القاذف ثمانين جلدة، فهذه عقوبات لمن يتعدى على هذه الضروريات فمنها ما يكون حدوداً ومنها ما يكون قصاصاً ومنها ما يكون تعزيراً. فالحدود لما يكون فيه تعدٍّ على حقوق الله تعالى كحد الردة، والقصاص لما يكون فيه تعدٍّ على حقوق الإنسان كقتل النفس، والتعزير لما لم يأت فيه نص شرعي من العقوبة (من الكتاب او من السنة) ويترك تحديده للقاضي الشرعي. ويمكن أن يسنّ له قانون معين من الحاكم يعمل به القضاة.

٤ـ تكمن خطورة تكفير المسلم في جانبين: الأول الطعن في الدين، الثاني نزف الجسد الإسلامي وهدم كيانه، فكيف يكون ذلك وما الدليل عليه، ومتى يعود على صاحبه؟

الجواب: التكفير في شرع الله تعالى ممنوع، لأنه قد يؤدي إلى أن يوصف الإيمان في الإنسان بالكفر، ومن هنا تكمن خطورة التكفير، وفي الحديث: «من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا حارت عليه».

والشرع شدد في قضية التكفير، لأن التكفير إذا كان على جهة الاجتهاد فإن الاجتهاد قابل للخطأ والصواب، فإذا كان المكفر بالاجتهاد قد أخطأ فيه فإنه يكفر لأنه يكون قد وصف الإسلام بالكفر وهذا هو عين الكفر، فلا يجوز التكفير إلا بنص شرعي ثابت واضح لا يقبل الشك، وفي الحديث (من قال لأخيه المسلم: يا كافر، فإن كان كما قال وإلا حارت عليه) أي رجعت على من قالها.

ومن جهة ثانية فإن التكفير قتل معنوي أشبه ما يكون بالقتل الحسي، وفي الحديث: «وصف المؤمن بالكفر كقتله»، والتكفير يؤدي إلى نزف في الجسم الإسلامي ونشوء حالة هدم في كيانه، لأن التكفير يؤدي إلى سلب الغطاء الأمني الذي يوفره الإسلام لأبنائه، ففي الحديث: «كل المسلم مع المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، ومن كفر مسلماً فإنه يستبيح فيه هذه المحرمات، ومن هنا تكمن خطورة انتشار ظاهرة التكفير والتكفير المضاد في الأمة لأنها تفكك المجتمع بالكراهية والأحقاد وتنشر فيه الفوضى باستباحة الدماء والأموال والأعراض، مما يهدد بانهياره لصالح أعدائه، وفي الحديث: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

٥ـ في الحكم على الناس: من هو المؤمن في الشرع ومن هو الكافر، وما مقتضيات الإيمان مع الدليل؟

الجواب: المؤمن في الشرع هو الذي ينطق بالشهادتين كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن قاضياً وداعياً: «ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»، ومعنى لا إله إلا الله: نفي الألوهية عن غير الله تعالى، والألوهية معناها العبادة، والعبادة معناها الطاعة المطلقة التي لا يرافقها توقف أو تردد أو تشكك، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1]، ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ: أن حق تبليغ كيفية أداء هذه العبادة وتفصيلها وتوضيحها بالقول والفعل والتقرير إنما هو لمحمد ﷺ ومقتضى الإيمان اتباع النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[2]، وفي الحديث (والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) ولا يبطل إسلام الإنسان بعد نطقه بالشهادتين إلا بمبطلات معينة حددها الشرع لمنع تعدي الناس بعضهم على بعض في وصف مؤمن بالكفر أو في وصف كافر بالإيمان.

---

(١) الإسراء آية ٢٣.

(٢) آل عمران آية ٣١.

٦ـ ما هي موجبات التكفير الأربعة؟

الجواب: موجبات التكفير الأربعة هي: استحلال الحرام أو تحريم الحلال، إنكار معلوم من الدين بالضرورة، سب الله تعالى أو رسوله ﷺ أو الدين، والاستهزاء بشيء من شعائر الإسلام.

٧ـ من موجبات التكفير: استحلال الحرام وتحريم الحلال فما الدليل مع التعليل وما محله؟

الجواب: الذي يطيع غير الله تعالى في تحليل ما حرم الله تعالى أو تحريم ما أحل الله تعالى يكون قد أشرك بالله تعالى، لأنه يكون قد قدم قوله تعالى قول الله تعالى، وحكمه على حكمه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١]، ﴿أَمْ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٢]، إذن طاعة الله تعالى مطلقة، وطاعة غيره محدودة ومقيدة بما إذا لم تكن معارضة لأمر الله تعالى، **ومحل الحكم المذكور:** إذا كان فاعل ذلك عالماً بالحكم الشرعي وقال بخلافه مستحلاً وإلا فلا لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[٣].

٨ـ من موجبات التكفير: إنكار معلوم من الدين بالضرورة فما الدليل مع التعليل وما محله؟

الجواب: المعلومات من الدين بالضرورة كأركان الإيمان وأركان الإسلام والأخلاقيات العامة والمحرمات العامة الأساسية، فأركان الإيمان والإسلام هي كما في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» وعن الإسلام قال «أن تشهد أن لا إله الاّ الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً»، والأخلاقيات كما في الحديث: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، والمحرمات كما في الحديث:

---

(١) المائدة آية ٥٠.

(٢) الشورى آية ٢١.

(٣) الأنعام آية ١٩.

«اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»، فإن أنكرها أو أنكر بعضها فقد ارتد عن دين الله تعالى، **ومحل ذلك**: ما لم يكن غير عالم بحكمها في الشرع لكونه قد أسلم حديثاً أو عاش في بيئة ينتشر فيها الجهل.

٩ـ من موجبات التكفير: السب لله أو لرسوله أو للدين فما الدليل مع التعليل وما محله؟

الجواب: المشرع هو الله تعالى والمبلغ عن الله تعالى هو الرسول ﷺ والدين هو مادة التبليغ فمن سب الله تعالى أو رسوله ﷺ أو الدين فقد خرج عن دين الله تعالى لأنه لم يعظم هؤلاء ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[١]، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[٢]: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٣]، **ومحل ذلك**: ما لم يكن الإنسان مكرهاً أو في حالة غضب شديد أو سرور شديد فمن سبَّ الله تعالى أو رسوله ﷺ أو الدين فإنه في هذه الحالات لا يخرج عن الإسلام: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٤]، وفي الحديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، «لا طلاق في غلاق»، «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم كانت له ناقة عليها طعامه وشرابه فندت منه في فلاة فلما آيس منها آوى إلى شجرة ليموت فبينما هو كذلك إذا هي قائمة فوق رأسه فأخذ بخطامها وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك».

١٠ـ من موجبات التكفير: الاستهزاء بشعيرة دينية كبيرة أو صغيرة فما الدليل مع التعليل وما محله؟

الجواب: الاستهزاء بشيء من شعائر الإسلام كالصلاة وما فيها من ركوع

---

(١) الحج آية ٣٢.
(٢) الحج آية ٣٠.
(٣) الأنعام آية ١٠٨.
(٤) النحل آية ١٠٦.

وسجود، وكالصيام وكالحج وما فيه من طواف وسعي ووقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة ونحر ورمي للجمار بمنى ونحو ذلك، فإنها ردة عن دين الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[1]، فمن استهزأ بشيء من الأحكام الاعتقادية أو الأحكام التشريعية العملية مع العلم بمشروعيتها يكون قد ارتد عن دين الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[2]. **ومحل هذا الحكم**: إذا كان عالماً بالتحريم مختاراً للاستهزاء.

والحكم بالردة وتنفيذ حدها وهو القتل إنما يعود للحاكم الذي يولي القضاة النظر في تحقيق ذلك حتى لا تدب الفوضى، ويحكم الناس بعضهم على بعض بالردة ويقتل بعضهم بعضاً بحجة إقامة الحد فتنتشر الفوضى ويضطرب الأمن والسلام في المجتمع الإسلامي.

---

(١) الحج آية ٣٢.

(٢) التوبة آية ٦٥ ـ ٦٦.

الخاتمة

بعد هذا العرض من خلال القسم الأول من هذا الكتاب وهو «الدروس» والقسم الثاني منه وهو «التمارين» نكون قد أتينا على الموضوعات الأساسية في مادة العقيدة الاسلامية التي يحتاج إلى معرفتها المسلم، ليكون في ذلك توضيحاً للتصور الذي يجب أن يكون في ذهنه تجاه القضايا الإيمانية من الدين، ليورثه ذلك استقامة في سلوكه وجودة في أخلاقه، ويصبح بذلك محل الاقتداء به من غير المسلمين، لما يدل عليه حاله عندئذ من سلامة الدين، فإنه متى صح التصور صح السلوك، وعكسه بعكسه.

وقد حرصنا في هذه الدروس أن تكون سهلة ميسورة على الدارس فيها، بعيدة عن الإطناب والتفريع ليكون ذلك أقرب إلى التناول، وأيسر على الفهم، سواء للطلبة في الدراسات الشرعية، أو لنظرائهم في الدراسات العامة، فتصير هذه المادة من القبول بعد الإقبال عليها بحيث يستفيد منها هؤلاء وأولئك.

نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين شباباً وشيباً إلى دينهم، فإنه عصمة أمرهم، وعماد عزهم، فنحن قوم قد أعزنا الله تعالى بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي القرآن ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وصلى الله وسلّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) المنافقون آية ٨.

ثبت المراجع

١ ـ الله جل جلاله، للشيخ سعيد حوى، دار الدعوة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.

٣ ـ الإحكام في أصول الأحكام، للإمام سيف الدين أبي الحسن على بن أبي علي بن محمد الآمدى المتوفى سنة ٦٣١هـ، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٣٨٧هـ سنة ١٩٦٧م.

٤ ـ إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة. سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

٥ ـ الأديان والفرق المعاصرة، للشيخ عبد القادر شيبة الحمد، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٦ ـ الأرض من تحتنا. تأليف سوينرتون. ترجمة محمد يوسف وفتح الله عوض. نشر مؤسسة سجل العرب بالقاهرة سنة ١٩٦٦م ضمن سلسلة الألف كتاب.

٧ ـ أساس البلاغة، للإمام جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٣٥٨هـ مطبعة أولاد أورفان بالقاهرة، سنة ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م.

٨ ـ أسرار الكون في القرآن، للدكتور داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٩ ـ الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، الطبعة الثالثة، طبع دار البحوث العلمية سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، توزيع الشركة المتحدة، بيروت.

١٠ ـ الإعجاز الطبي في القرآن، للدكتور السيد الجميلي، منشورات دار النصر بدمشق بيروت، سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

١١ ـ الإعجاز العلمي في القرآن، الأستاذ محمد السيد أرناؤوط، مكتبة مدبولي بمصر القاهرة سنة ١٩٨٩م.

١٢ ـ الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين للأستاذ خير الدين الزركلي المتوفي سنة ١٩٧٥م، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م.

١٣ ـ أم البراهين في العقائد، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسيني المتوفى سنة ٨٩٥هـ، أنظر: مجموع مهمات المتون.

١٤ ـ الإنسان بين العلم والدين، شوقي أبو خليل، طبع دار الفكر بدمشق الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١٥ ـ البداية والنهاية، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ. دار الفكر بيروت لبنان.
١٦ ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام. للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ توزيع دار الباز. بمكة المكرمة. بتحقيق محمد حامد الفقي من علماء الأزهر. مطبعة مصطفى محمد بمصر.
١٧ ـ بهجة المعرفة موسوعة علمية مصورة بإشراف الصادق النيهوم طبع وتوزيع الشركة العامة سنة ١٩٧٨م.
١٨ ـ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للحافظ أبي على محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ. مطبعة الفجالة بمصر. مراجعة عبد الرحمن محمد عثمان.
١٩ ـ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لابن محمد عبد الله الترجمان الميورقي المتوفى سنة ٨٣٢هـ. دراسة وتحقيق وتعليق الأستاذ عمر وفيق الداعوق. طبع دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٢٠ ـ تخريج العراقي لإحياء علوم الدين. المسمى: المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ بهامش كتاب: إحياء علوم الدين للغزالي.
٢١ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ. حققه وخرج أحاديثه فواز أحمد زمرلي. طبع دار الكتاب العربي. الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ ١٩٩٠م بيروت.
٢٢ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ. عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفي سنة ٦٥٦هـ. مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م تحقيق مصطفى محمد عمارة.
٢٣ ـ التعريفات، للإمام الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٢٤ ـ تفسير ابن كثير. للحافظ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ. طبع دار إحياء التراث العربي بيروت، سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.
٢٥ ـ تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ. دار الكتاب العربي بمصر، سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م مصور عن طبعة دار الكتب.
٢٦ ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. للعلامة الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ. عنى بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه السيد عبد الله هاشم اليماني المدني. بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٢٧ ـ تهذيب سيرة ابن هشام للأستاذ عبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.
٢٨ ـ توحيد الخالق للأستاذ عبد المجيد عزيز الزنداني، الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ ١٩٧١م مطبعة السعادة.
٢٩ ـ التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تميمة المتوفى سنة ٧٢٨هـ طبع دار العربية. بيروت سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م على نفقة معالي الشيخ حسن شربتلي وتقديم الأستاذ زهير الشاويش.
٣٠ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٣٣هـ. الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ. المكتب الإسلامي، بيروت.
٣١ ـ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، للإمام محمد بن محمد بن سليمان المغربي المتوفى سنة ١٠٩٤هـ طبع سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م بتعليق السيد عبد الله هاشم اليماني.
٣٢ ـ جوهرة التوحيد للإمام برهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني المتوفى سنة ١٠٤١هـ أنظر: مجموع مهمات المتون.
٣٣ ـ حاشية كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، بقلم الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي العاصمي الحنبلي المتوفى سنة ١٣٩٢هـ. الطبعة الرابعة سنة ١٤١٤هـ. لم تذكر جهة الطبع.
٣٤ ـ دائرة معارف القرن العشرين، للأستاذ محمد فريد وجدي، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧١هـ. دار المعرفة للطبع والنشر بيروت.
٣٥ ـ الدراية في تخريج أحاديث الهداية، للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ. مطبعة الفجالة الجديدة بمصر. عنى بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه السيد عبد الله هاشم اليماني سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
٣٦ ـ ذم الهوى، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ تحقيق مصطفى عبد الواحد دار الكتب الحديثة بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ ١٩٦٢م. مطبعة السعادة.
٣٧ ـ الرسالة التدمرية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ لم تذكر الطبعة ولا جهة الطبع.
٣٨ ـ الرسول ﷺ، الأستاذ سعيد حوى. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م. مطابع بيبلوس الحديثة بيروت.
٣٩ ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام شرف الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧١هـ دار الكتاب العربي، بيروت تعليق رضوان محمد رضوان.

٤٠ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٤هـ. مطبعة البابي الحلبي بمصر. الطبعة الأولى سنة ١٣٧٠هـ ١٩٥١هـ، وبهامشه: كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، والإعلام بقواطع الإسلام للمؤلف أيضاً.

٤١ ـ سبل السلام، للإمام محمد بن اسماعيل الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢هـ. دار الكتب العلمية بيروت.

٤٢ ـ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون للعلامة على بن برهان الدين الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤هـ دار الباز بمكة المكرمة طبع بيروت سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٤٣ ـ شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام شرف الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ. المطبعة المصرية بمصر.

٤٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية، للإمام القاضي على بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي المتوفى سنة ٧٩٢هـ تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط. طبع مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٤٥ ـ شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت تأليف الإمام ملاّ علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ. حققه وخرج أحاديثه علي محمد دندل. دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٤٦ ـ شرح النسفية في العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الملك عبد الرحمن السعدى مكتبة دار الأنبار بالعراق، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، مطبعة الخلود.

٤٧ ـ صحيح البخاري للإمام الحافظ المحدث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ نشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر.

٤٨ ـ ضحى الإسلام، الأستاذ أحمد أمين المتوفى سنة ١٣٧٣هـ دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة العاشرة.

٤٩ ـ الطب محراب للإيمان، للدكتور خالص كنجو. مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

٥٠ ـ عقائدنا للدكتور محمد الصادقي، دار صادق. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٢م ١٩٩٢م.

٥١ ـ العقيدة الإسلامية وأسسها، للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني دار القلم، دمشق الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٥٢ ـ العلم يدعو للإيمان. تأليف: كريسي مورسون. أكاديمية العلوم الامريكية.

٥٣ ـ غرائب العالم، ميشال مراد، المكتبة الشرقية، بيروت الطبعة السادسة.

٥٤ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ. المطبعة السلفية بمصر طبع سنة ١٣٨٠هـ. تصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. وإخراج محب الدين الخطيب.

٥٥ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ نشر محفوظ العلي بيروت.
٥٦ - الفتوى الحموية الكبرى، للشيخ الإمام إبن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ. ضمن مجموع النفائس، المشتمل على: الرسالة التدمرية، الحموية الكبرى، ألفية مصطلح الحديث للعراقي. عمدة الأحكام من كلام خير الأنام للمقدسي.
٥٧ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. للإمام عبد القاهر بن طاهر، البغدادي، المتوفى سنة ٤٢٩هـ. دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م.
٥٨ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ. مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر. بهامش: الملل والنحل للشهرستاني.
٥٩ - فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي، تأليف العلامة عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ مطبعة مصطفى محمد بمصر. الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٨م. وفي أعلاه كتاب الجامع الصغير للسيوطي.
٦٠ - القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة. للقاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي. الطبعة الثانية. بالمطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٤٤هـ.
٦١ - قصة الإيمان. بين الفلسفة والعلم والقرآن. الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس سابقاً. توزيع دار العربية. منشورات المكتب الاسلامي. الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ سنة ١٩٦٩م. بيروت.
٦٢ - الكامل في التاريخ للعلامة المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد عبد الكريم الشيباني ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ. دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٦٣ - كبرى اليقينات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩م ١٩٧٩م.
٦٤ - الكتاب المقدس: كتب العهد القديم والعهد الجديد. طبع جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى. سنة ١٩٧١م بيروت.
٦٥ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للمحدث المفسر إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى سنة ١١٦٢هـ مطبعة الفنون بحلب تصحيح وتعليق أحمد القلاش.
٦٦ - الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للأستاذ عبد العزيز المحمد السمان الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م مطبعة السعادة.
٦٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر. نشر دار الكتاب بيروت لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧م.

٦٨ - مجموع الفتاوي، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ. الطبعة الثانية. طبع بأمر صاحب السمو الملكي الأمير فهد عبد العزيز وقتذاك جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي المتوفى سنة ١٣٩٢هـ.

٦٩ - مجموع مهمات المتون. يشتمل على ستة وستين متناً في مختلف الفنون والعلوم، نشر دار الفكر الطبعة الرابعة سنة ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م.

٧٠ - مختار الصحاح في اللغة، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عنى بترتيبة السيد محمود خاطر.

٧١ - مختصر مسلم للمنذري، للحافظ الكبير عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٧٢ - مذاهب الإسلاميين، للدكتور عبد الرحمن البدوي. دار العلم للملايين بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م.

٧٣ - مفردات ألفاظ القرآن. العلامة الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٤٢٥هـ تقريباً. تحقيق صفوان عدنان داوودي. دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت. الطبعة الثانية سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٧٤ - الملل والنحل. للعلامة الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٧هـ مطبوع بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.

٧٥ - منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى للأستاذ خالد بن عبد اللطيف محمد نور. طبع مكتبة الغرباء الأثرية السعودية. الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٧٦ - الموافقات في أصول الأحكام للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠هـ. مطبعة المدني بالقاهرة بتحقيق محي الدين عبد الحميد.

٧٧ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن حماد الجهني، نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع بالرياض. الطبعة الثالثة سنة ١٤١٨هـ.

٧٨ - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار. للإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ. دار الكتب العلمية بيروت.

٧٩ - الوسيط في القانون الدستوري العام للدكتور أدمون رباط دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨م.

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار

ثالثاً: فهرس الموضوعات